أدب الطفولة

أصوله .. مفاهيمه .. رواده

دكتور

احمد زلط

دكتوراه الفلسفة فى الآداب

الطبعة الثانية

١٩٩٤

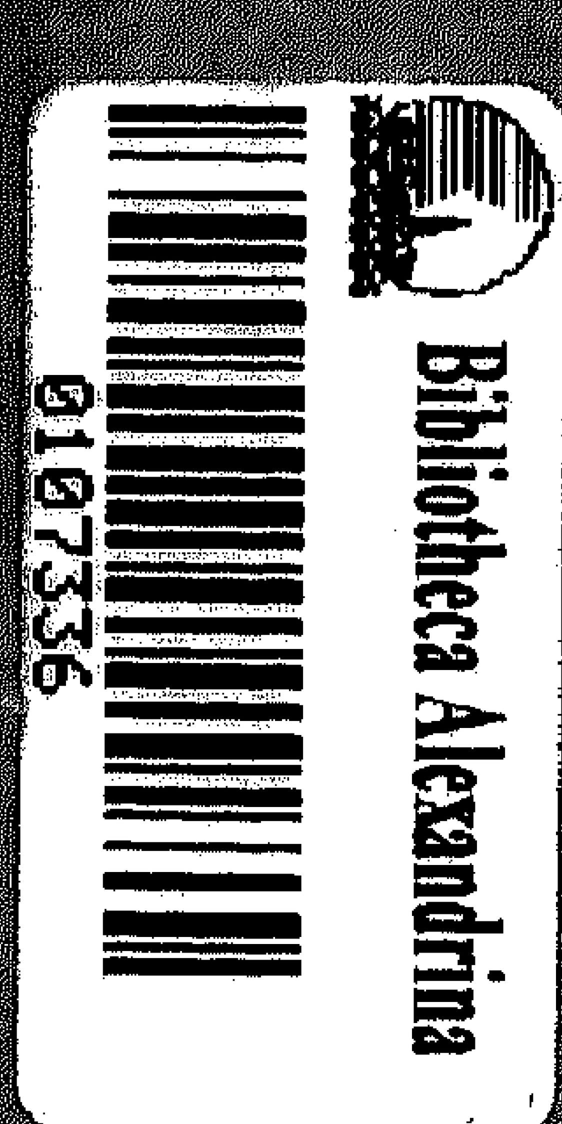


الناشر

الشركة العربية للنشر والتوزيع

٤٢ أ شارع جول جمال - المهندسين

ت : ٣٠٣٦١٣٠١



* دراسات فى الأدب والنقد *

(١) أدب الطفولة

أدب الطفـــولة

أصوله - مفاهيمه - رواده

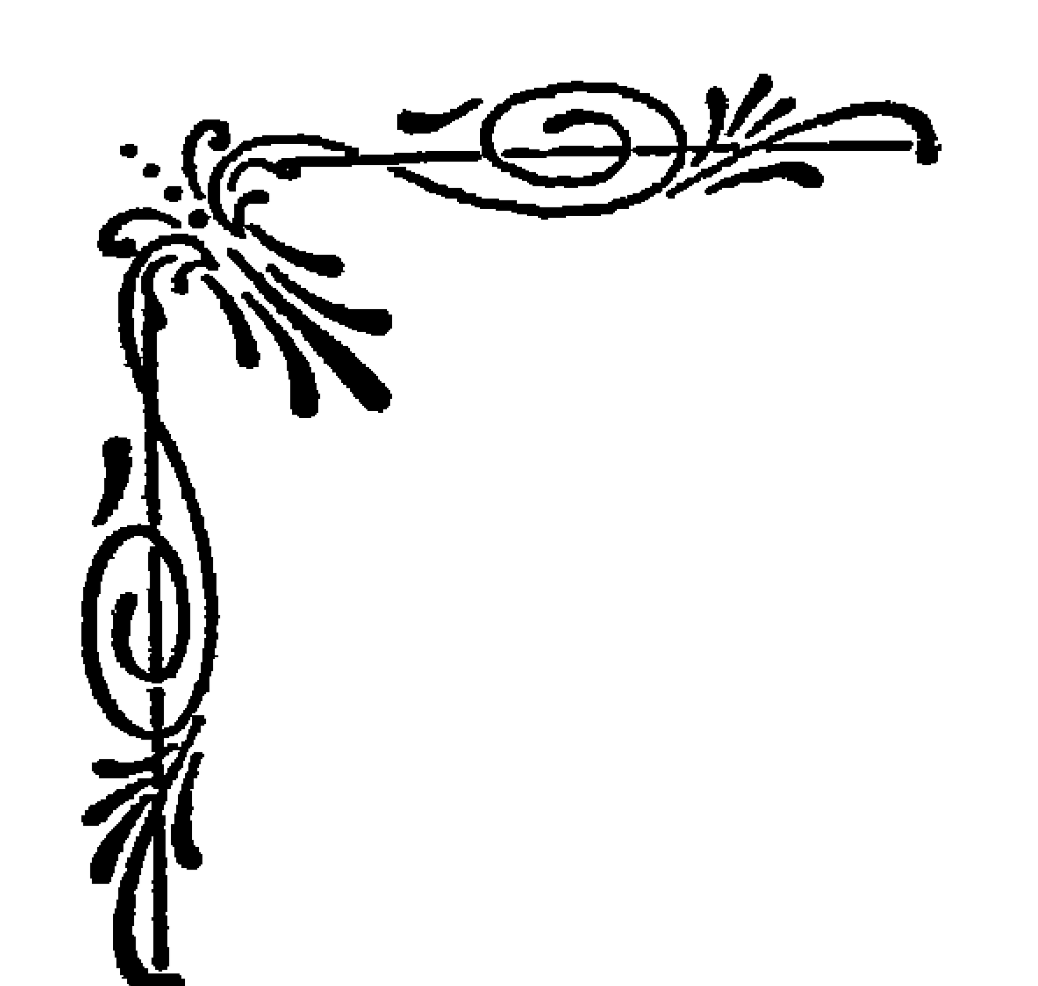
د. أحمـــد زلـــط

الطبعة الثانية ١٩٩٤

الشركة العربية للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية ١٩٩٤

٤٢ (أ) شارع جول جمال - المهندسين
ت : ٣٠٣٦٣٠١




إهداء :

إلى السيدة الجليلة :

سوزان مبارك

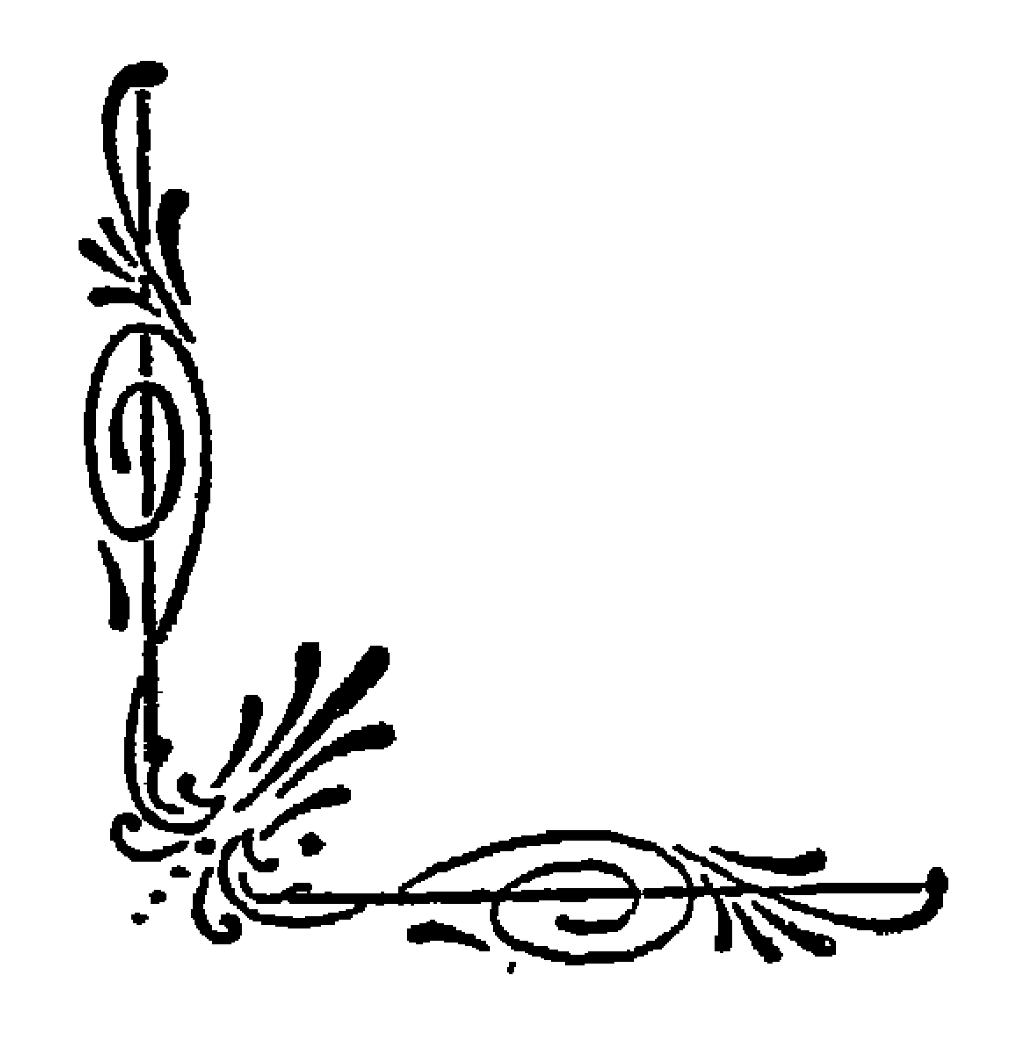
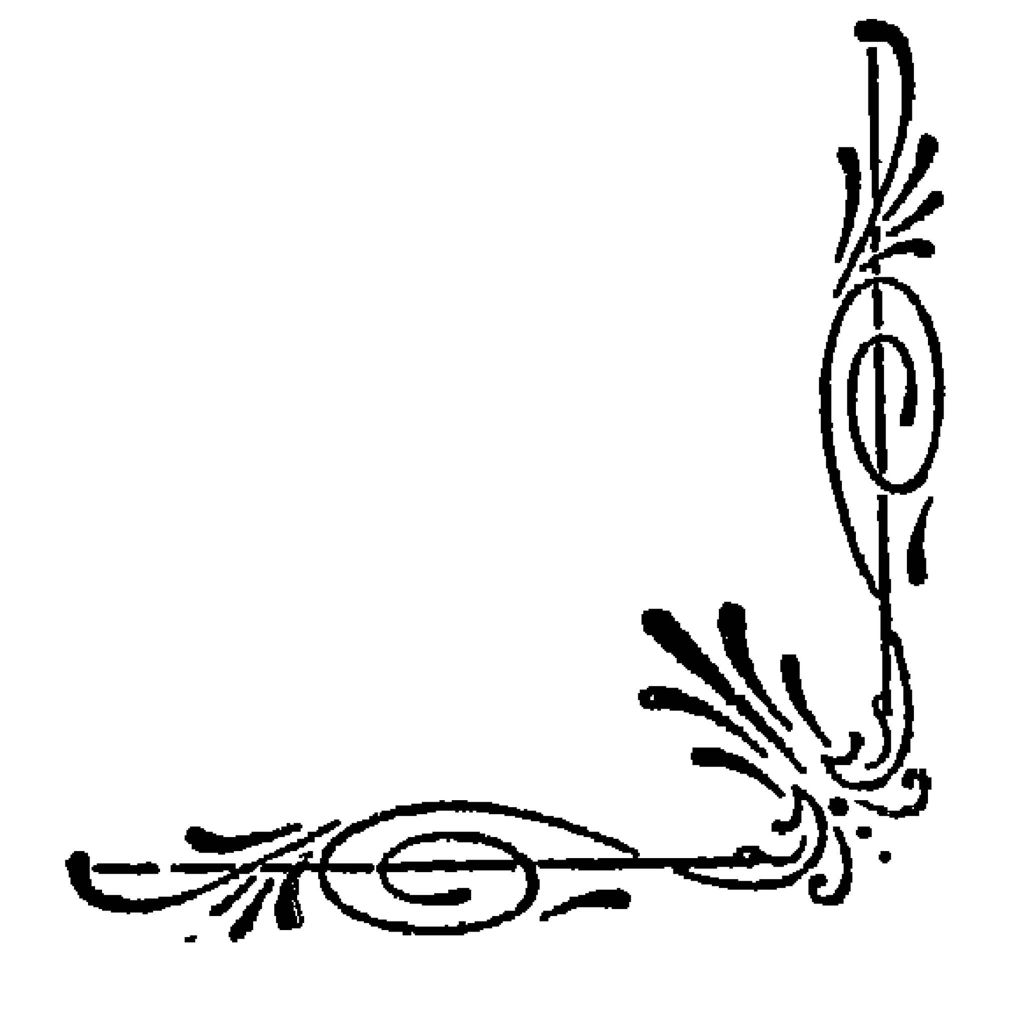
حرم السيد رئيس الجمهورية

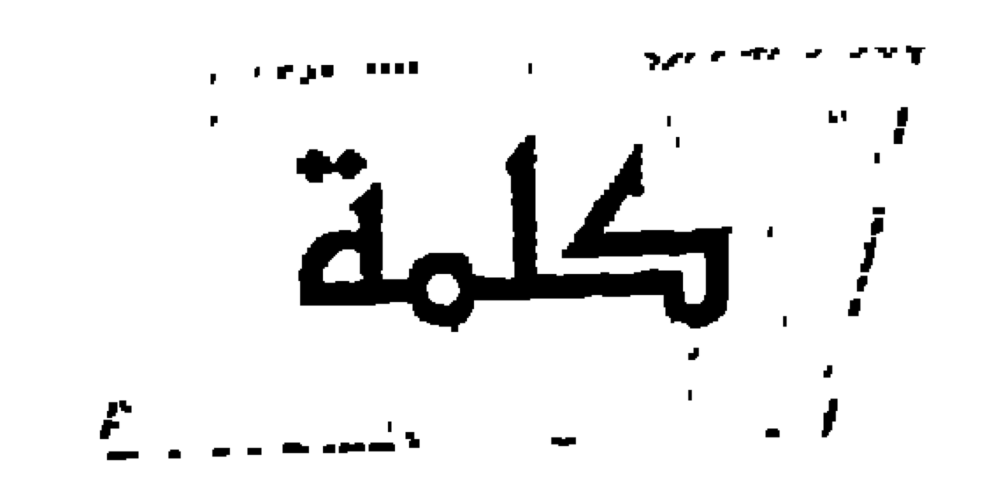
نائب رئيس المجلس الأعلى للطفولة والتنمية

*** إن دورك الهادف نحو إيجاد خارطة شاملة لعقل الطفل ووجدانه - قد اينع وأثمر - وهذا الكتاب الذى تقدمه « الشركة العربيـة للنشـر والتوزيـع » أحد الاسـهامات العلميـة التى تقتـفى « رعايتك المتكاملة » لطفل الحاضر .. كل المستقبل .

والله ولي التوفيق ...

الناشر



...

إلى قريتي (......) أغاني البراءة وأناشيد الصبا وفتوحات الشباب .. لقد كنت دوماً صفحاتي الملهمة وقراءاتي الندية المحملة بأنفاس القيم .. فهل - آن - لغرسك أن يثمر وطيرك أن يصدح بالوفاء ؟ إليك .. هناك ... وإلي شيوخي الأساتذة - الرواد - الدكاترة : الطاهر مكي - زغلول سلام - محمود ذهني - رشدي طعيمه .

... وإلي أصدقائى عشاق الحرف الأدباء : أحمد سويلم - حسين على محمد - صابر عبد الدايم - عبدالله شرف - يس الفيل - إبراهيم عيسى .. و .. إليهم جميعاً أرفع هذا الكتاب ترنيمة دعاء باقية ، وقصيدة حب صافية - فقد - آزرتمونى وعلمتموني معني المثابرة وقيمة الرأي المستنير ... ووهبتموني القدرة على التحليق .

د. أحمد زلط

شنبارة الميمونة

ـــــــــ الزقازيق - ج.م.ع فى (١٩٩٠/٩/١)

منشية أباظة .

مقدمة

* أدب الطفولة أو أدب مرحلة الطفولة Childhood أحد الأنواع الأدبية المتجددة فى الآداب الإنسانية ، وقد بدأ الأدب المعاصر يهتم بهذا اللون المتجدد فى مجالى البحث والإبداع ومن المعروف أن التراث العربى مملوء بأشكال التعبير الأدبى - فى الأدبين الرسمى والشعبى - التى تتوجه إلى مراحل الطفولة فى أطوارها المختلفة . وأدبنا الموروث لم يهمل الطفل وأدبه فى مجال الشعر والنثر بالرغم من إهمال العقل العربى المبدع - عن غير قصد- لمسألة المواضعة المصطلحية لأدبيات الطفولة أو تحديد مسمى لذلك الجنس المستحدث. يكفينا النتاج الإبداعى للطفولة المدون فى أمهات كتب التراث العربى. وفى الأدب الشفاهى للطفل الذى تتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل وفى اسهامات كوكبة من المحدثين والمعاصرين فى ذلك المجال .

ويحاول هذا الكتاب - عزيزى القارئ - أن يطلعك على نتائج رحلة شائقة شائكة، قضاها المؤلف لسنوات طوال بين آثار عبقرية القدامى وأسهامات المحدثين فى مجال أدب الطفولة. إن ابرز محاولة منهجية إستهدفها هذا الكتاب هى : التأصيل التاريخى والفنى لأدبيات الطفولة ، وأزعم فى محاولتى أنها قد تسهم بدرجة ما فى تحديد المفاهيم اللغوية والإصطلاحية والفنية لأدب الطفل العربى وفى إستقراء تاريخه ، وأنواعه ، فى الأدبين القديم والجديد.

وهذا الكتاب أيضاً لا ينفصل فى مقاصده وبعض أفكاره عن الجهود المتميزة لأصحاب المؤلفات التربوية أو الاكاديمية أو الدراسات العامة التى سبقت إصدار مثل هذا الكتاب واقتربت من التخصص الدقيق لأدب الطفولة كعلم أدبى شأنه شأن العلوم الأخرى فلقد أسهمت جهود كوكبة لا يستهان بأدوارها الفكرية فى ذلك المجال من علماء الأدب والتربية أو خبراء وكتاب الطفولة من أمثال : د. عبد العزيز عبد المجيد (القصة فى التربية) ، د. عبد العزيز صالح (التربية التعليم فى مصر القديمة) ، د. سهير القلماوى (ألف ليلة وليلة)،، د.على الحديدى (الأدب وبناء الأنسان = فى أدب الأطفال)،، د. مصطفى الجوينى (حول أدب الأطفال). د. هدى قناوى (أدب الأطفال ، وسائط أدب الأطفال)،، د. هادى الهيتى (أدب الأطفال = ثقافة الأطفال)،، د. نفوسه زكريا (خرافات لافونتين)، بالاضاف إلى الاسهامات البحثية والابداعية لعبد التواب يوسف ويعقوب الشارونى وأحمد نجيب ومحمد محمود رضوان وجمال أبو ريه

وأحمد سويلم وأحمد زرزور وغيرهم من كتاب الطفولة ، هناك ايضا نتائج الدراسات الهامة التى صدرت عن المركز القومى لثقافة الطفل ومركز تنمية الكتاب العربى بالهيئة المصرية العامة للكتاب ...

إننا نستطيع - الآن- مع مطلع التسعينات أن نزهو بحقبة زمنية خصبة معاصرة بدأ يزدهر معها أدب الطفل العربى، فى وسائطه المتنوعة، وفى البحوث الأكاديمية التى تدور حوله، وفى الحلقات البحثية والمؤتمرات العلمية التى تعقد بفاعلية تحت اطار التوجهات القومية لرعاية الطفولة. وفى خط مواز لكل ماذكرناه بدأت مؤسساتنا الثقافية والإعلامية تلتفت إلى إذاعة إنتاج أدب الطفولة بين جمهور الأطفال، من خلال الوسائط المسموعة والمقروءة والمرئية والمسرحية.

... إن أدب الطفولة - شعره ونثره - ليس « طفولة الأدب » لأنه أدب مرحلة طويلة وهامة فى حياة مجتمعنا العربى ، وإنما أصبح أدب الطفولة أحد علوم الأدب المعاصرالمتفرعة عن شجرة الأدب الكبرى ، وله معاييزه الفنية الموازية لأدب الكبار مع إختلاف فى مستوى ودرجة الأبداع وبالتالى مستوى النقد لان الصغار فى مرحلة الطفولة لهم قدراتهم اللغوية والإدراكية عند التلقى.

إن الأغنية والنشيد والأرجوزة والمقطوعات الشعرية وقصائد المناسبات فى مجال الشعر أو الحكايات القصصية المتنوعة أو المسرح التمثيلى الغنائى الذى يقدم دراما مبسطة للطفل Child Drāma وغيرها من ألوان التعبير الأدبى تستهدف - جميعها - عقل الطفل ووجدانه ومن ثم تسهم على المدى البعيد فى التربية الوجدانية المتكاملة التى تنشدها المجتمعات الإنسانية فى ضمائر الناشئين.

*** وبعد .. أن إصدار سلسلة من الدراسات حول الأدب للأطفال، ستكشف عن خصائص وتوجهات هذا اللون الأدبى المستحدث- ويزعم هذا الكتاب - بإعتباره فاتحة إصدارات السلسلة التى نطمع إليها، إلى أنه وقف عند تأصيل أدب الطفل ومفاهيمه وتاريخ رواده فى أدبنا القديم والجديد أو بعبارة أخرى رصد جذوره التراثية واسهامات رواده فى الأدب العربى الحديث فى مجال التنظير والابداع .

والأمل عريض فى أن تتاح لنا الفرصة كى نتناول بالنقد والتحليل الإنتاج الأدبى لرواد أدب الطفولــة المحدثين فــــى مصر، فبين أيدينا – قيد الطبع – دراسات حول أدب الرواد: عثمان جلال ، وأحمد شوقى ، وإبراهيم العرب وكامل كيلانى و محمد الهرواى ، باعتبارهم **الرواد الأوائل فى الأدب العربى (الحديث)** الذين عبدوا الطريق أمام أدب الطفل. كما نأمل أن نتوفر بالدرس والتحليل لتناول الإسهامات المهمة فى ذلك المجال– فى دراسة أخرى بحيث نقف عند إنتاج المعاصرين أمثال : الرواد : عبد التواب يوسف ، عبد العليم القبانى ، سعيد العريان ، محمد السنهوتى ، أحمد سويلم ومحمود رضوان وأحمد زرزور ، وإسهامات بعض الشعراء أمثال د. حسين على محمد ، وعبد الله السيد شرف ، ويس الفيل وغيرهم من الأدباء الذين يشكلون خارطة أدبيات الطفولة المعاصرة فى مصر موازنة مع كوكبة شعراء الطفولة فى الأقطار العربية الشقيقة.

يبقى أن أقدم هذا الكتاب الجديد للمكتبة العربية ، ولست أدعى فيه مؤلفاً مثالياً بريئاً من المغامز، وحسبى أننى توخيت الموضوعية ، أجتهد مع الفريق البحثى العربى الذى يملأ الساحة المعاصرة.. أقدم للطفولة أشرف المحاولات وأنبلها فى ميدان العلم .

وما أوتينا من العلم إلا قليلا ، ، ،

والله الموفق والمسدد للصواب

المؤلـــف



الباب الأول

جذور
أدب الطفولة
فى التراث العربى والإسلامى

مدخـــل

الطفولة هي الفرس المأمول لبناء مستقبل الأمة، والأطفال هم ثروة الحاضر وعدة المستقبل في أي مجتمع يخطط لبناء الأنسان الذي يعمر به أرضه ، ويدعم بفاعليته وجوده الأنساني ويؤكد تواصله الحضاري. والأطفال هم بهجة الحياة ومتعة النفس لأننا لو نظرنا إلى الحياة في وجهها المضيء لرأينا أن ما يمنحها الجمال والسعادة أمران أثنان هما : المال والأبناء. يقول الله عز وجل في محكم كتابه الكريم :

(المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً). " الآية ٤٦ سورة الكهف "

فالأموال والأولاد هما الثروة في جانبيها المادي والبشري ، وعلى هذين الأمرين تقوم الحياة ويعمر الكون وتدور بواسطتهما عجلات التاريخ الإنساني.

وفي أهمية الطفولة وحسن رعايتها يقول الرسول الكريم (صلعم) في الحديث النبوي: (الولد من ريحان الجنة [١]). وعبر الأدباء عن مكانة الطفل إلى النفس، ففطن رجاله إلى التعبير عن ذلك عن طريق النثر والشعر، يقول الشاعر العربي حطان [٢] بن المعلى في مقطوعته الشعرية الضادية :

أنزلني الدهر على حكمه	من شامخ عال إلى خفض
وغالني الدهر بوفر الغنى	فليس لي مال سوى عرضي
أبكاني الدهر ، وياربما	أضحكني الدهر بما يرضي
لولا بنيات، كزغب القطا	رددن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع	في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا	أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم	لامتنعت عيني عن الغمض

(١) رواه الحكيم الترمذي ، وتشير كتب السيرة ، والاخبارواللغة والأدب في أكثر من موضع منها الي أي مدي بلغت عناية الاوائل بالطفل ، وتزايد هذا الاهتمام بظهور الاسلام ولقي الطفل في ظل الحضارة الاسلامية أوجه العنايه المتكاملة وأبرزها تغيير النظرة الجاهلية للطفل الانثي وتحقيق الرعاية المتساوية بين الذكروالانثي من ولادتهما حتي يشبا .

(٢) حطان بن المعلي المخزومي القرشي ، شاعر اسلامي ،انظر : شبرح ديوان الحماسة ، محاضرة الأخيار ومسايرة الابرار : ص ٣٢ ، ص ٣٠٨ .

وإذا كان الأدب هو الصوره الراقية فى سجل الحياة المكتوب، فإن خيوط الكتاب سيجمعها نسيج واحد محوره التاريخ لمفهوم أدب الطفل وتطوره فى مصر بعامة وإستقراء وتحليل شعر الطفولة بخاصة، إذ الشعر الموجه – كنوع أبى- لأى كائن بشرى عاقل هو من أهم الأجناس الأدبية التى تشكل وجدانه وتحفز مشاعره نحو جمال الكمال، وسيتوفر الباب التمهيدى من هذا الكتاب عند رصد جذور أدب الطفل فى تراثنا العربى والإسلامى لسبر ظاهرة وجود هذا لجنس الأدبى فى الأدب العربى فى ظل الحضارة الاسلامية .

فى العصر الحديث فقد أحس أمير الشعراء أحمد شوقى (– ١٩٣٢م) بضرورة أرساء القواعد لبناء جنس أدبى خاص بأدبيات الطفل بحيث ينهض الأدباء بإبداعاتهم ، والمدرسة بمناهجها، والمجتمع بشمول نظرته فى سبيل تعبيد الطريق لخلق الأدب المميز للطفل ، وكانت صيحته مع النتاج الإبداعى الذى قدمه للطفل فى الجزء الرابع من ديوانه الشوقيات من العلامات الدالة على تعبيد الطريق أمام هذا الفن الجديد. يقول أحمد شوقى من قصيدة [١] له حول الطفولة:

البنــون هــم دمنــا لا	والحيـــاة والــــورد
تلــذ مثلهــم يســرون	مهجـــة, ولا كبــــد فى
واحـدهـم زينـــة	الحنـــان والعــدد
ومصلحـــة	وإستـــــراحـــة ودد

ولقد كتب الكاتبون كثيراً حول الطفولة فى العصر الحديث، اذ قام رجال التربية وعلم النفس وخبراء الطفولة بمهام متنوعة وبالغة الأثر فى تأصيل أساسها النفس والتربوى والمعرفى والثقافى والصحى، من زمن الرائد رفاعه الطهطاوى (–١٨٧٣م) إلى أخر الكوكبة المعاصرة من المهتمين بهذه المجالات جميعاً، ولقد تضاءل الجانب الروحى المتعلق بأدبيات الطفولة وسط زحام الجهود الكبيرة التى بذلت، فقد مضى مايقرب من مائة سنة على الصيحة الواعية التى أطلقها أحمد شوقى – وصدر بها الطبعة الأولى من ديوانه – لتأصيل نوع أدبى مستحدث للطفل. وعلى إستيحاء تضاءل دور المبدع بينما نما وتعاظم دور أصحاب المجالات العامة والمرتبطة بتعليم الطفل وصحـــته وأخيراً ثقافته وميوله المعرفية والقرائية. ان دخول الأدباء هذا المجــــــال :

(١) الشوقيات ، جـ ٢ ، قصيدة البنون والحياةالدنيا ، ص ٥٩ ، طـ القاهرة ، ١٩٤٧ م .

الحيـــــوى والتوجـــــــه بالأبداع الأصيل لخلق أدب للطفل شعره ونثره، يحقق في المستقبل شريحة سوية خلاقة منتجة من بين أهم الشرائح الإجتماعية التى يقوم عليها أى مجتمع.

والطفل وهو يكتسب هذه الأهمية يستطيع أن يمارس دوره فى التنمية البشرية كحق طبيعى وهبه الرحمن تعالى: الرحمن علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان). الأيات (١-٤) سورة الرحمن. وألزمه التعليم والإدراك والتذكر والتدبر قال عز وجل :

(أقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. أقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم). الأيات ١-٥ سورة العلق. وقد فطن الأوائل من علماء العربية وفقهاء الإسلام إلى أهمية العناية بالأبناء والحث على تأديبهم وتعليمهم وأرشادهم للأخذ بأسباب التعليم والإفادة من مطالعة الكتب التى تخاطب القلب وتنمى العقل. ويقول الإمام الغزالى (-١١١١م): أيها الولد : كم من ليلة أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب... أيهاالولد إذا قرأت العلم أو طالعته، ينبغى أن يكون علمك يصلح قبلك ويزكى نفسك [1]). وفى هذا قال ابن المقفع (والعقول سجيات وغرائز تقبل الأدب، وبالأدب تنمو العقول وتزكو وليس غذاء الطعام بأسرع فى نبات الجسد من غذاء الأدب فى نبات العقل.. بالأدب تعمر القلوب وبالعلم تستحكم الأحلام [2]).

أن النظرة إلى الطفل، وإلى أدبه المنشود، بحاجة إلى إعادة البحث والتنقيب فى تراثنا الأدبى الفكرى لإستخراج أدبيات الطفل بمعناها الفنى المستحدث لأن أغلب النتاج الذى قدم القدم لجمهور الطفولة من معظم الكتاب، هو ما يمكن أن نطلق عليه النتاج المعرفى باعتباره نتاجاً يتعلق بالعقل والتمييز والفهم والإستدلال والثقافة العامة ؛ أما أدب الطفل المنشود فهو الذى يتكئ فى أساسه على الأبداع الخلاق والعوامل الوجدانية فهو أدب عاطفى يسير فى خط موازٍ مع مضمون ذلكم الكم الهائل من كتب الأطفال المدرسية المعرفية. وتكاد نجزم بوجود نظرة قاصرة غير مبالية لأدب الطفل من المبدعين المعاصرين- بإهمالهم التوفر على إبداع أدبى متميز له، وقد فوت ذلك على المجتمع فرصة البناء التربوى المتكامل، وتعنى به إكتساب المعرفة والتعليم. والتزود بالقيم الخلقية وحفز الميول الإبتكارية الإبداعية وتنمية الميل للأدب والفن بسبب عدم التناغم فــى عزف أنشودة البناء التربوى المتكامل من ناحية. وأيضاً توقــف

---

(١) أيها الولد المحب للامام الغزالي ، تحقيق عبد الله ابو زينه ، ص ٣٢ - ٨٦ ، ط دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٣ م.

(٢) اثار ابن المقفع ، ابن المقفع ، ص٣١٨ - ٣٣٠ نشر دار مكتبة الحياة بيروت د.ت

الادباء عن السير فى خط مواز لجـهود رجال علم النفس والتربية وكتاب الثقافة العامة للطفل من ناحية أخرى .

أن الجهود الحاضرة على المستوى القومي* تستشرف صياغة خريطة جديدة للطفل، من زمن الحمل إلى نهاية الطفولة المتأخرة، وهى مرحلة طويلة ومتشعبة، وعلى درجة عالية من الدقة والخطورة لو أهملنا جانباً من الجوانب التى يحتاجها الطفل على حساب جانب آخر، ولعل الطفل المصرى بحاجة إلى الأدب والفن قدر حاجته للتعليم والإشباع الفسيولوجى أو الرعاية الاجتماعية وهذا كله يتطلب السير فى نسق مخطط لتحقق مفهوم التربية المتكاملة والذى عبرت عنه الفقرة السابعة من الإعلان العالمى لحقوق الطفل :

(... من حق الطفل أن يتلقى تعليماً مجانياً وإجبارياً على الأقل فى المراحل الأولى ويجب أن يعطى تعليماً يرقى بثقافته العامة، ويساعده على أساس من الفرص المتكافئة .. ويجب أن تنمى قدراته ومداركه وإحساسه [1]).

واهتمام الدول والحكومات بالطفولة – حاضرها ومستقبلها – دليل على صدق الإتجاهات الحديثة في سائر الثقافات الإنسانية المعاصرة، التى ذاقت جميعاً ويلات الحضارة المادية الحاكمة لعالم اليوم، ولعل إصدار منظمة الأمم المتحدة لميثاق حقوق الطفل ومؤتمر رؤساء الدول الأخير الذى عقد فى خريف هذا العام تحت مظلة الأمم المتحدة أيضا – يمثلان خير تمثيل إتجاه المسيرة الحضارة نحو البناء الروحى فميثاق حقوق الطفل يستهدف الأجيال الناشئة فى كل بقاع العالم بحيث يأخذ الطفل حقه فى الحياة من خلال تربية متكاملة فى جانبيها المادى والروحى كى يتحمل دوره فى مستقبل البشرية وهو فى حالة إشباع وجدانى بعد أن كادت الحضارة المادية تطمس الآثار الإيجابية الوجدانية فى الطفولة العامل الحاسم فى مستقبل أى أمه، لذلك تصدر الإعلان العالمى لميثاق حقوق الطفل عبارة سديدة تقول : (من الواجب على الإنسانية أن تمنح الطفل أحسن ما تملكه) ومما لا شك فيه أن للأدب دوره الحيوى فى حفز ملكات الطفـل الروحيـة ، وعلاقة الطفل بالأدب علاقـة مميـزة معه ، تسهـم فى تكوينه الوجدانى وترقية مشاعره وتهذيب سلوكه وتأصيل الميل إلـى الفن والثقافة. والأدب بفنونـه له

---

* أبرزها انشاء المركز القومي لثقافة الطفل (١٩٨٠م) انشاء شعبة ثقافة الطفل بالمجلس الاعلي للثقافة انشاء جائزة الدولة لأدب الاطفال ، انشاء المعهد العالي لدراسات الطفولة بجامعة عين شمس وتدريس مواد أدب الاطفال وكتبهم ببعض كليات التربية والآداب انشاء المجلس القومى للأمومة والطفولة ، انشاء المجلس العربي للطفولة والتنمية ، التوسع في المكتبات والمعارض والمؤتمرات البحثية حول الطفولة . والرعاية المتكاملة التى بدأت آثارها الايجابية تشكل شخصية الطفل .

(١ .٢) الاعلان العالمي لحقوق الطفل ، الأمم المتحدة ، نيويورك ، ٢٠ نوفمبر ١٩٥٩ م.

جاذبيته وتأثيره على الأطفال إذا حظيت مادة هذا الأدب بمقومات أدبيات الطفل التي تتفـــق ومداركه ، ودرجة إستيعابه ، ومدى تذوقـــه، ومن المعروف أن الطفل يخاطب قبل من التعلم المدرسي مخاطبة حسية من المحيطين به وبالتالي فان التعامل مع قلب الطفل وأحاسيسه ومشاعره يجئ في مرحلة تسبق أساليب التي تقوم في أساسها على العقل والمنطق. فأغاني المهد الموقعه التي يتلقاها الطفل هي أول علاقة أدبية وجدانية تنشأ بين الأم والطفل، اذ أن هذه الأمهودات تلعب دورها الحيوي في وضع البذرة الأولى في تربة التربية الوجدانية وتنبيه مشاعر الطفل للأحاسيس والمشاعر والأنغام الموقعة. فالطفل اذا – وقبل الوصول إلى رياض الأطفال وسن المدرسة (من أشد المخلوقات قابلية للتأثير والإنفعال، ومحبة للكشف والإستطلاع، ورغبة في تحقيق الذات) [1] وقد أخضع علماء علم النفس الأرتقائي الطفل في مراحل نموه المختلفة لعدة بحوث ودراسات تتعلق بطبيعة ودرجة أشباع الحاجات عند . ومن البحوث الهامة في هذا الصدد البحث الذي قدمه ستين " Stein M.I" تحت عنوان إستثارة الإبداع "Stimulating Creativity" عند الطفل، وجد أن الحاجات الإنسانية تبدأ في مدرج قاعدته إشباع الحاجات الفسيولوجية وعلى قمته الإشباع الروحي أو الوجداني من خلال مفهوم التقدير وإحترام الذات. والذي لا شك فيه أن ما يكتسبه الطفل من الأدب (ليس مجرد الإشباع النفسي أو الروحي أو الوجداني، كيفما شئنا- بل ولا مجرد القدرة على القراءة والتخيل أو غير ذلك من المكتسبات المباشرة التي ينصرف اليها الذهن لأول وهلة، أن ما يكتسبه بالدرجة الأولى هو التهيؤ لفهم الآخرين والتفاعل معهم بما يناسب المواقف، والقدرة على عمل الأشياء وتوليد الأفكار ومواجهة المشكلات) [2] وهناك حقيقة هامة في مجال الأدب الموجه للطفل هي أن الأنواع الأدبية التي تناسب الكبار لا تناسب الصغار بالضرورة لان (الوصول إلى مشاعر الأطفال والتجاوب معهم في غير افتعال مسألة في غاية الصعوبة، اذ يقف الكاتب للأطفال على حد دقيق دقة السيف بين "تيسير" قد يؤدي إلى درك من الاسفاف ، وسمو "قد يؤدي إلى إنفصام عن الطفل وامكاناته) [3] .

أن العلاقة بين الأدب والطفل علاقة متعة ومنفعة الأمر الذي تؤكده الأهداف أو الوظائف التي يتضمنها الأدب المكتوب للطفل فأدبيات الأطفال تنتظم في سلسلة وظائف أهمها تأصيل

(١) تنمية الابداع ، د . زين العابدين درويش ، دارالمعارف ، القاهرة ١٩٨٣.

(٢) مجلة المنهل ، ملف العام الدولي للطفل، ع ٤٣٤ ، ص ١٩٩ ، السعودية . ١٤٠٥هـ .

(٣) ثقافةالطفل العربي ، جمال ابو رية ، ص ٤٠، دار المعارف ، ١٩٧٨ .

القيم الخلقية والجمالية، والتربوية ، واللغوية والثقافية المعوقية بعامة ، وهذه القيم السلوكية والفنية منها ما يهدف إلى الترويح والمتعة وجلب السرور، ومنه ما يعمل على الأرتقاء بسلوكيات الأطفـال وأخلاقهم، بالإضافة إلى غرس القيم الفنية الإيجابية في (اطار التربية الوجدانية، عن طريق إثارة انطباعات الطفل الحسية والمعنوية وبما يقدم له من الصور الذهنية والفكرية ويفسر له الظواهر والمعاني [1]) ومهما يكن من أمر التعددية الواضحة في طبيعة أدب الأطفال وغاياته من حيث هو أدب مستحدث فوق خارطة الأدب الكبرى، فان هذا الأدب يستهدف في أهم توجهاته توسيع دائرة التشكيل الوجداني للطفل في خط مواز للمنهج المدرسي.إن أدب الطفل في مجمله ليس تحريك المشاعر الإيجابية وحفز الوجدان فقط وإنما هو أدب موجه نحو (الثقافة بمفهومها الواسع وأعني به مجموع التصورات والأفكار التـــــي تنتظم في ذهن الأمة ووجدانها) [2] .

والأثر الإيجابي الذي يحققه الأدب في عقل وقلب الطفل لا يقل أهمية عما تحققه النواحي الإجتماعية والتعليمية وسائر النواحي التربوية لان الطفل يكتسب شيئاً فشيئاً عن طريق الفنون الأدبية القيم الوجدانية . وتأثير الأدب على الطفل تعكسه عشق قيم الجمال وتذوقها، ما نقدمه للأطفال ما هو إلا وسائل للتعبير تعتمد على الأصوات والالفاظ، والخطوط وهي تساعد الفرد الناشئ في تعميق رؤيته الجمالية. وعاداته وإتجاهاته ومعلوماته، ومهارته، في صلتها بالكون الذي يحيط به، والعلاقات التي تنتظره وفي الإندماج مع عالم الكبار والدخول إلى ميادين الحياة. إن المدرسة بمناهجها والكتب بمعارفها تعطي الطفل البناء المعرفي، أما الأدب بفنونه فيعطي الطفولة النمو الوجداني.

الطفولة بين مفاهيم التربية و " مفاهيم الأدب " :

عرضنا في المدخل السابق أهمية الأدب بالنسبة للطفل، ومدى حاجة البشرية لإشباع الحاجات الروحي في نفوس الأجيال الناشئة، وبعد أن طغى الجانب المادي في الحضارة الحاضر على أمل الإنسانية في إقامة الدعائم الروحية لحضارة جديدة تأخذ بالجانبين المادي والروحي جميعاً، وقد ألمح المبحث في البداية إلى ضرورة فصل العوامل المعوقية عن العوامـــل

(١) الأدب والطفل ، محاضرة القيت بالموسم الثقافي لكلية البنات بجدة . د. محمد احمد حمدون ، الثلاثاء ، ٢٩ من صفر ١٤٠٦هـ .

(٢) المرجع السابق .

الوجدانية عند تقديمنا لمضمون أدبيات الطفل وبالتالى يكون محور الأدب الموجه للطفل هو تعميق وترقية الجانب العاطفى واللغوى عنده. ونستعرض فيما يلى عدة مفاهيم تدور حول الجوانب التالية :

(أ) التربية (ب) الطفولـــة (جـ) الأدب

وذلك من خلال إستقراء آراء بعض رجال فلسفة التربية وعلماء اللغة والأدب نظراً لأهمية تأثير كل جانب منها فى الجانب الأخر بالسلب والإيجاب، من ناحية ولاهميتها فى تحديد مجال البحث من ناحية أخرى :

الطفولة ومفاهيم التربية :

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان فى أحسن تقويم، وميزه عن سائر المخلوقات بالعقل والتفكير والحواس التى تنبض برقة المشاعر وفيض الأحساس. يقول فى ذلك عز من قائل : (الذى أحسن كل شئ خلقه، بدأ خلق الانسان من طين .. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) الآيات (٧-٩) سورة السجدة. لقد خلق الله الإنسان وهيأ له كل الأسباب للبحث فى الكون، باعتباره خليفة الله فى الأرض الملكف بحمل الامانة باعبائها العظام (أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان). الاية (٧٢) سورة الأحزاب. وفى سبيل قدرة الإنسان على حمل التكاليف الثقال زوده الله سبحانه بوسائل الإتصال التى يتمكن عن طريقها من بناء جسور بينه وبين من حوله، ومن ثم القدرة على الإدارك والإنتباه والتذكر، والتمييز بين المتناقضات. قال سبحانه وتعالى: « ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين» الآية (٨-١٠) سورة البلد. ومما لا جدال فيه أن الطفل يولد وقد زود بكافة وسائل الإتصال للتعامل مع كل المحيطين به ومن ثم تنمو تلك الحواس، ويلعب أول دور ملحوظ فى أدوار التربية من خلال الوالدين ففى الحديث النبوى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه [١])، واكتساب القيم والاتجاهات والسلوك تجئ من خلال روافد التربيـــة اذ يتعلم الطــفل، ويدرك ويتأثر، ويختزن طوال مراحل طفولته الأولـــى أساس تلك القيم لمستقبل ينتظـــره: وقـــد قـــال الأمام علـــى بـــن ابـــى طالـــب

---

(١) متفق عليه .

(علموا بنيكم أخلاقاً غير أخلاقكم. لأنهم خلقوا لزمان غير زمانكم) [1] ولو استعرضنا معنى التربية لغة ومعنى، سيطالعنا الأصل اللغوى للكلمة فى مادة (ربب) ففى لسان العرب لابن منظور تجئ ربب بمعنى : (الرب يطلق فى اللغة على المالك، والسيد والمدبر والمربى والقيم والمنعم.. وربيت القوم سستهم أى كنت فوقهم) [2] وفى الحديث لك نعمة تربها أى تحفظها وتراعيها وتربيها، كما يربى الرجل ولده... وفى حديث ابن ذى يزن : أسد تربب فى الغيطان أشبالاً. أى تربى وهو أبلغ منه ومرترب بالتكرير الذى فيه، وتربيه وأربته ورباه تربية على تحويل التضعيف ، وترباه على تحويل التضعيف أيضاً أحسن القيام عليه ووليه كان ابنه أو لم يكن [3]. وينسب التهانوى صاحب كشاف إصطلاحات الفنون- الربانى إلى الرب فيذكر : الرب هو إنشاء الشئ حالاً فحالاً إلى الحد التام [4] وقد قال الإمام البيضاوى (-٦٨٥هـ) أن : الرب فى الأصل بمعنى التربية وهى تبليغ الشئ إلى كماله شيئاً فشيئاً ثم وصف به تعالى للمبالغة، وهو متأثر فيما أرجح- لمقوله وردت فى هذا المعنى بكتاب مفردات الراغب الأصفهانى (-٥٠٢هـ) هى : الرب فى الأصل : التربية، وهو إنشاء الشئ حالاً فحالاً إلى حد التمام [5] وتنطبق تلك المقولة على تربية الطفل من حين ولادته إلى أن يبلغ ويشب ومن قبلهما قال أبو حاتم الرازى (-٣٢٢هـ) فى كتاب الزينة : الرب من التربية ، وإشتقاق الرب من التربية، يقال رباه يربيه تربية وربية يربتة تربيباً، وربته بربته تربيتا ..إنما قيل للمخلوق رب الشئ لانه يسوسه ويديره... والتربية هى القيام عليه بالإصلاح حتى يبلغ المراد ومن أجل ذلك سمى الربائب لأنهن يتربين فى حجور أزواج أمهاتهن فكانهم قاموا باصلاحهن حتى بلغوا [6]. قال الله عز وجل :" وربائبكم اللاتى فى حجوركم". الاية :٢٣ سورة النساء .. وغير الأصل اللغوى لمادة (ربب) فى المعاجم عند علماء اللغة، نستطيع أن نستعرض بعض المفاهيم الإصطلاحية للتربية فى القديم والحديث فقد. وقف أصحاب المذهب لفلسفى المثالى عند مفهوم التربية موقفاً يتلخص فى إعداد العقل السليم فى الجسم السليم على نحو ما قال بذلك افلاطون وأرسطو. وتعنى التربية عند الفيلسوف الطبيب :

---

(١) مجلة المنهل ، ملف العام الدولي للطفل ، ع ٤٣٤ ، السعودية ١٤٠٥هـ .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، جـ ٢ ، ص ٣٨٤ ، ط الدار المصرية للتاليف والترجمة . د. ت .

(٣) المرجع السابق ص ٣٨٦ .

(٤) ، (٥) كشف اصطلاحات الفنون ،التهانوى ، جـ ٤ ص ٤ط الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢

(٦) أصول التربية الاسلامية ، عبد الرحمن النحلاوي ، ص ١٣ ، دار الفكر دمشق ، ١٩٧٩ م.

ابن سينا "سياسة" وقد عبر عن ذلك بمقولتـــه التى ضمنها كتابه "السياسة": سياسة الرجل أهله وولده [1] أما رجال التراث الشعبى فينظرون إلى التربية على أنها عملية المحافظة على التراث الثقافى عن طريق نقله من جيل إلى جيل. وقد دارت معظم آراء علماء العلوم الإنسانية المحدثين إلى دمج مفهوم التربية إلى عمليات التعلم والتكيف وإستثمار قدرات الإنسان، ومفهوم جون ديوى (١٨٥٩ - ١٩٥٢م) للتربية يعد من المفاهيم الأكثر قبولاً وذيوعاً إذ تعنى التربية عنده: الخبرة التى تؤدى إلى مزيد من كسب الخبرة [2].

وليس من السهل اليسير تحديد مفهوم جامع مانع للتربية . لان التربية تخضع فى أساسها لعوامل بناء تتسم بالتنوع والتغير وفقاً (للتغيرات التى تطرأ على المجتمع والذى يخضع بدوره للعوامل البيئية (المكانية والزمانية) حيث أن هناك أرتباطاً عضوياً وثيقاً بين التربية والمجتمع الذى توجد فيه وتقوم فيه بوظيفتها). [3] فعملية التربية تنصرف فى جوهرها إلى (إعداد الناشئ إعداداً يساعده على أن يصبح فرداً قادراً صالحاً لنفسه ونويه، ومتجاوبا مع مجتمعه، منتجاً فيه عن طريق تنمية البدن السليم وتهذيب النفس وترقية المشاعر والوجدان وتثقيف الفكر وتحصيل المعارف) [4] وقد تنبه أدباء اللغة العربية الأوائل لأهمية التربية في أطارها التهذيبى فقال بعضهم [5] : أطبع الطين ما كان رطباً وأغمز العود ماكان لدنا وقال الشاعر:

إذ المـــرء أعيته المـــروءة ناشئـــاً   فمطلبها -كهلاً- عليه شديد [6]

وشبيه به قول البوصيرى .

والنفس كالطفل ان تهمله شب على   حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

---

(١) كتاب الزينة ، أبو حاتم الرازي ، جـ٢ ، ص ٢٩ ، طـ القاهرة ١٩٥٨ م .

(٢) كتاب السياسة ، عني بنشرة وتعليق حواشيه الأب يونس معروف اليسوعي في كتاب مقالات فلسفية ، ص٤ ، طـ دار العرب البستاني بيروت ١٩٨٥ .

(٣) و (٤) أصول التربية ، د. ابراهيم مطاوع ص ٥١ طـ دار المعارف ١٩٨٣ م .

(٥) التربية والتعليم في مصر القديمة ، د. عبد العزيز صالح ، ص ٥ طـ الدار القومية للطبـــــع والنشر١٩٦٦ .

(٦) تأديب الناشئين لإبن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق وتعليق ، محمد ابراهيم سليم ، ص ١٢١ - ١٢٢ طـ مكتبة القرآن القاهرة د.ت.

وقال شاعر من شعراء الحكمة:

وإن من أدبته في الصبـــا	كالعود يسقى الماء في غرســه
حتى تراه مورقا نـاضــراً	بعد الذى أبصرت من يبســه
والشيخ لا يترك أخلاقــه	حتى يوارى فى ثرى رمســه

ولم ينفصل مفهوم تربية الطفل بمعناه اللغوى أو الاصطلاحى فى الحضارة الاسلامية عن الآداب العامة ونعنى بها السلوك والتهذيب والتأنيب ورعاية الناشئة بأدب الدنيا والدين ، ولم تقترن التربية كذلك في – تاريخ الادب العربي– بالاجناس أو الانواع الادبية بأوجه الشبه أو التماثل لمفهوم اصطلاحى مشترك الأغراض أو معان لغوية تجمعهما ، ولكن الذى لاشك فيه أن الادب والتربية اشتركا معا فى توجيه الأغراض الخلقية والقيم السلوكية الايجابية التى حث عليها الدين والقيم العليا ، كما أن العلميات التربوية تستنبط من المفاهيم اللغوية العناصر التى تمكنها من رعاية الأطفال والناشئة من مثل (المحافظة على فطرة الناشىء ورعايتها ∴ تنمية مواهبه واستعداداته كلها وهى كثيرة متنوعة توجيه هذه الفطرة وتلك المواهب كلها نحو صلاحها وكمالها اللائق بها ... بالتدرج فى هذه العلمية وهو ما يشيراليه البيضاوى بقولــه " شيئا فشيئا " والراغب بقوله :انشاء الشيء حالا فحالا ...) [1] وفي المجتمع العربى القديم: نهض بمهمة التربية فى الاعم والأغلب المربيات والأمهات والجدات والملعلمون والمؤدبون .

نخلص مما سبق الى أن التربية تخضع للتغيرات المجتمعية ، كما تقوم التربية الحديثة فى أساسها على بناء ورعاية الطفل من خلال البيئة الاسرية والبيئة المدرسية بمناهجها وأساليبها التربوية وما تبثه مؤسسات المجتمع من غرس لمبادىء وأفكار وتصورات وآداب عامة ، غاياتها التعليم والتهذيب ووفقا للقيم السائدة والمتغيرة فى أى مجتمع ، وفى نهاية هذا المبحث الفرعى أعتقد أن التربية بمجالاتها وأساليبها وأدوارها تختلف عن مهمة الأدب ووظيفته الفنية والجمالية بالنسبة للطفل ، لأن الابداع الفني أو الادبي يتجه في الأصل نحو وجدان الناشىء الصغير ، يفجر طاقاته ويحفز مشاعره ويشجع ملكاته الابتكارية من خلال شحنة وجدانية أدبية تجلب المنفعة والبهجة وتستهدف تحريك المنهج المدرسى المحدد– والجاف – باتساع رقعته من الاطـار

---

(١) أصول التربيةالاسلامية ، عبد الرحمن النحلاوي ، ص ١٤ ط دار الفكر دمشق ١٩٧٩م

التعليمي وفق برنامج أعد سلفا الي إطار مدرسي متكامل يتضمن شحنات للعقل والوجدان في نسق واحد يتناغم مع سائر المؤسسات المحيطة في نطاق نطاق المدرسة وخارجها . وليس ذلك بعسيرفدروس الآداب الفرعونية القديمة (بما تضمنته من شعر ونثر كان لها تقديرها البالغ في المناهج التعليمية، وكانت دروس هذه الأطفال تبدأ مع التلميذ فى المرحلة التعليمية الأولى بفقرات بسيطة، ثم يواصل دراستها في مرحلته المتقدمة بنصوصها الكاملة[1] وإستقراء معظم البرديات المصرية القديمة التي تتضمن الحياة لتربوية والتعليمية في مصر الفرعونية يدلنا على دقة ذوق ووعى بالغ عند إختيار المصرى القديم للنصوص الأدبية، فهى تبتعد عن الغموض، والتعقيد، والتكرار فى غير موضعه ، والتكريس والنصح المباشر كما كانت المدرسة التربوية المصرية القديمة تشجع فى الطفل الجانب الإبداعي وتعد الناشئ (بالإشتراك فى الهيئة الحاكمة، ويخير أسمى وخلود يذكر لمن يستطيع أن يؤلف كتاباً يطالعه الناس ويلتمسون فيه سحره.. سحر بيانه وحكمته)[2].

مفهوم الطفولة :

أوضح الإستقراء السابق لمفاهيم التربية طبيعة العلاقة بين التربية والأدب ونستعرض فيما يلى المفهوم اللغوى والإصطلاحى للطفولة باعتبارها الشريحة* الإجتماعية محور البحث الأدبى فى موضوع الكتاب. فالطفولة مرحلة عمرية من عمر الكائن البشرى تتسم بأطول وأدق مرحلة طفولة بين سائر المخلوقات.

قال الله تعالى فى القرآن الكريم فى شأن معجزة خلق الإنسان (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) الاية ٢ سورة الإنسان وفى شأن كمال خلق الإنسان : (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) الآية ٤ سورة التين (الذى خلق فسوى، والذى قدر فهدى) الآيتان ٢، ٣ سورة الأعلى. وعلمه سبحانه البيان: (الرحمن.علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان) الآيات (١ - ٤) سورة الرحمن. وميزه عز وجل بالحواس : ألم

(١) التربية والتعليم في مصر القديمة ، د. عبد العزيز صالح ، ص ٢٣٣ ، الدار المصرية للتاليف والنشر١٩٦٦ .

(٢) المرجع السابق ٣٦٩ .

* أكبر شريحة بشرية في أي مجتمع انساني هي الشريحةالاجتماعية التي تضمها مرحلة الطفولة ويمثل حجم الطفولة العربية نحو اربعين فى المائة من اجمالي السكان ، وتزيد هذه النسبة قليلا في مصر لارتفاع معدلات النمو .أنظر : تعداد السكان لعام ١٩٨٦ الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء .

نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين) الأيات ٨ : ١٠ سورة البلد. تدلنا الأيات البينــات السابقات عن معجزة خلق الإنسان الذى كلفه الله عز وجل بحمل الأمانه والنهوض بتبعاتها الثقال العظام، وقد زوده- سبحانه- بالعقل والسمع والبصر والفؤاد، وسائر الحواس لتى تؤهله للإدراك والمعرفة. ومنذ أن قال سقراط (-٤٦٩ق.م) كلمته المشهورة: أعرف نفسك، ومحاولات الباحثين لم تنقطع بحثاً عن حقيقة الإنسان فى جانبيه المادى والروحى... فقد شهد القرن الحالى ثورة معرفية شملت كل جوانب الحياة. ثورة حققت للإنسان فرصا أفضل للعيش والسيادة على الأرض كخليفة لله عليها. وبعد أشبْع مادى لانسان الحضارة المادية الحاكمة وباثارها الطاحنة، رأيناه يتوجه- ضمن توجهاته المتعددة إلى الطفولة ليعيد تشكيلها باعتبار الطفولة بداية الحياة، ولقد ساعده فى ذلك ما قدمته الدراسات البيولوجية والنفسية من براهين على أن الطفل هو ابُ الرجل، وأن الأمة كالفرد. من هنا أخذ العلم المعاصر يبحث فى علم ودأب حول الطفولة حيث بداية تشكيل الإنسان، فمع بداية هذا القرن، زاد إهتمام الدراسين بالإنسان فنشأت علوم متخصصة تعنى بالظاهرة الإنسانية من جوانبها المتعددة، النفسية والإجتماعية والصحية والبيولوجية والثقافية والإنثروبولوجية، وبفضل الإكتشافات والنتائج المذهلة لهذه العلوم إستطاع المؤلف أن يفيد منهاأى بحث ، ويأخذ عنها فى إطار الإتجاه الجديد المسمى بوحدة العلوم تجاه الظاهرة موضوع البحث. والإنسان الفرد فى جانبيه المادى والروحى. تتصل به ككائن حى عاقل العلوم الإنسانية: علم النفس وعلم الإجتماع وعلم الإنثروبولوجيا وغيرها من العلوم التى تبحث فى أسرار خلقه، وتنشئته الإجتماعية وتطبعه الإجتماعى، كما تدرس الإنسان فى مراحل نموه من المرحلة الجنينية إلى مرحلة الشيخوخة ، وفى علاقته مع البيئة بشقيها المادى، والثقافى ، وكما حدث تقدم مماثل على علم النفس الإرتقائى وما صاحبه من بحوث عميقة لمراحل النمو، وأهمها ما تعلق بالوراثة والذكاء واللغة. كما قامت على دراسة سيكولوجية اللغة مباحث مستحدثة، أبرزها مبحث علم اللغة النفسى Psycholonguistics الذى يدرس السلوك اللفظى للمتكلم. أى اللغة فى نسق مواز مع دراسة نشاط العقل الإنسانى، أى الارتباط بين اللغة والفكر. وهذا ما أشار إليه الشاعر العربى بقوله:

إن الكــلام لفــى الفــؤاد وإنمــا جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

ومرحلة الطفولة هى فترة الحياة التى تبدأ منذ الميلاد حتى الرشد، وهى تختلف من ثقافة

إلى أخرى ، فقد تنتهى الطفولة عند البلوغ، أو عند الزواج، أو يصطلح على سن محددة لها [1].

كما قسم علماء علم نفس النمو مراحل الطفولة إلى أربع مراحل هى :

(١) المرحلة الجنينية.

(٢) مرحلة الطفولة المبكرة.

(٣) مرحلة الطفولة الوسطى.

(٤) مرحلة الطفولة المتأخرة.

ومع تنوع الخصائص المميزة لكل مرحلة من المراحل السابقة ، - وجد - الإختلاف غير الجوهرى حول عدم إصطلاح العلماء لتحديد سن محددة تنتهى عندها آخر مرحلة من مراحل الطفولة، وأسباب ذلك تعود إلى الفروق الفردية بين النوعين الذكر والأنثى من ناحية ولتغير العوامل البيولوجية والبيئية من ناحية أخرى. ومهما يكن من أمر فإن وصول الطفل الناشئ إلى سن البلوغ ككائن بالغ عاقل هى ما يمكن أن تقف بنا عند نهاية مرحلة الطفولة.

الطفل لغة :

وردت لفظة الطفل فى القرآن الكريم أربع مرات: أثنتان منها تشيران إلى المرحلة المبكرة :قال تعالى (هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) الاية ٦٧ سورة غافر. (نقر فى الأرحام من نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم) الآية (٥) سورة الحج واحدة للمرحلة المتوسطة من عمر الطفل، قال عز من قائل : (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) ألآية (٣١) سورة النور. والأخيرة لمرحلة الطفولة المتأخرة « وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما أستأذن الذين من قبلهم» الآية ٥٩ سورة النور. وفى لسان العرب لابن منظور تفصيل للأصول اللغوية للفظة طفل فيذكر: قال الزجاج: «.. طفلاً هنا فى موضع أطفال يدل على ذلك ذكر الجماعة وكان معناه ثم يخرج كل واحد منكم طفــلاً... والطفـــل والطفلة : الصـغيـران والطفـــل الصغير مـــــن

---

(١) قاموس علم الاجتماع ، إشراف ومراجعة د. عاطف غيث ، ص.٥ طـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ ، ويعرف المعجم الوجيز ، الطفل المولود حتي البلوغ ، والطفولة المرحلة من الميلاد إلي البلوغ ، مجمع اللغة العربية القاهرة

كل شئ: الطفل بالفتـح الرخص الناعم، والجمع طفال وطفول » [1] والطفل الصغير من كل شئ اذا بين: الطفل والطفالة والطفولة والجمع أطفال [2] والطفل لغة فى المصباح المنير بمعنى الولد الصغير من الإنسان والدواب، ويكون الطفل بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والجمع .. ويبقى هذا الأسم للولد حتى يميز ثم لايقال له بعد ذلك طفل، بل صبي وحزور ويافع ومراهق وبالغ، وفى التهذيب يقال له: طفل إلى أن يحتلم [3] وفى مختار الصحاح الطفل بمعنى: المولود وولد كل وحشية أيضاً والجمع أطفال. وقد يكون الطفل واحداً وجمعاً .. والطفل بفتحتين والطفيلى الذى يدخل وليمة لم يدع إليها [4]. " وعلى شاكلة مثل هذا التوارد والتوافق والترادف وردت لفظة الطفل فى ثنايا أمهات كتب التراث الشعرى واللغوى بخاصة، والنتاج الفكرى بعامة، وأن إختلف المسمى من طفل إلى صبي أو من ولد إلى غلام، وقد أقسم الله عز وجل بالولد فى سورة البلد (ووالد وما ولد) الآية ٣ سورة البلد.

وفى اللسان الولد: هو الصبي يولد ... والصبي يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم، وفى مادة (صبا) ، الصبي: الغلام والجمع صبية وصبيان والمصدر الصبا ، والصبوة: جهلة الفتوة .. والصبا من الشوق يقال منه تصابى وصبا يصبوه وصبوا ، أى مال إلى الجهل والفتوة والصبا ريح تستقبل البيت، قيل لأنها تحن إلى البيت [5] وتدور مادة (ولد) فى سياق القرآن الكريم حول معان وموضوعات عديدة غير أننا نلحض إقتران مادة (ولد) فى المعنى القرآنى بأمرين: أولهما: المال باعتبار أن المال والبنون زينة الحياة الدنيا وهما أيضاً الثروة في جانبيها المادى والبشرى، والأمر الثانى: التأكيد على رفض أن يكون للرحمن ولد، قال الله عز وجل (قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) الآية ٨١ سورة الزخرف مما يدل على أعطاء البنوة- تعالى الله عنها علوا كبيراً- مكانه سامية (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً) والآية (٩٢) سورة مريم . وتعنى لفظة الصغار: مصدر الصغير فى القدر، لأن الصغار لغة فى اللسان: الصغار بالفتح الذل والضيم وكذلك الصغر بالضم والمصدر الصغر بالتحريك.. والصغر ضد الكبر.. ويقال لصبي من صبيان العرب إذا نهي عن اللعب: أنا من الصغرة، اى من الصغار، وأرض مصغرة نبتها صغير لم تطل. والتصغير للإسم والنعت يكن شفقة وتحقيراً ويكـــــون

(١) لسان العرب لإبن منظور ص ٢٦٨١ – ٢٦٨٢ ، ط دار المعارف . د. ت.

(٢) المصدر السابق ، ص٢٦٨٢

(٣) مختار الصحاح ص ٤٠٥

(٤) اللسان، مادة ولد ، ص ٢٦٨١

تخصيصاً [1] وقد قال الله تعالى فى مناسبة الدعاء للوالدين بالرحمة جزاء تربية الولد صغيراً: (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً) الآية ٨ سورة العنكبوت. أما الغلام لغة فى المصباح المنير: فهو الابن الصغير، وجمع القلة غلمة بالكسر، وجمع الكثرة غلمان يطلق الغلام علي الرجل مجازاً.. والولد : بفتحتين كل ما ولده شئ ويطلق على الذكر والأنثى والمجموع.. ويقال للصغير مولود ويطلق على الذكر والأنثى والمثنى والمجموع.. ويقال للصغير مولود لقرب عهده من الولادة ولا يقال ذلك للكبير لبعد عهده عنها [2]. وقد ربطت العرب قديماً بين صغار الإبل (دردق) وصغار الإنسان، وقد دعى الأعشى إلى وليمة فقال شعراً فى آل المحلق:

نفى الذم عن آل المحلـق جفنـه   كجـابية الشيخ العراقى تفهق

ترى القوم فيها شارعين وبينهم   مع القوم ولدان من النسل (دردق)

وتدور مادة (بنى) فى اللسان بين معانى البنوة، قال الزجاج. (.. ابن كان فى الأصل بنوا أو بنوة. وجمع الابن أبناء، وجمع البنت بنات والبنوة مصدر الابن يقال: ابن بين البنوة، وفى التنزيل الحكيم : من سورة هود: (هؤلاء بناتى هن أطهرلكم) وقال لبيد فى معنى الشرف:

فبنى لنا بيتاً رفيعاً سمكـه   فسما إليـه كهلهـا وغـلامهـا

وقال عمرو بن كلثوم فى معلقته :

إذا بلـغ الفطـام لنـا صبـى   تخر لـه الجبـابر سـاجـدينـا [3]

فالصبى هو المولود حتى البلوغ والغلام : الصبى من حين يولد إلى أن يشب [4] .

الطفولة والعلوم المعاصرة :

توفرت العلوم الإنسانية الحديثة للعناية بدراسة الطفولة تربية وتعليماً أو تثقيفاً بإخضاع الأطفال فى مراحل نموهم المتدرجة لمناهج وأدوات التفكير العلمى وصولاً إلى فهم الطفولـة

---

(١) اللسان، نفسه .

(٢) المصباح المنير ، ص ٥٧١ .

(٣) اللسان ، لإبن منظور ، مادة بني ، ص ٣٦٢ - ٣٦٤ .

(٤) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربيه ، ص ٥٤ - طـ القاهرة د. ت .

ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وأثمرت تلك الجهود العلمية عن ظهور علوم مستحدثة معاصرة من مثل علم النفس النمو أو علم النفس الإرتقائي وعلم اللغة النفسي (علم نفس اللغة) كمجالات جديدة من مجالات ميادين علم النفس.

وتطورت كذلك ميادين علم الإجتماع لدراسة الطفل فنشأ أخيراً علم إجتماع نمو الطفل كما عنى علم الانثروبولوجيا خلال العقود الأخيرة بالطفولة وعلاقة الجوانب الثقافية بشخصية الطفل وسلوكه واتسمت الجهود المعاصرة في مجال دراسات الطفولة بالتخصص الدقيق كامتداد فكري للصيحة القديمة التي أطلقها سقراط (٤٦٩-٣٩٩ ق.م) يوم قال: (أعرف نفسك) والصيحة التي أطلقها جان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨م) يوم قال: (أعرفوا الطفولة). ان هذا الكائن الفريد الذي أسمه الطفل، كان دائماً ولا يزال موضع الإهتمام والتأمل والدراسة من قبل المحيطين به ومن قبل كثير من العلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء، وقد حظيت العلوم الإنسانية بالنصيب الأكبر في ذلكم الأهتمام ، والواقع أن التعرف على الإنسان المحبب والمستهدف طفل الحاضر - هو رجل المستقبل - يتطلب عملياً الأخذ الدرس العلمي المتكامل، فليس بوسعنا فهم عقل أو وجدان الطفل من خلال نظرة علمية منفردة لأحد العلوم الإنسانية أو الطبيعية بل من خلال جهود علمية تتضافر عليها (كل العلوم التي تعنى بالإنسان وأحوال الإجتماع البشري. وتعتبر دراسة الأطفال واحدة من المعالم التي يستدل بها على تبلور الوعي العلمي في المجتمع لأن الوعي العلمي الذي يشكل نتيجة لشروع عمليات التفكير والبحث العلمي يقود إلى تكوين أفكار مرنة وموضوعية ومتكاملة وشاملة عن الإنسان وواقعة ومستقبلة وتعتبر دراسة الطفولة جزءا من الإهتمام بالواقع والمستقبل معاً) (١) .

والأدب بإعتباره تجسيداً فنياً للحياة والفكر والوجدان ، من المجالات المستحدثة من حيث التأصيل والابداع - لجمهور الخبراء وللطفولة - ، لان الأدب نثره وشعره ليس حكراً على الكبار وحدهم فالطفولة هي جمهور الأدب في المستقبل بمثل ما هي نواة الأدب في الحاضر، ولأدبيات الطفل أعظم الأثر في إعداد الأجيال الناشئة بما لادب الأطفال من دور ثقافي متدرج مع قدرات الأطفال ومداركهم ومراحل نموهم العقلي والنفسي والوجداني.

يقول الزمخشري(٢) في معنى قوله تعالى "ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه

(١) ثقافة الاطفال، د. هادي نعمان الهيتي ، ص ١٥ عالم المعرفة ،الكويت ١٩٨٨ م

(٢) الكشاف للزمخشري ، جـ ص ٥٦ ، ار الفكر بيروت د.ت.

النجدين" سورة البلد. ألم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات ، "ولساناً" يترجم به عن ضمائره، "وشفتين" يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق ... "وهديناه النجدين" القدرة على التمييز بين الأشياء ومعرفة الحق من الباطل. انها حواس الطفل التي خلقها الله له ، وعن طريق هذه الحواس يدرك الطفل ومن ثم يحس ويتعلم ويتنبه ويتذوق. ويفسر العالم السويسرى جان بياجيه (١٨٨٦-١٩٨٠م) هذا المفهوم أنه يعنى إنتقال الطفل وبالتدريج من (محاولات الفهم والتفكير إلى المعانى المجردة، أو من المحسوسات إلى التجريدات) (١) والطفولة فى النهاية هى ثمرة القلب، وعز الأهل ، ومهجة النفس، وسعادة الأسرة، وأغلى ثروات الأمة لانها تعكس الصورة الواقعية لمستقبل الأمة ورقى البشرية. ولا شك أن الأدب بفنونه وأهدافه ؛ ومؤهل فى كل زمان ومكان لتعبيد الطريق الصحيح أمام الأجيال الناشئة ، متعة ومنفعة فوق دروب الحياة المنشودة.

الأدب والطفولة :

تعرضنا فيما سبق لبعض المفاهيم اللغوية والإصطلاحية "للتربية" : بغرض أيضاح أوجه الأئتلاف والإختلاف مع " الأدب". أذ الفروق بين التربية والأدب لاتعنى التعارض بينهما فهناك علاقة ترابطية فى بعض مقاصدهما كما يستهدف كليهما الإنسان ، لذلك تطلب المدخل إلى أدبيات الطفل إستقراء المفاهيم التربوية فى القديم والحديث مع الوقوف عند معاجم اللغه واراء بعض علماء الدراسات الإنسانية لمفهوم أو تعريفات الطفولة مع الإستدلال بالشواهد القرآنية ونتائج علم النفس فى تحديد مفهوم الطفولة. لاجدال حول أهمية الأدب- شعره ونثره- فى نقل تراث البشرية وخبراتها من جيل إلى جيل، والأطفال هم القطاع الممتد من عمر الإنسان المؤهل بخاصتين هامتين تجاه الأدب وتذوق فنونه. أولاهما الإستعداد الذاتى والفطرى للإستمتاع بفنون الأدب والإستجابة لغاياته وتأثيراته، والثانية النقاء الوجدانى والقدر على التخيل لان الطفل (الذى يترعرع فى بيئة منظمة مرتبة، مؤسسة على كل القيم الجمالية يستطيع عن طريق تفاعله مع هذه البيئة أن يشترب منها أسس الجمال، وبالتالى يكتسبها فى نفسه، وسيعكس هذ الأسس حتما فى سلوكه مع الأخرين، وبتنظيم العالم الخارجى فى أيقاع وتوافق ، كالإيقاع والتوافق الذى نجده فى الموسيقى والرقص ، الألعاب ، والشعر و التصوير والنحت، وهذا الإيقاع والتوافق نفسه يمكن أن يكون حصيلة أساسية فى كيان الفرد) (٢) أنها فى النهاية الثمـــــرة

(١) الانسان وعلم النفس ، د. عبد القادرسليم ، ص١٢٣ - ١٢٤ - عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٧

(٢) طرق تعلم الفنون ، د. محمود بسيوني ، ص ٣١ - ٣٢ ، ط ١ دار المعرف ١٩٦٣ .

الوجدانية بحيث تنمو حاسية الفرد للدرة التى تجعله يستجيب إستجابة إنفعالية كى يستمتع وينتفع بالأدب أوالفن. وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن الأدب فى - اطاره الإيقاعى - كالإيقاع الموسيقى فى الشعر يضيف إلى خيال الطفل مدركات جديدة كما يعمق من تفكيره ويغذى مشاعره. والإبداع الأدبى الموجه أساساً للطفل ، يسعد هؤلاء الأطفال ويسليهم وبالتالى (يطور وعيهم وطريقة فهمهم للحياة ... وينمى إدراكهم الروحى ، ومحبتهم للجمال) [1] إن الاشباع العاطفى واثارة الانفعال الايجابى بالأدب عند الطفل من خلال التربية الوجدانية يحقق أهم غاية تستهدف بناء الإنسان فالأدب فن تعبيرى يحرك المشاعر ويقوم على التذوق والاستجابة وتنمية الإدراك والخيال.

يقول الشاعر أحمد زكى أبو شادى من قصيدة له تحمل هذه المعانى أنشدها فى مناسبة ميلاد نجل المرحوم الأديب كامل كيلانى [2].

والطفل عبد للخيال وسيد | فى الناس يحكم آمراً مأموراً

والأدب بفنونه الجمالية ما هو إلا وسيلة من وسائل التعبير عن إنفعالات الانسان وعواطفه، وخبراته ، وكلما نما الطفل يمكنه أن يكتسب قيماً من بيئته والنتاج الأدبى الحاضر لم يفقد نظرته للقيم العليا التى حفظها الضمير الجمعى للأمة، غير أن الأدب الإنشائى أوالوصفى لم يحظ بإهتمام خاص منه كى يصوغ قواعد أدب الطفل ومعاييره. والطفل ذلك الكائن البشرى، النقى المتخيل الواعد يمثل الشريحة الإجتماعية القاعدية فى أى مجتمع، ورقى هذا المجتمع أو ذاك يأى نتيجة منطقية لما تقدمه مؤسسات المجتمع للأجيال الناشئة من إعداد تربوى متكامل، أو بعبارة أخرى من خلال بناء معرفى وجدانى متناغمين. أن النزعات التجديدية فى ميادين الفن، الأدب، والسياسة، والفلسفة وغيرها من الإتجاهات التى واكبت منجزات العلم وتعقيدات الحضارة المادية الحاكمة، من أهم الدوافع التى مهدت التربة لبداية جادة وجديدة تستهدف تحرير الأجيال الناشئة من سلبيات الحضارة المادية ومن الإسار التاريخى للنظم أو البرامج المدرسية الضيقة الجامدة، إلى آفاق منهجية جديد تخاطب الوجدان بميزان مساو للعقل بحيث يأخذ الطفل فى عملية تعلم واسعة المدى يذهب فيها الخيال إلى أعماق الماضى السحيق، وينطلق خارج هذا العالم ويتعرف على جوانب الحياة... وهنا يأتى (دور أدب الأطفال بأجناسه

(١) في أدب الاطفال ، د. علي الحديدي ، ص ٦٣ ، ط ٢ الانجلو المصرية .

(٢) انظر: كامل كيلاني في مرآةالتاريخ ، أحمد زكي ابو شادي ، ص٦٨٣ القاهرة ، د.ت.

الأدبيــة ذات المغزى الروحى والوطنى، لينمو الصغير من حالة التمركز حول ذاته إلى كائن إجتماعى يتمركز حول الآخرين، ويتحول من المتعة إلى الأحتمال إلى المشاركة الوجدانية ومن المشاركة الوجدانية إلى الأحساس العقلى بشعور الآخرين [1] .

وعندما نستقرئ المناهج المدرسية فى النظريات التربوية المعاصرة سنكتشف تركيزها على الإهتمام بالجانب الوجدانى الذى أهمل طويلاً، ففى ألمانيا الغربية- وهى من الدول الحضارية الكبرى فى العالم ترتكز فى مناهجها المدرسية حتى الصف السادس من التعليم الأساسى على مايلى: الدين، اللغة، الموسيقى ، الفن ، التاريخ ، الإجتماع الجغرافيا.. ثم يأتى التخصص بعد ذلك أى بعد إنتهاء من اجازة المستوى الإبتدائى (الحلقة الأولى من التعليم الأساسى) [2] ونحن فى ضوء ذلك فى أشد الحاجة إلى الأدب الوجدانى الموجه للطفل، ليسير هذا لجانب الفعال فى نسق مواز للبناء المعرفى. واذا كان الإهتمام السائد يتناول أوجه الرعاية الجسمية والتعليمية فإن البناء الوجدانى للطفل يجب أن يدخل دائرة إهتمامنا ومحتوى مناهجنا وأساليب تربيتنا المدرسية والأسرية ، وقد رأى أبن المقفع قديماً أن حاجة الفرد للأدب أسرع للعقل من الغذاء للجسد يقول فى مقدمة الأدب الصغير (ليس غذاء الطعام بأسرع فى بنات الجسد من غذاء الأدب فى بنات العقل والعقول سجيات وغرائز بها تقبل الأدب ، وبالأدب تنمو العقـــــــول وتزكو..) [3].

فالأطفال صفحات نقية من كتاب البشرية المفتوح بالبراءة والخيال، ومشاركتنا الوجدانية للطفل، وفهمنا لإتجاهاته وميوله، يجب أن تجعلنا نستخدم الأدب بفنونه ومقاصده كى يندمج الطفل فى الحياة، فعن طريق التربية الوجدانية يتهذب ذوق الطفل ويصقل ، وتنمو ميوله الإبتكارية. ويكتشف قيماً إيجابية فعالة تجعله أكثر أرتباطاً بالمجتمع وأكثر إندماجاً- من بعد -مع عالم الشباب والكبار، إن ما يكتسبه الأطفال من عشق قيم الجمال وتذوقها لابد وأن ينتقل فى حياة الإنسان من التخصص المنصّب على الصورة، والتمثال ، وقصيدة الشعر إلى ميادين الحياة نفسها.. ان ما نعلمه للأطفال ما هو إلا وسائل للتعبير تعتمد على الأصوات، والألفــــاظ

---

(١) في أدب الاطفال ، د. علي الحديدي ، ص ٦٢ .

(٢) التربية في المانيا الغربية تأليف هانزج لينجز واخرين ، ترجمة د. محمد عبدالعليم موسي ، ص. ٦٨، ط مكتب التربية العربي لدول الخليج . د.ت.

(٣) آثار ابن المقفع ، لعبد الله بن المقفع ص ٣١٨ – ٣٢٠ ط بيروت د.ت.

والخطوط والألوان ، وهى تساعد الفرد فى تعميق رؤيته الجمالية، وعاداته، واتجاهاته، ومعلوماته، ومهارتـــه فى صلتها بالكون الذى يحيط به [1] أن النتائج العملية لعلم النفس الإرتقائى- فى العقود الأخيرة- تعطينا مجموعة حقائق هامة ، كى نغير من رؤيتنا المحدودة لعالم الطفل وخياله ولعل تراثنا الشعبى كان الأسبق فى حدسه وفى صدق مقولاته مـــــن أن (الطفل أب الرجل) (أسال عن المنبت) (هذا الشبل من ذاك الأسد). وأجدادنا الأوائل هم فى نشأتهم وفطرتهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، وهم خالدون بيننا بعبقريتهم الشعرية واللغوية والأدبية، أما ناشئة اليوم – حفدة – هؤلاء الأجداد، فيقف المجتمع بنظمه التربوية عاجزاً عن إستثمار ثروته البشرية الحاضرة. ويكفى أن تطرح بين ضمائرنا وعقولنا النتائج العملية التى أحرزتها دراسة ميدانية هامة حول الطفولة وخصائصها الدالة أجراها عام ١٩٦١ وايزبرج وسبرنجر Weis-berg & Springer وأسفرت عن أن الأطفال يتميزون بالخصائص الأتية: (البراعة فى التخيل ، الإستجابة للإيقاع والحركة والألوان ، قوة صورة الذات سهولة إستدعاء الخبرات المبكرة[2].

علاقة مفاهيم الأدب بالطفولة :

غاية هذا المبحث الوصول مع نهايته إلى مفهوم علمى لأدب الطفل كنوع أدبى يتفرع من شجرة الأدب الكبرى ، وقد تطلب ذلك بداية الإستقراء لكل من : التربية بمعانيها وعلاقتها بالطفل والأدب ، والطفولة بتعريفاتها وعلاقتها بالعلوم الإنسانية المعاصرة بعامة، والأدب بخاصة. وبقى أن نطوف مع " الأدب" لفظة ومعنى لنكمل بذلك الحلقة المحورية فى مجال أدبيات الطفل تمييزاً لهذا الجنس لأدبى المستحدث عن برنامج التعليم المدرسى من ناحية ، وعن سائر النتائج المعرفى والتاريخى والثقافى الموجه للطفل من ناحية أخرى ، بادئ ذى بدء نقف أمام مسلمة أساسية وهى أى علماء اللغة والأدب لم يدونوا عبر التاريخ الأدبى أى تعريف (محدد) للفظة " الأدب" برغم السمة الإنسانية المشتركة فى نتاجه الإبداعى- كما أن علماء اللغة والأدب والنقد استطاعوا تقعيد وتقنين أشكاله التعبيرية وفقاً لقواعد ومذاهب ثابته ومتجددة – لكنه برغم هذا وذاك – تبقى للأدب خصوصيته كابداع فنى خلاق يتصل بالشعور والادراك معاً .

---

(١) طرق تعليم الفنون ، د. محمود البسيوني ، ص٢٥ – ٥٩ .

(2)Weisberg & Springer, K.J.Environmental factors in Creative Function Archives of General Psychiatry,1961,p,564.

وقد إستعرض الدكتور مجدى وهبة - غير مرة - فى كتابه " معجم مصطلحات الأدب " معنى الأدب فى إستقراء إصطلاحى لدوران "لفظة الأدب" فى تاريخ أدبنا العربى فيذكر :

الأدب :

١ - التهذيب والخلق : كقوله صلى الله عليه وسلم : أدبنى ربى فأحسنَ تأديبى . صدر الإسلام.

٢ - التعليم : واشتق منها بهذا المعنى (المؤدبون) الذين كانوا يلقنون أولاد الخلفاء الشعر والخطبة وأخبار العرب وانسابهم فى الجاهلية والإسلام عصر بنى أمية.

٣ - أدب السلوك : التى يجب أن تراعى عند طبقة من الناس ... أدب الكاتب لابن قتيبة.

٤ - كل المعارف غير الدينية التى ترقى بالإنسان إجتماعياً وثقافياً ... أخوان الصفا فى القرن الرابع للهجرة.

٥ - جميع المعارف دينية وغير دينية .. ابن خلدون - ٨٠٨هـ.

٦ - التهذيب والتعليم معاً .مثال ذلك الأدب الكبير والأدب الصغير لابن المقفع.

٧ - الكلام الإنشائى البليغ الذى يقصد به التأثير فى عواطف القراء والسامعين، الأدب الإنشائى (المعنى الخاص منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى).

٨ - كل ما ينتجه العقل والشعور (المعنى العام منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى.[1] .

ويقول الدكتور طه حسين فى فقرة من كتابه فى الأدب الجاهلى حول معنى الأدب فيذكر :" ليس لدينا نص صحيح قاطع يثبت أن لفظ " الأدب" وما يتصرف منه من الأفعال أو الأسماء كان معروفاً أو مستعملاً قبل الإسلام أو إبان ظهوره.. ثم كان الأدب: ما يؤثر من الشعر والنثر ، وما يتصل بهما لتفسيرهما والدلالة على مواضع الجمال الفنى فيهما، وكان هذا الـذى

---

(١) معجم مصطلحات الأدب ، د. مجدي وهبة ، ص ٥ -٦ ، بيروت ١٩٧٤ م.

يتصل بالشعر والنثر، لغة حينا ونحوا حينا، ونسباً وأخباراً حينا ثالثاً، ونقداً فنياً في بعض الأحيان . أما الأدب في أبسط علاقة له بالشعور فهو (النتاج العاطفي الذي يعبر فيه صاحبه بالألفاظ عن شعور عاطفي، وفيه إثارة للقارئ وللسامع، أي ذلك التعبير اللفظي العاطفي المثير) [١] [٢] والأدب بصفة عامة شجرة تجمع ألوان الفنون التعبيرية وهو أكثر الفنون إنتشاراً وتأثيراً . فالأدب يضم تحت مظلته فنون الشعر والقصة والرواية والمسرحية والمقالة و الخاطرة وترجمه الحياة وغيرها، وجميعها تقوم في الأساس على حفز المشاعر وتحريك القلوب، وتنمية المدارك، ويمكن تعريف الأدب في أطار وظيفته الجمالية بأنه الإبداع الفني لنماذج متنوعة في مجالي النثر والشعر وهو تجربة القارئ حين يتفاعل مع النص طبقاً لمعانيه الخاصة ومقاصده ودلالاته (ولكن نحدد الأدب تحديداً مفيداً فمن الضروري أن نفكر في وظيفة الكلمات والصور، كيف تؤدي النماذج وتقدم رموز التجربة الجمالية التي يود الأديب التعبير عنها، وبمعنى آخر، كيف تساعد الرموز القارئ على إدراك النماذج والعلاقات والشعور والأحاسيس التي تنتج عن تجربة الفن الداخلية، وهذه التجربة الجمالية يمكن أن تكون خلقاً لتجربة جديدة أو إمتداداً لتجربة حاضرة أو إعادة لتركيب تجربة ماضية [٣] . وعلاوة على الدور المدرك للفن هناك مقاصده التربوية والأخلاقية: (وهناك مغزاه التعليمـــي ...إنه يؤثر أول ما يؤثر على أحساسنا ويستحوذ على انفعالنا) [٤] .

فقد كان الأدب – وما يزال – هو الذي يصور حقائق النفس البشرية بأسلوب تعبيري جميل، فالأدب سجل للأفكار وعرض للمشاعر، وبواسطة الفنون الأدبية يكشف الإنسان عن خلجات النفس الإنسانية بكل آمالها وآلامها . كما تردد مفهوم الأدب بين الأجيال ليعبر كذلك عن الخبرات والمعارف الأداب الحسنة، التي يلقنها الآباء للأبناء ليواجهوا الحياة ويسلكوا فيها سلوكاً محموداً ، وهي نظرة أخلاقية تعني المنفعة والمتعة وتحمل كثيراً من معاني الحياة التي تنظمها السلوكيات والأخلاق والفن والإبداع جميعاً . فالنتاج العقلي المدون في كتب هو مــــن

---

(١) في الأدب الجاهلي ، د. طه حسين ، ص٢٣ – ٢٧ ، ط دار المعارف ، د.ت .

(٢) في تاريخ الأدب الجاهلي ، د. علي الجندي ، ص. ٩٧ ط دار المعارف ، د.ت.

(٣) في أدب الاطفال ، د. علي الحديدي ، ص ٦٧ .

(٤) مدخل الي الأدب الاسلامي ، د. نجيب الكيلاني ، المقدمة ، قطر ١٩٨٧ .

المعانى الشائعة للأدب فى العصر القديم ، أى من زمن الجمع والتدوين (القرون الهجرية الثلاث الأولى) أما المعنى الخاص للأدب قديماً فيدل على الكلام الجيد الذى يحدث عند تلقيه لذة فنية إلى جانب المعنى الخلقى. وفى ذلك كتبت التصانيف وظهرت التآليف ونظمت الأشعار الدالة حول هذه المفاهيم عن معنى أو معانى الأدب. يقول الشاعر المخضرم سهم بن حنظلة الغنوى:

لا يمنع الناس منى ما أردت ولا   أعطيهموا ما أرادوا حسن ذا أدباً

أى أنه يهذب النفس بنتاجه ويخاطب الوجدان بروائعه. والأدب ايضاً (ومعه معظم المعارف الانسانية الكبرى التى تمس الشعور والوجدان وتتمرد على المادة والتجسيم ... تأبى أن يكون لها تعريف جامع ومانع، وأن الوسيلة إلى معرفتها هى الحس والشعور وليس العقل والمنطق والتقنين) [1] فالأدب – بمفهومه الفنى الحديث والمعاصر– يختلف عن مفاهيم عديدة التصقت به عبر تاريخ الأدب العربى ، لغة واصطلاحاً مثل معانى التأديب، والأدب، والمأدبة ، وتهذيب الخصال ، وإصلاح السلوك وإكتساب العادات الحميدة وهو فى النهاية مجال تعبيرى مكتوب له فنونه النثرية والشعرية... مجال رحب محبب إلى النفوس، يستأثر بالقلوب ويستهدف تنمية الوعى والشعور والأحاسيس، وهو مع ذلك كله علم من العلوم الرئيسية التى لاغنى عنها فى كل أمة فى أعز مالديها اللغة وأدابها وما يدور حولها من تأصيل وتحديث .

من المعلوم أن الفروق ظاهرة بين لفظة الأدب وتطور معانيها- كما ألمحنا سابقاً- كما أن معنى كلمة الأدب يختلف من فرد إلى آخر إختلافات بعيدة، اذ يختلف الأدب فى مفهومه عند الفرد الواحد تبعاً لإختلاف تطوره الزمنى والعقلى، كذلك يثار الجدل الفكرى فى كل مجتمع حول الأدب ووظيفته وما ينشأ عن ذلك من توليد لمذاهب أو نظريات أو أنواع أدبية تعبر عن فلسفة الأدب ومفهومه فى فترة ما وفى أدب او آداب مختلفة، ومن ثم تتطور أو تتغير المذاهب والنظريات حول الأدب ويبقى معنى الأدب فى الوجدان الفردى الجماعى من خلال النتاج الإبدعى المكتوب، وغاية ما يمكن أن نقوله أن الأدب فوق كونه أهم الفنون التعبيرية الجميلة باللغة، وهو علم له أصوله وقواعده ومذاهبه وغاياته، فلا يوجد الأدب بدون الإستعمال اللغوى بإعتبار اللغة أداة ضرورية لنقل الأفكار والمشاعر ويتطلب فى الأدب تقعيد هذه الوسيلة الضرورية وتنظيمها وتطويعها خلال بناء المبدع للنص الأدبى، ويحسم المعنى الدلالى لالفاظ اللغة فى النص الأدبى المقاصد التى يثيرها الأدب عند القارئ ، فالقارئ

---

(١) تذوق الادب طرقه ووسائله ، د. محمود ذهنى ، ص ١٦ – ٢٢ ط. الانجلوالمصرية .

يستقبل المفهوم العام للأدب ثمرة (جاهزة) للتمثل والهضم عناصرها اللغه، وقواعدها ، الاطار الشكلي ، والبيان إلى أخر الأطر البلاغية واللسانية والجمالية. ومهما يكم من شئ فإن الأدب كفن إبداعي خلاق ينهض بالأدوار الإيجابية في المجتمع من خلال التناول الأدبي لمفاهيم الحق والخير والجمال.

وقد أحس الرسول الكريم (صلعم) بأهمية الأدب وعمق تاثيره في الحياة والأحياء فأقام للشعر منبراً في المسجد، كما قال عن شاعره حسان انه ينطق بروح القدس، كما قال أيضاً : (أن من الشعر لحكمة وأن من البيان لسحراً) وفي الحديث النبوي الشريف ما يؤكد الإهتمام بالأدب بعامة والشعر بخاصة. قال رسول الله (صلعم). إن من الشعر لحكمه، فاذا ألبس عليكم شئ من القرآن فألتمسوه من الشعر. فإنه عربي [1] ورأى العلامة عبد الرحمن ابن خلدون أن الأدب هو الأخذ من كل علم بطرف بحيث يشمل مفهوم الأدب العلوم الدينية وغير الدينية، فالأدب يجمع عنده: " .. اللغة والنحو والبيان والأدب .. وثمرته الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم، ثم أنهم إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف [2] . إذاً فالغاية من وراء تتبع مفهوم الأدب في تراثنا العربي وفي بعض معانيه الحاضرة هو التأكيد على وجود علاقة وثيقة بين الأدب والإنسان أينما وجد وحيثما أرتحل، والأدب لازم الإنسان منذ أدرك وأحسن وأبدع فكانت فنون الأدب متعته الوجدانية وما تزال. والحضارة الإسلامية توجه الحس البشري للجمال توجيهات تتضاءل أمامها، مقاصد النظريات المتغيرة بزوال أصحابها، لأن شمول النظرة أبرزما يميز الحضارة الإسلامية فالفن الصحيح الخالد هو الذي (يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال ، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود) [3].

وما لا شك فيه أن هذا يدلنا على مدى أرتباط الأدب بالرؤية الحضارية السائدة والمتغيرة في المجتمع وهو كذلك تصوير كامل للعلاقة الترابطية بين الإنسان والكون. هي رؤية وجدانية عميقة تتجاوز الواقع الخارجي إلى إنعكاسات داخلية تترجمها السلوكيات والقيم والأخلاق والخبرة بمواقف الحياة. والأدب أو الفن برؤيته الشاملة في توجيه الحس البشري يطمح إلى (تحويل الواقع الخارجي إلى وجدانية باطنية لكي تتحول تلك الحالة الوجدانية بدورها إلى سلوك

(١) مدخل الي الادب الاسلامي ، د. نجيب الكيلاني ، ٤١ ط ١ قطر١٩٨٧ م.

(٢) مقدمة ابن خلدون ، القاهرة ، دار الشعب ، ص.٥١٤- ٥٢٢ .

(٣) منهج الفن الاسلامي ، محمد قطب ، ص ٦ ، دار الشروق

خارجى) [1] ومن المعلوم أن السلوكيات ترتبط بمعطيات التنشئة بعامة وأساليب النشأة والتكوين عند الطفل بخاصة، ومن ثم يتأثر الأدب الوجدانى بسائر أساليب التنشئة الإجتماعية، اذ يتأثر بالوجود الإجتماعى ويؤثر فيه بدوره. ويعلل الأستذ أحمد أمين فى كتابه: (ضحى الإسلام) صدد النظرة الشمولية فى الحضارة الإسلامية لتوجيه الحس البشرى بالتركيز على أصول التنشئة وفى الأخذ بسبابها فيذكر: (.. يقول النبى صلى الله عليه وسلم " أنا أفصح العرب، بيد أنى من قريش، ونشأت فى بنى سعد بن بكر) كنت قريش أجود العرب أنتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان فى النطق، وأحسنها مسموعاً أبينها إبانة عما فى النفس ، فإذا أمتازت قريش بالفصاحة، فقد إمتازت بنوسعد بسلامة اللغة، فجمع النبى صلى الله عليه وسلم الأمرين) [3] ولأهمية الأدب نثره وشعره فى تنشئة أطفال المسلمين غداة الفتح الإسلامى بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه بكتبه إلى ساكنى الأمصار يقول: (أما بعد .. فعلموا أولادكم السباحة والفروسية وروهم ما سار من المثل وما حسن من الشعر..) [4] وكان (المؤدبون) لدى الخلفاء والأمراء من أدباء وعلماء يهذبون أبناء الخلفاء والقادة ويقومون بقدر هام من الأدب الوجدانى فكان يشمل تأديبهم بمعناه التهذيبى المثل والحكمة والشعر وأيام العرب وأخبارهم، ويعد هذا الإهتمام المبكر بأدبيات الطفل خطوة واعية فى بناء العقل وترقية وجدانه من زمن بعيد. إن إتساع مخيلة الطفل العربى وتنمية معارفه والإرتقاء بمداركه بتنمية الحس الجمالى عنده هو جماع ما يستهدفه الأدب من بناء الإنسان من خلال تهيأة الحواس للتذوق والتخيل وبث مثيرات الإنفعال الإيجابى بالأدب وبالتالى يتحقق السرور والمتعة والمنفعة . إن أدب الطفل فى التراث العربى- له وجوده ودلالاته- وقد فطن علماء اللغة وأدابها- من المؤدبين- لأهميته ، برغم عدم وضوح "ادب الطفل" كنوع أدبى مستقل له قواعده ومناهجه بين أمهات كتب الادب والنقد .

ومما لاجدال فيه أن نتاج أدب الاطفال الموروث فى اطار الأدب العام يشكل الارهاصات الاولى لتتبع نشأة أصوله التراثية وبالتالى امكانية تأصيل مثل ذلك النوع الأدبى فى الادب الحديث – وهو فى ضوء ما قدمنا آنفا جنس ادبي مركب يجمع بين العقل والوجدان له جذوره الأدبية المتفرقة فى ظل انتاج الحضارة الاسلامية ، على عكس التصورات السائدة بين بعض كتاب الطفل من تغليبهم للكتابة المعرفية والثقافية والتاريخية على الجوانب الابداعية – والاخيرة – هى فيما نطمح اليه ، الهم الأول لأدبيات الطفل . إن اطفالنا بحاجة الى الأدب كعلم

(١) الرؤية الواحدة مقالة للدكتور زكي نجيب محمود . جريدة الاهرام القاهرة، عدد ١٩٨١/٢/١ .

(٢) ضحي الاسلام ، احمد امين ، جـ ٢ ، ص ٢٤٤.

(٣) البيان والتبيين ، للجاحظ ، ص٩٢ .

في منهاجهم ، وكيف يرقي بوجداناتهم قدر أشباع حاجاتهم التعليمية والصحية والغذائية ، فهم صفحاتنا البيضاء التى نستطيع الكتابة فوقها عن وعي ومعرفة وخبرة جمالية ، على نحو ما صنع أجدادنا الأوائل مع اطفالهم حتي صاروا من بعد القادة والعلماء والادباء الذين اضاءوا القرن العاشر الميلادى – الرابع الهجرى ظلامات اوروبا .

إن الطفل أمانة ، وله علينا حقوق . . إنه " .. أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة سانجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش وسائر الى كل ما يمال اليه .. "(١) وهذا المخلوق البرىء ، عجينة طيعة ، تنتظر التشكيل السديد رعاية عقلية تسير في نسق واحد مع الرعاية الوجدانية داخل المدرسة وخارجها ، يقول الشاعر العربي القديم في ذلك .

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا   فمطلبها – كهلا – عليه شديد

وليس من شك في أن الأدب ، وبخاصة الجانب اللغوي منه ، والذي ينمو مع الطفل تبعا لتطور مراحل الطفولة المتدرجة يمثل القدرة المكتسبة . واللغة باعتبارها الوعاء الحضارى للمعاني والقيم والاخلاق تدخل فى اطار وظيفة الادب بل ، هي أحدي وظائف أدب الطفل .

مفهوم أدب الطفولة :

ثمة مسلمة يطرحها هذا الفصل مع نهايته ، مؤداها حتمية التمـــــييز بين النتاج الفكرى (عن) الطفولة والنتاج الأدبي الموجه (لهم). فإذا ماطرحنا مؤقتاً النصوص – الأدبية التى كتبت أساساً للطفل ، القينا ان التصاق سائر النتاج المعرفي ، (المكتوب للطفولة) من المفاهيم السائدة الخاطئة التى تدرج هذا النتاج تحت مسمي أدب الاطفال ، وينبغي تأسيسا على ذلك إعادة النظر في التمييز بين هذين النتاجين .

وقد كشفت نتائج احدى الدراسات " البيليومترية * – فى السنوات الاخيرة – عن أهمية الحاجة الى فصل المؤلفات العامة فى مجال الطفولة عن الأدب الابداعي الموجه للطفل بغرض بناء جسر جديد يوصل الطريق لخلق ادب الاطفال في المكتبة العربية .

---

(١) تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين ، لأبن عبد ربه الاندلسي ، تحقيق وتعليق ، محمد ابراهيم سليم المقدمة ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، د.ت .

* أدب الاطفال ، دراسة ببليومترية ، حامد الشافعي دياب ، ص.١٥ ،. كلية الاداب جامعة القاهرة

فأدب الطفل له آثاره الايجابية فيّ تكوينهم وبناء شخصياتهم وأعدادهم ليكونـــوا رواد الحياة والطفل – هو الانسان – في أدق مراحله وأخطر أطواره ، ومن ثم فان الاهتمام بالجانب الوجداني من حياة الطفل يتعين ألا يعلوه أى اهتمام آخر وعلي أيةحال فالأدب الابداعي الموجه للطفل له طبيعته المميزة عن أدب الكبار من حيث التعددية الواضحة لطبيعة هذا اللون من الأدب فهو يقوم بوظائف التربية الوجداينة (الوظيفة الجمالية) ، والوظيفة الأخلاقية ، والنمو اللغوى ، والانفعال الايجابي بالأدب ،عن طريق تنمية الحس الجمالى أو التذوق الفني عند الطفل واكتسابه للقيم والسلوكيات ، والمهارات اللغوية والتعبيرية والميل الى اللغة وأدابها ومن ثم التعبير السليم عن مطالبه وأفكاره ومشاعره وقدتزايد في النصف قرن الاخير النتاج الفكرى المطبوع في مجال الطفولة ، واتسم هذا النتاج المعرفي العام بالغزارة والتنوع [1] – وقداشاع – كما المحنا سلفا بين جمهور المؤدبين والمعلمين والكتاب نوعا من التداخل بين الناحيتين : المعرفية العامة وادبيات الطفولة المتخصصة .

وهذا لا يمنع من الاعتراف بالجهود المتتالية التى بذلها المحدثون من الكتاب والخبراء في ميدان أنتاج الكتابة المعرفية لمراحل الطفولة ، تأليفا واقتباسا وترجمة وتعريبا ، فالمكتبة العربية بعامة ، وفي مصر بخاصة . تضم قائمة ضخمة من المؤلفات الموجهة للطفل فضلا عن الكتابه عنه ، كما أنجزت عشرات [2] الاطروحات العلمية بكليات الجامعات حول الطفولة فى جوانبها المختلفة ونستطيع بشيء من الرصد البيلوجرافي الوقوف على تضاءل الاهتمام بأدب الطفل ، فلم يحظ أدب الاطفال بأهتمام يذكر من البحوث الاكاديمية الأدبية (بكليات الآداب) غير أنه من الواجب الاشارة الى الدور الذي قامت به جامعة حلوان بأقتراب بعض البحوث المقدمة الى أقسامها التربوية والفنية الى الجانب الادبي والفني عند الطفل وقد توفرت البحوث العلمية في معظمها حول الجوانب التربوية والرياضية والصحية والنفسية بنصيب وافر من الدرس الجامعي

---

(١) أصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب مؤخرا قائمة بيلوجرافيةلكتب الاطفال في مصرعام (١٩٨٨) ، مزوده بالقوائم البيبلوجرافية التي صدرت في هذا المجال عن دور النشر الكبرى بمصر · انظر ايضا: دراسةاستطلاعية لكتب الاطفال في مصر (٢٨ – ١٩٧٨) أعدها لمنظمة اليونسيف د. محمود الشنيطي ، د. رشدي طعيمه ، زينب الفوانيسي واخرون ، مخطوطه بالاله الراقمة ، ١٩٧٩ م.

(٢) انظر دراسات الطفولة في ربع (قرن جزءان) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ،بالتعاون مع مركز دراسات الطفولة بجامعة عين شمس بإشراف د. كاميلياعبد الفتاح (أبحاث صحية ونفسية وتربوية ، ولم يحظ الادب الأكاديمى بتصيب يذكر في هذا الجهد التوثيقي الجاد) .

مع أهمال من جانب الباحثين يعدل الاهمال المثير للدهشة من المبدعين الكبار لعدم غزوهم قلب الطفل وحفز عالمه الوجداني .

وقد يدور هذا التساؤل لم التخصص فى أدب الطفل ؟ .. وللاجابة على هذا التساؤل نستقرىء الاصول التراثية والتغيرات الحضارية المعاصرة فالحقيقة التى لا جدال عليها ان التراث العربي حمل الينا عبر تاريخه الادبي الطويل .. الاصالة ، والتطور في (الانواع) الأدبية : النثر وأبوابه ، والشعر وفنونه ، وفي " الغايات " الأدبية ، والتي اصطلح علي تسميتها من بعد بالوظيفة في الأدب والفن [1] . فللشعر فنونه ، وللنثر ابوابه ، وللأدب شعره ونثره غاياته ومقاصده ومراتبه كذلك ، وفي ضوء ذلك يتسم الأدب بإمكانية التغير والتجدد في اطار المتغيرات الحضارية ثمرة لأهتمام العلوم المعاصرة بالانسان .

يقول فى ذلك الشأن ابن قتيبة : (ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغه على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا فى عصره ، كل شريف (خارجي) فى أوله) [2] ولا يعني ان التجديد في الاغراض الأدبية أو استحداث جنس ادبي ما ، الأنفلات كلية عن الاصول التراثية ، وإنما تَجيء هذه الأغراض أو تلك الانواع مواكبة للتغير الحضارى الايجابي الذي يستلهمه شعورنا الجمعي والنوق العصر الذي نعيشه ، لأن هذا كله رهين بالمحافظة علـــــــى الجذور التراثية الأصيلة فـــــى أدبنا .

ومما لا شك فيه أن للشعر العربي أغراضه منها القديم الأصيل ومنها الحديث المتجدد ، ومن نافلة القول سرد الأغراض القديمة في الشعر من مثل : الحكمة ، المديح ، الفخر ، الرثاء ، العتاب ، الهجاء وغيرها . وبعد اتساع رقعة الحضارة الاسلامية والاحتكاك بالثقافات الاجنبية ظهرت مقاصد جديدة ، وأغراض متجددة كوصف المخترعات وظواهر الطبيعة مع الأحياء الى آخر الاغراض الشعرية والانواع الأدبية الجديدة في اطار التفكير الحضارى

(١) الوظيفة Function اتجاه للربط بين بنية الاثر الفني ووظيفته جمالية كانت أم اخلاقية ونتيجة هذا الاتجاه أن أية صيغة او محسنات لفظية لاتخدم وظيفة الاثر الفني خدمة مباشرة ، تعتبر زائدة علي الحاجة بل طفيلية : معجم مصطلحات الأدب ، د. مجدي وهبة، ص. ١٨٤ ، ط بيروت ١٩٧٤ م.

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبه تحقيق أحمد محمد شاكر ، جـ ١ ص ٦٣ ، ط دار المعـــارف ١٩٨٢ . (والخارجي : الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير ان يكون له قديم المحقق - المرجع السابق)

متجددة ايضا على سبيل المثال لم يعرف ادبنا العربي الى القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي ، وفي اطار تجديد النثر والشعر بدأت تخبو عدة أنواع أدبية مثل المقامات ، الاندلس ، فن الموشحات الذي ازدهر في والرسائل الديوانية ، كما خفتت أضـــــــواء وفنون " القوما " ، " والكان كان " و " الدوبيت " وفي المقابل استحدثت عدة فنون في البيئة العربية ، فظهرت الانواع النثرية والشعرية ، مثل الرواية بمعناها الفني الحديث وفن القصة القصيرة في النثر ، وفي الشعر الفينا المسرحية الشعرية تفتح بابا جديدا في الادب العربي بعامة ، وفي المسرح الشعري بخاصة ، وكما فطن الذوق العربي الي أهمية التجديد في الاجناس الادبية وهو في لحظات التجديد الحضارية – كان يصدر – عن جذرر تراثية تستلهم الشكل المعماري الموروث مع تطويع الأنواع المتجددة الأنواع المتجددة لمعطيات الحضارة المعاصرة فى الشكل والمضمون لاجرم اذا – إن قلنا – أن الأدب الأطفال كجنس أدبي مستحدث نشأ ليخاطب " عقلية و ادراك " شريحة عمرية لها حجمها العددي الهائل في صفوف أى مجتمع ، فهو أدب مرحلة من حياة الكائن البشري لها خصوصيتها وعقليتها وإدراكها وأساليب تثقيفها في ضوء مفهوم التربية الوجدانية التى تستعين بمجالى الشعر والنثر .

غير ان الشىء المهم فيما يتصل بهذا النوع الادبي أنه ينشأ كما سبق وأن المحنا ، في اطار تغير حضاري من ناحية واهتمام العلم بكل ما يتعلق بالانسان [1] من ناحية أخري وفي ضوء ذلك يمكن القول بأن اي نوع ادبي يظهر زمن الحروب يسمى " أدب الجهاد " أو " أدب المقاومة " فالاعمال الادبية أو الفنية التى تتجاوز في أغراضها وتوجهاتها " الغرض التقليدي " كالرثاء أو التشبيب في الشعر الي آفاق انسانية محورها الانسان – او الابعاد الانسانية – هى أعمال تقترن بالوظيفة الجمالية أو الاخلاقية ، فأدب الرحلات أو أدب الخيال العلمي أو أدب الاطفال تنزع بدورها للتعبير عن الانسان وإشباع حاجاته في اطار عمره

ودفعا لتهمة الاقلال من شأن أدب الاطفال باعتباره نظما شعريا او نثرا خياليا ، فيمكننا

---

(١) تهتم الانثروبولوجيا بدراسة الطبيعة الانسانية ، فتعكس ، قيم الانسان وتخدم مصالحه وتفسر مظاهر الحياة من حول الانسان ، ويبحث ادراكاته وابتكاراته ومواهبه ومعتقداته جميعا .

القول بأن " المتعة " و " الفائدة " من الطبيعة التعددية لهذا اللون الأدبي كفيلة لدفع التهمة وردها الى أصحابها ، فأدب الطفل هو أدب المستقبل لأنه أدب مرحلة طويلة من عمر الانسان وعلي اية حال ، فإن الابداع المؤسس على خلق فني ، والذي يعتمد بنيانه اللغوي علي الفاظ سهلة ، ميسرة ، فصيحة غير حوشية تتفق والقاموس اللغوي للطفل * بالاضافة الى خيال شفاف ، ومضمون متنوع مع القصر المقصود للنص الادبي الموجه للطفل - كل هذه وتلك - عناصر دالة علي اقترابنا من تحديد مفهوم أدب الطفل .

وتبقي مسلمة أساسية مؤداها توظيف العناصر السابقة بحيث تقف أساليب مخاطبتها وتوجهاتها " لعقلية الطفل و " ادراكه " كي يفهم الطفل النص ويحسه ويتذوقه ومن ثم يكشف بمخيلته غايته اووظيفته ويزعم بعد ذلك كله أن ادب الطفل لا يختلف عن أدب الكبار إلا في المستوي اللغوي للنص على عكس ما يتضمنه عند الكبار من خيال تركيبي معقد ، أو الفاظ جزلة أو معان تستغلق على عقلية الطفل وادراكه ، ومن الخطأ البين القول بأن مضامين أدب الاطفال (منفصلة عن أدب الكبار ، أم أنها نشأت منعزلة عن التيار الأدبي العام ، أو يظن أنها تقوم بمقاييس تختلف عن أدب الكبار .. فقد يختلف ادب الصغار عن أدب الكبار في تلك الامور التى لا مفر منها من أن تختلف فيها " العقليتان " و " الادراكان " ومن ثم فنتاج الذهن من أدب الاطفال يستحق أن يواجه نفس المستويات من النقد) (١) .

وفى التراث الشعرى نجد (.. فيضا ممن المقاطع التى كانت تغني للاطفال عند تلعيبهم او تنويمهم ، ومن بين هذا التراث ما هو أغاني مهد تزنمها الأمهات " لأطفالهن عند تنويمهم ،

---

* الطفل قاموسه اللغوي الخاص به ، ويزداد حجم الالفاظ اللغويه بانتقاله من مرحلة تلو مرحلة داخل مرحلة الطفولة بتأثير البيئة المحيطة واستعداد الطفل ذاته للنطق ، أما فهم الطفل للالفاظ المقروءة والمسموعة فيقتضي معرفة ذلك نمو وتطور اللغة عند الطفل انظر : نشأة اللغة عن الانسان والطفل ، د. على عبد الواحد وافي ، في فلسفة اللغة ، د. محمود فهمي زيدان ، ثلاث نظريات في نمو الطفل ، د. هدي قناوي ، قائمة الكلمات الشائعة في كتب الاطفال ، د. السيد العزازي و د. هدي براده ، وقد تتبعت هذه المولفات اللغه نشأتها وتطورها ، وفي الاداب الاجنبية دارت ابحاث تشومسكي وجان بياجيه وغيرهما في جوانب منها لمجال اللغة واللعب والتمثيل والحركة عند الطفل .

(١) في أدب الأطفال . د. علي الحديدي ، ص ٦٩ ، الانجلوالمصرية .

وأغاني ملاعبية يؤلفها الكبار للأطفال أثناء اللعب وقد اطلق مصطلح ترقيص الاطفال على هذا الموروث الشعري .ويمكن العثور بين ثنايا الأدب العربي القديم علي بعض الاعمال الادبية التى يمكن أن تتوافق مع قدرات الاطفال رغم أنها فى الاساس غير موجهة إليهم ..).* وفي خاتمة هذا الفصل نستطيع مما تقـدم أن نصل الى مفهوم لأدب الطفل تمييزا لهذا النوع الأدبي عن انتاج الفكري الذي يكتب حول الطفولة . ان الابداع الأدبي الموجه (للطفولة بمراحلها) خاصة من سن المدرسة الى نهاية الطفولة المتأخرة – هو المنظوم والمنثور من فن الأدب ويجب ألا يسبح خارج حدود دائرة الأدب الى النتائج المعرفي العام .

ويمكننا تعريف أشكال أدب الطفولة فى ضوء ما قدمناه – آنفا – أنه يقع فى دائرتين :–

أولاهما : دائرة الشعر وتضم :

الامهودات والاغاني الموزونة (أغانى الترقيص) ، وأغانى اللعب والمناسبات والاناشيد والاراجيز الشعرية ، والمنظومات الشعرية القصيرة والمحفوظات التعليمية والدراما المبسطـــــة (المسرح الشعرى للطفل) ، والقصة الشعرية على لسان الحيوان .

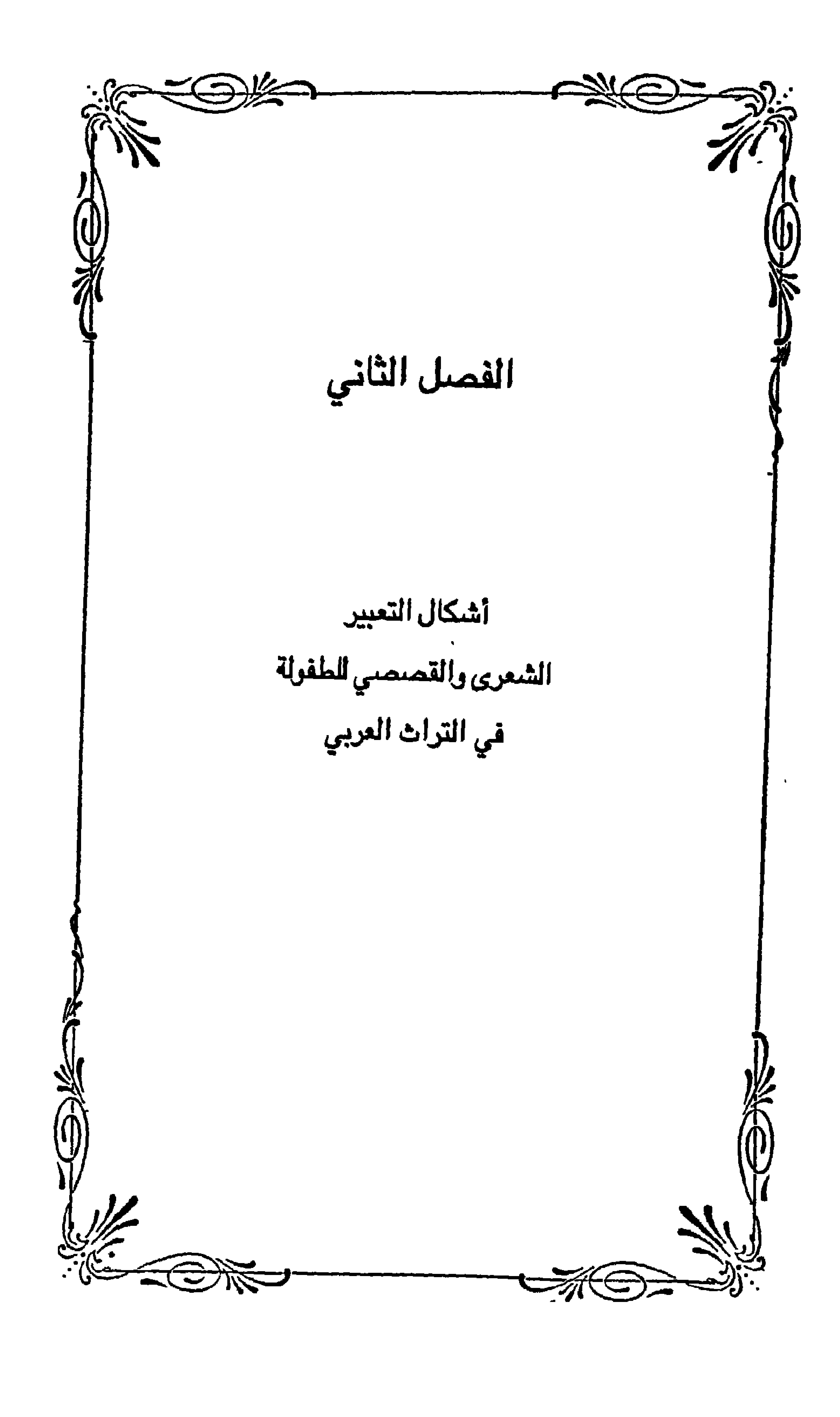
وثانيهما : دائرة النثر وتضم :

الحكايات القصصية ، والاساطير (المعالجة) ، الحكاية على ألسنة الحيوان والطير ، (الأدب الحكيم) الامثال والوصايا والالغاز الأدبية والأحاجي اللغوية . أما اقحام الكتاب للنتاج المعرفي (تاريخي أو ثقافي أو علمي) الى ادبيات الطفل يعد هدما للمفهوم اللغوى والاصطلاحى لأدب الطفل ، وأولي بأصحاب هذا النتاج الفكري – وهو غزير متنوع – أن يدرجوه تحت مظلة تخصصات العلوم وهي جد كثيرة ومتنوعة ايضا .

* * *

---

* انظر بحث د. عبد العزيز المقالح لمؤتمر الأدباء العرب طبع وزارة الاعلام بالجزائر ١٩٧٥ .. أعلنت الجمعية الطبية الملكية بانجلترا العلماء وتوصلوا الي نتائج هامة تتعلق باستجابة الجنين للنداء الصوتي المنبعث من أم الجنين عبر أجهزة توصي ورصد ذات تقنية عالية الحاسية ، والمثير للدهشة هو التوصل لرصد استجابة الجنين للنداءات الموقعة ، المنغمة ، المبهجة ، الهيرالدتريبيون عدد ١٩٨٨/٣/٣٠ م



الفصل الثاني

أشكال التعبير
الشعرى والقصصي للطفولة
في التراث العربي

تمهيــــد :

الطفل ثروة الأمة وأساس مستقبلها ، والنصوص الباقية عن العرب تدل على اهتمام العرب بالطفولة ومدي عناية اسلافنا بالطفل فالاطفال هم (قرة أعين) كما ورد بسورتي الفرقان والقصص من القرآن الكريم ، قال تعالي : والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما) " الاية ٧٤ سورة الفرقان (وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك) الاية ٩ سورة القصص . والاطفال هم زينة الحياة الدنيا وعز الاهل ، قال تعالى : " المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا الاية الكريمة ٤٦ سورة الكهف .

والطفل مكانة هامة في حياة رسول الله (صلعم) وقد خص الطفولة بالرعاية والاهتمام ، والحديث ، ففي السيرة النبوية نجد مظاهر حية للطفولة والتوفر على حسن تهذيبها ، والرحمة بها ، وكان صلي الله عليه وسلم يسمي الولد ريحان الله ، وكان الحسن والحسين وهما طفلا ابنته ريحانتيه من الدنيا ، وولد الابناء عنده بمنزلة الولد ، وفى الحديث : " ريح الولد من ريح الجنة " . وهو ريحان الله ، وريحانة من رياحين الجنة . وقد أقسم الله تعالي بالولد في سورة البلد ، وذكر الطفل في سورة النور وسورة الحج . ومن على الناس أن أمدهم بالاطفال فى زريع سور مباركات هن : الاسراء ، والمؤمنون ، ونوح والمدثر وفى اللغة ومعاجمها ، ما يشير الى مفهوم الطفل ومكانته ومنزلته فى كتب اللغه وأدلبها ، إذ اهتم علماء اللغة بالطفل ودونوا ما يتعلق به من كلمات والفاظ وأسماء وصفات وأصوات ، وقد استتبع ذلك أن حظي الطفل في تاريخ الادب العربي بنتاج ادبي منظوم ومنثور يجمع بين التنوع والغزارة ، وقد استهدف العربي القديم – وهو يكتبه للطفل – مراحل نموه العقلي واللغوي واتسم النتاج الأدبي الموجه للطفل بالرعاية والحب والعطف وتنمية الذوق والخيال .

لقد تناولت أغلب المولفات التراثية – اللغوية والأدبية والعامة – بين ثناياها ، أدب الطفل ومكانته وترتبيته وتهذيبه ، من زمن مرحلته المهد الى بداية مرحلةالفتوة الشباب . وصورة أدب الطفل فى التراث العربي لم تهملها الحياة العقلية العربية كما يتصور بعض الباحثين ، فهى ليست غائمة أوساذجة ، وإنما حفلت باهتمام الكتاب والعلماء والادباء يعدل اهتمام الاباء والامهات ورجال الدين ، غير أن صورة أدب الطفل فى تراثنا فى مجملها صور مركبة تتوزع

بين الادبين الرسمي والشعبي فبعض أشكال التعبير الموجهة للطفل من حكايات الأدب الشعبي توارثتها الامة جيلا بعد جيل على ألسنة الجدات والامهات والمربيات والرواة ، شأنها شأن الأغانى الشعبية للطفل في مناسباته المختلفة .

لقدعرف الأدب الرسمي نظام المقطوعات الشعرية وصبها فى قالب الرجز قبل القصيدة المطولة ، وقد دون الادب الرسمي العديد من صفحات كتبه عبر تاريخ الادب العربي ، أغاني الترقيص ، والمقطوعات المجزوءة ، والاشعار البسيطة وغيرها من الأدب المكتوب . أما الذي ينقصنا فهو رصده وجمعه من بين ثنايا كتب التراث تحت جنس أدبي مستقل . اما استمرار وقوفنا عند منطقة الحذر من وجود مثل هذا اللون الادبي ، وبالتالى أهمالنا لتأصيله من أسباب تأخرنا فى مواجبة تطور العلوم الانسانية المعاصرة ، والأدب بالقطب يلازم الانسان طوال رحلته فى الحياة فى علاقة ترابطية .

ونخلص من هذا المدخل الى حقيقة هامة مؤداها ان أدب الطفل فى التراث العربي ، له جذوره ، ونتاجه النثرى والشعري فى الادبين الرسمي والشعبي ، وإن لم يحظ طوال القرون الماضية بمهمة بحث جوانبه وتوجهاته وتثبيت دعائمه فوق خارطة الادب بالدرس والتأصيل . لقد أهتم الادب العربي اهتماما كبيرا بالطفل ، وكان للأدب الموجه للطفل دوره الذى لا يقل أهمية عن الادب المكتوب عنه *. اذ كان للأدب الموجه للطفولة والناشئة فى جميع عصور الأدب العربي دوره الحيوى في تكوين الشعور الوجداني للطفل ، فإن تأصيل العلاقة المميزة بين الأدب والطفل تقوم على مدى قدرة الفنون الأدبية في التأثير على الطفولة كوسيلة وغاية ، لذلك انطلقت أدبيات الطفل المتناثرة فى أمهات كتب التراث لتحقق المفاهيم الوظيفية لهذا اللون الادبي ، الحقائق التى تطالعنا فى الأدب العربي المدون هي وجود نتاج ادبي متنوع الاشكال والمضامين بين ثنايا كتب اللغة والادب والاخبار وغيرها ففـــي النثر توجد القصص والحكايات وأحاديث السمار والنوادر والامثال والالغاز والخرافات والأساطير ، وفي مجال لاشعار وجدت أشعـــــار

---

* الأدب المكتوب (عن) الطفل يشتمل علي جانبين : أولهما : الدراسات والمؤلفات اللغوية والادبية والفنية ((الجمالية) حول الطفولة وثانيهما ابداع الكبار الأدبي والفني (عن) اطفالهم بخاصة والاطفال بعامة شريطة الاتوجه ابداعاتهم اساسا للطفولة بمستوياتها اللغوية والادراكية ، اما الادب المكتوب (للطفل) – مجال بحث هذا الكتاب – فيشمل انتاج الادبي الشعري والنثري) الموجه اساسا للطفولة بمستوياتها اللغوية والادراكية ، ويميل المؤلف الي عدم الصاق المؤلفات التربوية والتاريخية والعلمية الي الادب المكتوب للطفل) أو (عنه) وانما يكون تصنيف هذه المولفات بمجال ثقافة الطفل بمعناها الواسع

الترقيص ، والمنظومات التعليمية والتهذيبية ، والمقطوعات والاراجيز الخفيفه السهله ، وهذه الاشكال والفنون التعبيرية تستهدف فى بعض توجهاتها الاطفال والناشئة ، وقد كشف المدخل السابق عمن مسلمه هامة فى تاريخنا الأدبي مؤداها أن أدب الطفولة كوجه مستحدث من وجوه الادب العربي لم يحظ بتأصيل تحت نوع ما من الأنواع الأدبيه ، لأن الأجناس لأدبية كانت تجيء عرضا فى كتب اللغه والأدب ، وقد عني الرواةوالعلماء عناية فائقة بتسجيل وتدوين الأدب الرسمي – ابداعه ونقده – بينما تناثرت أدبيات الطفل في بطون امهات الكتب دون ان يفرد لها المصنفون والنقاد ، الأجناس أو الأحكام الخاصة بها . وعدم التفات هؤلاء العلماء الى أدب الطفل في نشأته وتطوره وفى أشكاله ومضامينه ، جعلنا نطلق على هذا اللون الأدبي – رغم تدوين أغلبه – نفس المفاهيم والاحكام القاصرة التي يطلقها البعض على الأدب الشعبي وليس معني ذلك أننا نقلل من الأهمية البالغة للادب الشعبي في حياة الأمة ، فلا يختلف أحد على أهمية وسريان تأثيرات الأدب الشعبي فى أدب الطفولة ، وعلى الأخص فى الفنون النثرية بنماذجها المتنوعة من مثل الحكايات القصصية والشعبية والخرافية والاساطير وقصص الحيوان وأزعم أن الجانب الشعري فى أدبيات الطفولة يخرج عن دائرة مفاهيم وخصائص الأدب الشعبي ، وأعني بالشعر هنا ، شعر الاطفال الذي يندرج تحت ادبنا الرسمي المكتوب ، على نحو مايوضحه الكتاب. أما الأغاني الشعبية المد ووثة للاطفال وأغاني العابهم ومناسباتهم وعاداتهم فهي من الأدب الشعبي . ويكاد يجزم المؤلف بأن عزوف الرواد والنقاد من علماء اللغة العربية عن تحديد المفاهيم أو الخصائص المميزة لأدب الطفل ، أو وصفه على الأقل كنوع أدبي له نتاجه الذي يخاطب الناشئة – يجيء هذا العزوف غير المقصود – نتيجة نظرة المجتمع العربي القديم تجاه الصغير ، فالصغير منذ القدم : الصغير من كل شيء حتي يشب عن الطوق ويكبر ، هذا من ناحية ، والعبقرية العربية التى شيدت دعائم الأدب الرسمي بفنونه ومضامينه وخصائصه وقواعده – غير عاجزة – بأى حال من الأحوال عن تقعيد القواعد ، ومن ثم التأصيل النقدي لهذا اللون الأدبي الذي يشكل وجدان اكثر من أربعين بالمائة من ثروة الأمة البشرية ، ومهما يكن من شيء فإن نظرة رجال النقد وعلماء اللغة والأدب للادب الشعبي كانت تسير فيما أعتقد في خط مواز لنظرتهم لأدب الطفل ، لأن هؤلاء الرواة والنقاد ورجال التدوين كانوا يرون ان النصوص * النثرية والشعرية الموجهة للاطفال والناشئةيقوم بها فى الغالب

---

* من مثل : الحكايات القصصية المسلية ، الخرافية، والاسطورية والفكاهية والتعليمية والحكايات الشعبية والنوادر والامثال والحكم والالغاز، والأمهودات والاناشيد والاغاني والاراجيز، وجميعها كانت تروي للاطفال بهدف التسلية والمتعة والمنفعة والتربية الوجدانية والتهذيبية .

الأمهات والجواري والمربيات أو المؤدبون في بيوت الخلفاء والامراء عن طريق التلقين والاستماع ومن ثم رأوها من الأدب الشعبي ، ويمكن بالتالي أن تنتقل هذه النصوص من جيل الى جيل . وقد جعل هذا التصور الذى أشرنا اليه يدفع أحد الباحثين العرب القول بأن ترقيص الأطفال الذي يعبر عن هذه الصلة ويصورها شعرا انما هو أدب شعبي اصيل (1) .

الفنون النثرية والطفل :

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول أن الأدب العربي – عبر عصوره المتتابعة – قد تنبه فى اطار رعايته للطفولة لنقطة البداية فى التكوين الأدبي للطفل ، وكانت قاعدة البداية الأولى التي انطلق منها تتشكل إرهاصاتها واصولها التراثية عند محور: الفنون النثرية الموجهة للطفل . وقد اضطلع النثر بفنونه المتنوعة بمهمة التشكيل الوجداني والأخلاقي للناشئين عن طريق تلقينهم الحكايات القصصية بزنواعها والحكم والأمثال والمأثورات القوليه والنوادر والألغاز وغيرها باعتبارها من الوسائل الفنية النثرية الموجهة للاطفال بهدف تربوي وأخلاقى وجمالى ، وقد ظلت هذه الوسائل الفنية الادبية تحمل في مضامينها الأهداف الوظيفية لأدب الطفل من زمن العصر الجاهلي الى العصر الحاضر ، وان كنا لا نستطيع تحديد تاريخ معين تم خلاله تسجيل أو تدوين كتب تجمع هذا اللون الأدبي أو ما يشير إلى نشأة النثر الأدبي الموجه أساسا للطفل فى العصر الجاهلي أو قبل ذلك ، لصعوبة ذلك من ناحية أخرى وعملية الانتقال الثقافي عمليةتغيير متطورة ويتم من خلالها نقل الثقافة من جيل الى آخر ، وهو ما يؤكد عليه العلماء الإنثروبولوجيا للأشارة الى التراث غير المكتوب الذي تعبر عنه القصص الشعبية والأغان والحكم والأمثال الشعبية(2) .

ومما لا شك فيه ان كتب التراث العربي حملت إلينا بين ثناياها ماتم تدوينه من فنون نثرية متعلقة بأدب الطفل ، وكان لتلك الفنون الادبية وجودها فى الجماعة وتأثيرها فى الأمة . كما أشار القرآن الكريم إلى أساطير الاولين (3) قال تعالى : (وقالوا اساطير الأولين

---

(1) مفهوم الأدب الشعبي ، د. كامل مصطفى الشيبي . ص. ١٠ ، دائرة الشئون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦ .

(2) قاموس علم االجتماع ، د. عاطف غيب ، ص. ١٩٠ الهيئة المصريةالعامة للكتاب ١٩٨٠ .

(3) الاسطورة بمعناها اليوناني MYTH وبمعناهافي العلوم الانسانية LEGCOD عبارة عن . " مأثورة شعبية تقوم علي الاحداث التاريخية المتصلة بشخص أو حادثة ما وهي المتقدات المشبعة أو المحملة بالقيم والمبادىء التي يعتنقها الناس والتي يعيشون بها أو من أجلها " السابق ص ٢٧٠ .

أشار القرآن الكريم إلى أساطير الأولين ، قال تعالى : وقالوا اساطير الأولين أكتتبهافهي تملي عليهي بكرة واصيلا) الايه ٥ سورة الفرقان . وحكايات الاطفال بأنواعها لها جذورها في الادب العربي الموروث (والقصص الروائي الشفوي للاطفال يلعب دوره في مخاطبة حواس الطفل وحفز مشاعره وخياله ونحن لا نستبعد ما يقال من أن الوصيفات والمربيات كن يقصصن على الأطفال قصصا مبسطا .. وهذا القص يحتمل أن يكون هو نفسه مالفناه من حكايات الجدات والتى لا تزال متداولة في بعض بيئاتنا ، وحكايات الجن والشياطين جوهرية فى تراث حكايات الجدات القديمة - بداية لخط قصصي بلغ قمته فى القرنين الرابع والخامس والهجريين ، ومن ابرز امثلته رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي ، كما كانت قصص الحيوان التى بدأت شهرتها مع كليلة ودمنة التي ترجمها ابن المقفع ووما صاحبها وتبعها من الملاحم الشعبية وقصص ألف ليلة وليلة ، وحي بني يقظان وغيرها - مصدرا هاما لادب القصصي للطفل [1].

وقد عرفت الامة العرية الأدب القصصي منذ حققت وجودها ، بالكلمة والخبر وتطورت الحكايات القصصية كشكل من أشكال التعبير النثري تبعا لتطور الحياة العقلية والاجتماعية للأمة العربية .

وليس صحيحا ما استقر فى أذهان البعض من أن العقليه العربية تنزع بفطرتها الى التجريد وتنأى بجانبها عن التجسيم فبرز مصطلح الحكاية فى الأدب القصصي وتزحزح عن مجرد الاخبار بالواقع الى الايهام بحديث قديم مرت الدهور عليه أو واقعة فى مكان بيعد .ولا بأس من التوسل بالخيال لبلوغ التأثير المنشود .. كما برزت أيضا كلمة خرافة لتدل على الوقائع والاحداث غير المعقولة ثم اصبحت مرادفة لطائفة من حكايات الخوارق ، ويستعمل المثل ايضا للدلالة علي نوع متميز من أنواع الحكايات والقصص هو الذي يدور حول البهائم والطير والذي تتخذ الكائنات صفات عاقلة مفكرة ومدبرة [2] والرؤية التى أشار اليها د . عبد الحميد يونس فى الفقرة السابقة تجمع في طياتها التأكيد على وجود الفنون النثرية فى الادب العربي منذ القدم ، وقد تطورت هذه الاشكال التعبيرية التي المح اليها تطورا فى الشكل والمضمون ، مع بقاء الفكرة الأصلية في أشكال التعبير برغم خضوعها للتغيير بالحذف والاضافة ، لأن العنصر الاصلى فى الحكاية يبقي واحدا وتتفرع عنه العناصر البنائية عند إعادة القص او الرواية .

---

(١) الأدب والطفل ، د. محمودأحمدحمدون ، ص ٩٦ رسالةالخليج العد د٢١ ، السعودية ١٩٨٧ م.

(٢) الحكاية الشعبية، د. عبد الحميد يونس ، ص٨ -٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ م.

ومن نافلة القول التأكيد على مدى شغف الاطفال بالحكايات بأنواعها فقد توارث أطفال الجاهلية حكايتهم الخاصة بهم ، وانتقلت اليهم من جيل الي جيل ، غير ان الجانب الرسمي في المجتمع لم يلق بالا الى هذا اللون من الفن القصصى ولم يقدره الكبار قدره ولم يلتفت اليه الرواة ، فظل محصورا بين جدران الخيام والمنازل والدور لايخرج الى المجتمع ليكون تعبيرا عن مراحل التفكير والعواطف والخيال والمعتقدات للإنسان بل تناقلته شفاه النساء والأطفال في حدوده الضيقة المحدودة (١) ونخلص مما تقدم الى حقيقة مؤداها أن معظم الأنواع النثرية الموجهة للطفل فى الأدب العربي القديم ، دارت فى فلك الأدب الشعبي ، فاتسع تأثيرها بالتالي لتشمل سائر طوائف المجتمع ومستوياته وليس الاطفال وحدهم أو النساء فى حدودهن الضيقة المحدودة ، وليس لطائفة عمرية بذاتها Age-Set وقد ظلت مادة الحكايات - على تنوعها وتطورها بعيدة عن الأدب الرسمي المدون لعدة قرون فى الوقت الذي كانت تتناقل هذه المادة القصصية الجدات والامهات والمربيات والمؤدبون والمعلمون ، كما خضعت الاعمال التى قدر لها التدوين الى التعديل عن الاصل ، والتغيير غير مرة من جيل الى جيل .

إن عقل الطفل وادراكه بحاجة الى مثل هذه الاجناس الادبية على تنوع مادتها وثراء خيالها وسحر تأثيرها وإختلاف اساليب تشكيلها الفني (ومثل هذه الحكايات المتنوعة فى الأدب القصصي تغذي جوانب تفكير الأطفال وتقوي نواحي الخيال عندهم ووسيلة من وسائل التعليم والتثقيف والمشاركة في الخبرة ، وطريقا لتكوين العواطف السليمة ، والوطنية الصادقة للاطفال ، واسلوبا يقفون به على حقيقة العقيدة ويكتشفون مواطن الصواب والخطأ فى المجتمع ، ويتعرفون طرق الخير والشر في الحياة [٢] .

والطفل يشعر بالمتعة وهو يستمتع بالحكاية التى تروي له ، هذا جانب كما يستفيد من مغزاها والاثر الوجداني الذي تتركه في مخيلته من جانب أخر ومن هنا راح الرواه يقصون على الناشئين حكاياتهم القصصية ، والتى ازدادت تنوعا وخصوبة بتطور الحياة العقلية والاجتماعية للأمة ، وفي ذلك يقول د. فؤاد حسنين يعد القصص من أهم الاجناس الادبية التي تعبر عن روح الامة وعقليتها وطبيعتها (فالامة منحت حظا موفورا من الخيال والقدرة على صياغة المادة المحيطة بها قصصا جميلا ، كما أنها تمتاز - كغيرها من عقليات الشعوب السامية - باعـــادة

---

(١) في أدب الأطفال ، د. علي الحديدي ، ص. ٢١٩ - ٢٢٠

(٢) السابق ، المقدمة

تأليف القصص القديمة التى تتوارثها من أقدم العصور واظهـ ـارها في ثوب يكاد يكـــون جديدا) [1] .

وتعد أيام العرب فى الجاهلية مصدرا خصبا صافيا من ينابيع الأدب ونوعا طريفا من أنواع القصص بما اشتملت عليه من الوقائع والاحداث (وما روي في اثنائها من نثر وشعر ، وما تنسى خلالها من مأثورا الحكم وبارع الحيل ، ومصطفي القول ورائع الكلام) [2] . والفقرة الآنفة تتضمن الاشارة الى أصل قديم من أصول التراث العربي يتضمن عدة اشكال من التعبير الأدبي – نثره وشعره – فأيام العرب حملت البذور الأولى فى تربة الأدب القصصي عند العرب .وقد تأثر ادباء العصر الجاهلى بالبدايات الاولى لمعالم هذا اللون النثرى القصصي " فالاسلوب القصصي (اسلوب الحكاية) اتبعه الشعراء فى معرض الحديث عن ذكرياتهم لدرجة الاقتراب من السرد وبير الى عفوية الشعراء وبساطتهم فى التعبير (.وفي اشعار الهذليين يتضح الأسلوب القصصي فى الشعر خاصة عند الشاعر أبو ذؤيب الهذلى وقد برع الشعراء الهذليون في تمثل قصص الحيوان واصبح هذا الاسلوب شبه تقليد فني عندهم) [3] .

والمتأمل فى تاريخنا الأدبى القديم يجد في شيء من اليسر الطبيعة التعددية فى الأدب القصصي المدون منه ، والشعبى . والطفل وهو يتلقي هذا النتاج المتعدد أو شيئا منه فى مراحل طفولته ، كانت النماذج القصصيية المقدمة له عن طريق الأمهات والجدات والمربيات أو الرواة القصاصون أو المؤدبون – يراعي في تقدمها عقليته وإدراكه ، وقد طرأ على هذه الطبيعة التعددية في الادب القصصي التجديد فى الاد ر رالمرض عا ، ربا ت سذتر فى تاريخ الادب العربى عدة أنواع تندرج تحت الأدب القصصي العربي : يام الع ب فى الجاهلية ، الحكايات القصصية المتنوعة، الأمثال والحكم أو الوصايا ، الاسطير ، ، الالغاز والاحاجي . ، وسنقف فيما يلى عند بعض هذه الانواع القصصية وفقا لاستمرا ـ فعاليتها ،وتأثيرها على الطفل ، وهو ما ستوضحه الصفحات التالية :

---

(1) أيام العرب في الجاهلية ، محمد أحمد جاد المولي وآخرين ، المقدمة طـ دار احياء الكتب العربية عيسي البابي الحلبي " شركاه . مصر د. ت. انظر المزيد من التفاصيل : تاريخ العرب القدامي للشيخ محمد فخر الدين ، بلوغ الارب في أحوال العرب للألوسي ، أمثال العرب للمفضل الضبي ، جمهرة الامثال للعسكري مجمع الامثال للميداني وغيرهم .

(2) الحماسة لابي تمام ، شرح التبريزي ، جـ ٢ – ١٨٥

أنواع الحكايات القصصية في الأدب العربي :

لاجدال أن فن الشعر هو ديوان العرب وأبرز ميراثهم الابداعي ، ومع ذلك فان التراث القصصي العربي من حكايات وأساطير يدفع الآراء القائلة بأن العرب أمه لا تملك الأساطير والحكايات القصصية الاصية من وحي ابتكار العرب انفهم وهذه الفرية التي يروج لها المستشرقون في مؤلفاتهم هدفها التقليل من شأنالعرب وتاريخهم الأدبي . ويرد أحد علماء الاستشراق على هؤلاء في حيدة وانصاف فيذكر : (وصل العرب بفن الحكايات الخاص بهم الي حد الاكتمال الفريد ثم هناك قيمة العبر الخالدة من حيث أنهم خلقوا عن طريق فنهم فى الرواية صوراً جديدة كل الجدة سواء من خلال تلك الحكايات التى نشأت عندهم ، أو عن طريق تلك التى أخذوها من الشعوب الاخرى) (١)

يقول الراغب الأصبهاني في كتابه " الذريعة فى أحكام الشريعة " فى مستهل الباب الخامس والعشرين (الطفل فى حالة صباه كالشمع تشكل بكل شكل يشكل به) وقد أحس العرب بضرورة اشباع احتياجات اطفالهم الوجدانية والعقلية فى مراحل نموهم . فوضعوا لهم التاليف القصصية ، والحكايات الشعبية والحكايات الخرافية وغيرها من الحكايات التي تدور حول التسلية والاقناع والتعليم والتهذيب وايجاد علاقات مميزة مع البيئة اوالطبيعة المحيطة بالطفل ، وكذلك قصص الحيوان ، والاخيرة تلعب دورها البارز في تاريخ الادب الموجه للاطفال . وهذا الاحساس العربي القديم يدلنا علي معرفة العرب وعمق نظرتهم العقليه والوجدانيه في الاستجابة لحاجة الطفل من خلال الافادة من معطيات بيئتهم الصحراوية الممتدة فى حفز وتربية الذوق والخيال عند الاطفال بمروياتهم الادبية التى تنمي مداركهم وفقا لانتقالهم من مراحل الحس الجزئي التى التجريد الكلي كما يدلنا على ذلك نتائج علم النفس الارتقائي ، فالطفل يولد معه الاستعداد الذاتي للاستجابة والاكتشاف ومن ثم يستوعب الشيء في صفاته الشامله لأن مشاعره وتصوراته تزداد مع مراحل نموه وتمده بطاقة خيالية أروع من أي تفاصيل جزئية في ضوء ذلك يمكن القول أن الطفل يتسجيب مباشرة للشيء الاخر او الشيء المجهول الذي يجد فيه انعكاسا لذاته ولا غرو ان يكون عالم الحكاية الخصيب والمثير هوالأقرب الي عالم الطفــل ،

---

(١) الحكاية الخرافية ، فريد شفن دير لاين ، ترجمة د. نبيلة ابراهيـــــــم ص ١٩٦ - ١٩٩ ، القاهرة ١٩٦٥

إذا الطفـــــل صفحة بيضاء قابلة لما ينقش فوقها ، وهو فى حركة دائبة لا تهدأ الا بالانتقال من حركة الى حركة ومن خيال الى خيال آخر فى ترقب واستجابة للاستمتاع بالمثير الخيالي والوجداني فى الادب القصصي بعامة وعالم الحكاية بخاصة .

وكان للبيئة الطبيعية العربية أثرها الحاسم فى تربية الخيال لدي المبدع العربي والمتلقي كذلك ، فقد (عاش العرب فوق صحراء مبسوطة الرقعة مجلوة الافاق وفيرة الوحش والطير ، في جو صحيح الهواء ، وتحت سماء صافية الاديم ساطعة الكواكب ضاحية الشمس ، سافرة البدر ، جلت لحسه مناظر الوجود ، وعوالم الشهود فكان لخياله من ذلك مادة لايغور ماءها ، ولا ينضب معينها ، فهام بها في كل واد وأفاض منها إلى كل مراد ، وكان له من لغته وفصاحة لسانه أقوى ساعد ، واكبر معاضد [1] ويقف د. احمد ضيف من أثر الخيال فى تشكيل العقل والوجدان العربي موقفا تحليليا يرد به تهمة غلاة المستشرقين بضعف الخيال – وهو عنصر رئيسى فى الابداع – عند الأمم السامية ، من ناحية ، ويؤكد وجود مزية الاستكشاف وحب الاستطلاع من ناحية أخري فيذكر : (لقد تصور العرب فى جاهليتهم آلهة متعددة ونصبوا لها الأصنام قبل الاسلام ، وكانت لهم اساطير ، ولكنها لم تظهر في شعرهم ظهرها عند الامم الاخرى كما تخيلوا لشعرائهم نفوسا أخري من الجن توحي اليهم عبقريتهم وعدوهم أصحابا لكبار الشعراء ورووا عنهم الشعر ، اما ان كانت الامم اسامية ذات افكار هادئة غير قلقة ، راضية بصدق وصحة ما ترى ، فهذا صحيح في جملته ، لأنهم أقنع الأمم فى حب الاستطلاع " وفي ضوء التعليل السابق (كانت القصص والأساطير فى المكان الأول من الحياة الادبية ، وأنها كانت الفن المفضل عند الغالبية العظمي في الجاهلية [2] .

فالحكايات القصصية الخرافية والاساطير مادة ادبية ، كان لها وجودها فى تراثنا القديم ، ويمكن ان تحتل مثل هذه الانواع الأدبية مكانا فى أدب الطفل المعاصر اذا دقق الكاتب والمؤبون والمعلمون في اختيار النصوص التي تناسب اعمار ومدارك الأطفال ، أو اعادة صياغة (معالجة) الحكايات الخرافية والاساطير لتحقق الوظائف التربوية والجمالية واللغوية في مجال أدب الاطفال ، وهذه المعالجة لن تفقد أصول الحكايات على ألسنة الحيوانات Fables أو الأسطورة Myth شيئا من مغزي أيهما أو روعة الخيال للتصويـــــــرى فـــى سردهمـــا

(١) مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، د. أحمد ضيف ، ص. ٥٨ – ٥٩ .

(٢) في الرواية العربية ، فاروق خورشيد ، ص ٥٤ .

بإعادة المعالجة فالحكايات الخرافية أو الاسطورية على تنوعها قديمة (*) قدم الادب العربي ، وقد وجدت قصص الجان الخرافية وقصص الحيوان في الحياة العربية منذ عصر ما قبل الاسلام ، وقد تناثرت خيوط الحكايات القصصية وتعدد نسيجها علي ألسنة الرواة مشافهة جيلا بعد جيل أو تم تدوينها في بطون كتب اللغه والادب والاخبار وأيام العرب ، وكان الكتاب والمربون يهدفون من وراء قص الحكايات الى عدة مقاصد منها الغاية الوعظية ، وجلب السرور والمتعة لدي الأطفال وحفز خيالهم ، والحكايات تستهدف فيما تستهدف الأدب التهذيبي للطفل ايضا والأدب التعليمي في اطاره النثري من خلال الحكمه والمثل والقصص عن طريق الحكايات بأنواعها ، لان الخيال الفني في مضمون القصص والحكايات والاساطير تصنعه من خلال الشخصيات والاحداث ، والفكرة أو الأفكار - تصنعه - شخصيات غير بشرية تحمل صفت الانسان وتعمل مثله ، وهذه الشخصيات غالبا ما تكون في نصوص الحكايات العربية القديمة التى وصلتنا من الحيوان او النبات أو الجن .

ومن نافلة القول التأكيد على أن هذه الحكايات الخرافية احتلت مكانا هاما في حياة الأسرة العربية ، خاصة في بيوت الخلفاء والأمراء وفى أماكن التسلية واللهو ، وامتدت آثار هذه الحكايات الموجهة لوجدان الطفل إلي العصور المتتابعة من أدبنا العربي القديم وحتي عصرنا الحاضر .إن موضوع الأدب الوعظي أو الأدب الحكيم ، اشتمل فى أحد روافده: القصص العربي القديم في فترات تاريخية سبقت ظهور الاسلام ، وقد عاشت هذه القصص العربية الخرافية في وجدان المجتمع العربي وقد كانت الحكايات القصصية ، بخاصة حكايات الحيوان Fabels فى الادب العربي .

---

* الحكاية الخرافية . قصة أحداث خيالية ، يقصد بها حقائق مفيدة في شكل جذاب وينصب عليها مصطلح الخرافة الإخلاقية تبعا للقصص الأخلاقية المروية علي لسان حيوان . من أمثال كليلة ودمنة ، انظر معجم الأدب ، د. مجدي وهبة ، صفحات ٢٦ .

* عرف العرب قصصا تتناول بالتفسير المطعم بالبقايا الاسطورية ، الحياة والخلق ، فحكوا الحكايات عن نشأة العالم وعن آدم ونسله وعن نشأة اللغات وتعددها .. وعرفوا قصص الشعوب وقصص الاماكن قصص الملوك والابطال وتطورت بعد الاسلام الي حكايات وأساطير موجهة ، وأشهر ماتم تدوينه كتب : لتيجان ومضاض ومي ، والحارث ابن مضاض وقصة ذي القرنين في الفترة التي سبقت ظهور الاسلام ، وايام العرب ووقائعهم وملاحمهم وأخبارهم (كتب اخبار ملوك اليمن) . انظر: في الرواية العربية لفاروق خورشيد ط. دار الشروق ١٩٧٥ .

وقد كانت الحكايات القصصية ، بخاصة حكايات الحيوان في الأدب العربي القديم ، إما شعبية تشرح ما سار بين العامة من أمثال وحكم ووصايا أو مقتبسات من عصور قديمة وتتصل بالعقائد والطقوس ، أي ذات طابع ديني يتصل بالعقائد الدينية ، باعتبار الدين يتسم بالفطرة الوجدانية والاقتناع العقلي ، وقد حظيت المكتبة بمجموعة مؤلفات هامة في هذا المجال *.

مما سبق يتضح لنا وجود الأصول التراثية للحكايات في أدبنا العربي القديم ، لكنه يجب الاعتراف بأن الحكايات المروية للأطفال كانت تعيش عالة على (خيال الكبار وتسير في ظل الخيال تستلهم منه عناصرها ، وتتخذ من التراث الانساني المصدر التي تأخذ منه مضامينها ، وصارت حكايات الاطفال كالجدول الصغير ينساب من فيض النهر الكبير ، من قصص الكبار) [1] ومهما يكن من شيء فان مفهوم الحكايات بأنواعها يطوف في عقل الطفل بدرجة كبيرة ، ويفزع الطفل عندما يسمع أوتنطق أمامه كلمة "قصة خرافية" والتى تستحضر في ذهنه صورة مدهشة ولا يمكننا تخيل مناهج التعليم المدرسي دون سماع الأطفال لقصص الخيال أو أن يخلقوا هم الأقاصيص من وحي خيالهم ، وقصص الحيوان تقوم بادوار هامة ووظائف حيوية في حياة الطفل كانتصار الحيوان الذكى صاحب الحيلة على الحيوان الغبي المغفل ولو كان قويا .

ومثل هذا القص يثير خيال الطفل ويستجيب لخاصيتين عندهما : حبه حيان ، وقدرته لعي ادراك المشابهات دون الدخول في تفاصيل جوه الشبه والاختلاف [2] ويردالدكتور محمود ذهني اسباب التقسيمات الفرعية او بعبارة أخري التقسيمات النوعية ، الفرعية لتى طرأت على اللونين الاساسيين في الحكايات وهما : الحكايات الخرافية المسلية (حكايات الجان) ، والحكايات على السنة الحيوان - يرد اسباب ذلك - الى طبيعة التطورفي خصائص الأدب الشعبي من ناحية ، او الاتجاه التخصصي الدقيق للعلوم والفنون والآداب من ناحية أخري ، وفي ضوء ذلك يذكر : (إذا كان الأدب الرسمي ادبا ثابتا يتطلب سلامة النص ، وتوثيق الأصل وصحة النسب ، فإن ألادب الشعبي أدب متغير متطور ، لا يبقي على حال واحدة ، بل لا يغير من عصر

---

* انظر : أمثال العرب للمفضل الضبي ، مجمع الامثال للميداني ، جمهرة الامثال للعسكري ، الامالي القالي، الحيوان للجاحظ ، ثمرات القلوب للثعالبي الأغاني للاصفهاني ، المستطرف في كل مستظرف للابشيهي ، عجائب المخلوقات للقزويني ، حكايات الحيوان الكبري للدميري ، تهذيب الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ، وغيرها .

1) Migs cornelia, ACritcal History of Children,s Lieteure , p155.

(٢) اشكال التعبير في الادب الشعبي ، د. نبيلة ابراهيم ص.٥٠ - ٥١ .

الى عصر ومن مجتمع الى مجتمع ، ومن بيئة الى بيئة ، ومن مجال الي مجال ، فالحكاية الشعبية مثلا قد يكون لها اصل مدون في كتب التراث ، ولكنها تحكى بطرق مختلفة متعددة تناسب كل منها زمن حكايتها والبيئة التى تحكي فيها ، وحال المتلقين .وتفسيرا لهذه الظاهرة يقول المتخصصون أن العنصر الاصلي فى الحكاية واحد أوثابت وتتغير من حوله عناصر الربط والشكل البنائي ، فينتج عنها عشرات الحكايات المتحدة فى الفكرة المختلفة فى الشكل وبالتالي مختلفة فى الهدف) [1] .

ولاريب أن أدبنا العربي عبر عصوره المتتابعة من زمن العصر الذي سبق ظهور الاسلام الى الازمنة الحاضرة وما بينهما ، قدم مادة خصبة من الحكايات الاصلية فى تراثنا العربي ، تعد من أغني المصادر الادبية فى حكايات الجن والخرافة والاسطورة ، بحيث امتعت مضمونها الثري المتنوع وبشخصياتها غير الطبيعية وغير البشرية الاجيال المتعاقبة من الأطفال العرب .

ومن أشهر الحكايات الباقية عن التراث العربي ، حكايات وقصص الف ليلة وليلة ، وحي بن يقظان ، وأفكار وعناصر من مقامات بديع الزمان الهمذاني ، وكليلة ودمنة وغيرها من النوادر والامثال الوعظية والادب الحكيم أو القصص المسلية . وقد تولدت موضوعات جديدة عن أصول تلك الحكايات العربية الباقية (فمن الموضوعات التى أذاعتها ألف ليلة ومكنت لها فى عالم الأب موضوع الرحلات ، ولقد أوحت قصص السندباد إلي كثير من كتاب الرحلات فى الغرب أن يؤلفوا عن رحلاتهم أو عما يتخيلون من رحلات .. كذلك أحيت قصص الف ليلة وليلة موضوع ادب الحيوان فاصبحنا نجد الكثير منه ، وخاصة فى أدب الاطفال والصبية ، وكذلك موضوع الادب الوعظي أو الأدب الحكيم ، وكان الفضل في ابرازه بصورة جيدة يعود الى قص الف ليلة وليلة) [2] والف ليلة من أهم المنابع الاولي فى التراث العربي ، التى تحوي فيما تحوي نماذج عجيبة ،وغريبة ومثيرة فى الأفكار والشخصيات والسرد على السنة البشر والحيوان والطير والجن والشياطين وبساط الريح وغيرها ، وتضم أصول كتاب الف ليلة وليلة العديد من القصص الخيالية والطريفة والنادرة ، وهى فى مجمل دلالتها الفنية تعبير عن الخيال الخصب فى الأدب العربي ، ولعلنا مازلنا نذكر الحكايات التى تم تداولها اوتبسيطها للناشئين من كتاب الف ليلة وليلة مثـــل حكاية بساط الريح الذي جاب البلدان ، والجواد الخشبي الذي اذا فرك ، عرفـــه

(١) الاطفال والأدب الشعبي ، د. محمود ذهني ، ص.١٧٨ - ١٧٩ ، مقالة بمجلة العربي الكويتية مارس ١٩٨٨ م .

(٢) الف ليلة وليلة ، د. سهير القلماوي ص. ٧٤ - ٧٥ ، ط. دار المعارف .

وصهل بسبب حكمة صنعه التى صنع بها ، أيضا قصة عبد الله البري وعبد الله البحري ، وكيف أن عبد الله البري استطاع أن ينزل الى أعماق البحار ويجوب فيها ويعرف خوافيها وغيرها من القصص التى قرأها الاطفال او استمعوا اليها مثل : علي بابا ، عبد الله والدرويش ، الملك العجيب ، السندباد البحرى وغيرها . من مثل هذه الحكايات القصصية المثيرة والعجيبة يستمتع بها الطفل وتنمي خياله .

ومن الثابت أن الخيال القصصي ينمي لدي الاطفال المعرفة بالكون والكائنات ، بالطبيعة ومفرداتها ، ومن ثم يتحول هؤلاء الاطفال بالتدرج الي الاقتراب من الحقيقة او الواقع ، من خلال الانغماس بين صراع الخير والشر فى المغامرات القصصية الخيالية التي تنقلهم من عالم محدود الى عالم متسع لا حدود له ، فلا توجد قصة او حكاية بدون خيال . وفي ضوء هذا يمكننا القول بأن (القصص الخيالية تجعل الاطفال اكثر وعيا بالعالم ليس فقط عن طريق عقولهم بل عن طريق وجدانهم ايضا .فهم لا يكتسبون المعرفة من خلال الاحداث والافكار الخيالية ولكنهم يتفاعلون مع الأحداث والظواهر في العالم المحيط بهم) [1] ونحن واجدون بالطبع في بناء الحكايات القصصية صياغة فنية غير مألوفة للقصة أو الرواية بمعناها الفني الحديث ، اذا الاصل فى الحكاية الخرافية ان تصوغ عالمها الفني الخاص بها ، باسلوب منعزل عن معطيات الزمان والمكان ، عن طريق الأشياء غير المألوفة وباستخدام السحر والاثارة ، والتسطيح وحفز الخيال ، والبناء الفنى للحكاية يتناغم مع عقل الطفل وادراكه لانه بناء يتسم بالتجريد ، والابتعاد عن الواقع الذي لا يصل اليه الطفل إلا مع دخوله مرحلة الفتوة والشباب .

لذلك تحاول الحكاية بأسلوبها الانعزالي التجريدي خلق عالم اثيري اجمل من العالم الواقعي وأكثر منه بهاء وتسلية وسحرا . إن أول شيء يسترعي نظرنا فى الحكاية الخرافية هو اتجاهها الأخلاقي ، فهي تكافيء الخير بخيره والشرير بشره .وربما كان من المألوف في الحكايات الخرافية أن الطفل البطل يظهر له فى ساعة يأسه رجل ، أو امرأة عجوز تقدم له النصح وتسدي له المعونة وقد يظهر له حيوان خير يتحدث اليه ويقدم له المساعدة اللازمة .. إن بطولة الطفل ظاهرة تشيع في الاسطورة او الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية على السواء .

---

(١) التربية الجمالية المعاصرة ، ف. ساخوملونسكي ، ترجمة كاترين كالدســــــــــــون ص ١٣٢ ، ط موسكو١٩٧٧م .

وتحقق الانواع القصصية الموجهة للطفل في مضامينها المتعددة البناء التربوي المتمثل في الادب التهذيبي والتعليمي ، فقصص الحيوان حكايات قصيرة تهدف الى أن تنقل معني اخلاقيا أوتعليميا ، أو حكمة ، أو تنقل مغزي ادبيا، وعادة ما تكون الشخصيات الرئيسية فيها حيوانات أو جمادات أو نباتات لكنها تحمل صفات الانسان وتعمل عمله ، وفي الواقع أن المكتبة العربية لها فضل الزيادة فى مجال تأصيل حكايات الحيوان من حيث التأليف والجمع .

ويعد كتاب ابن المقفع (٧٢٤ – ٧٥٩م) أشهر كتاب فى الأدب القصصي على ألسنة الحيوان والطير (.فكتابة كليلة ودمنة لمؤلفه الاصلي الفيلسوف الهندي بلباي ، يحتوي على حكايات وأقاصيص خيالية على أفواه البهائم والطير لاظهار الحكمة والتهذيب والتثقيف باستخدام وسيلة ادبية هي القص الخيالي الرمزي ومادة الكتاب تزخر بالأمثال والاحاديث الوعظية ، وتنطق بالحكمة في ثوب من السحر والخيال والتشويق) (١) وقد تأثر بهذا الكتاب في مجال الاقتباس والمحاكاة معظم الآداب الاجنبية في العصور الادبية المختلفة والاداب الاجنبية التى اقتبست الحكايات القصصية وحكايات الحيوان من الادب العربي مدينة فى الأخذ بالمادة الموضوعة أصلا في كتب التراث من مثل ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ، والملاحم القصصية الشعبية ، وقد البس هؤلاء الاجانب المادة العربية الاصلية من فيض محاكاتهم واقتباسهم وفنهم فن التصرف * في مادة موضوعاتها ليلائموا أذواقهم .

والذي لا جدال فيه أن الاصول الأولي للحكايات القصصية في مجال الأدب الوعظي التهذيبي أوالأدب الحكيم يعود الفضل في ظهورها في الاداب الاجنبية الى الجذور التراثية في أدبنا القديم .

ونستطيع استقراء فضل تلك الريادة من فقرة أوردها ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة تقول : (.. وأما كتاب كليلة ودمنة فجمع حكمه ولهوا ، فاختاره الحكماء لحكمته والاغرار للهوه ، والمتعلم من الاحداث ناشط فى حفظ ما صار اليه من أمر يربط في صدره ولا يدري ما هو ، بل عرف انه قد ظفر بمكتوب مرقوم ... وأول ما ينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعـــرف الوجوه التى وضعت له ، والرموز التي رمزت اليه والى أى غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه الى البهائـــم ،

---

(١) أشكال التعبير في الادب الشعبي ، د. نبيلة ابراهيم ، ص. ٦٩ – ٨٠

* تأثر لافونتين بكليلة ودمنه عن ترجمة جلبير جولمان كما تأثر دانتي في الكوميديا برسالة الغفران للمعري ، ومازالت الف ليلة وليلة مصدرا لاينفذ للاقتباس في معظم الآداب الاجنبية شأنها شأن قصة حي بني يقظان في الاخذ عنها ومحاكاة مضمونها والتأثر بها يبدو في آداب اكثر من لغة عالمية

وأضافة الى غير مفصح وغير ذلك من الاوضاع التى جعلها امثالا * ونستطيع القول في اطمئنان أن المقدمة السابقةالتى أوردها ابن المقفع كليلة ودمنة تحمل غير الريادة التى اشرنا اليها، إظهار الحكمة على أفواه البهائم والطير - تحمل التوجيه الاخلاقي والمعرفي للكبار والصغار في آن واحد وبلون أدبي رمزي ويزعم المؤلف أن اختزان الاطفال للمغزى حكايات وأمثال الكتاب عن طريق الحفظ هى نظرة تربوية تحمل ا لتعليم والتهذيب كذلك ، وهو الذي قصده من عبارة المقدمة : (والمتعلم من الاحداث (الصغار) ناشط في حفظ ما صار اليه من أمر يربط في صدره ولا يدري ماهو بل عرف أنه ظفر من ذلك بكتاب مرقوم) وعنايةالادب العربي القديم بالحكايات القصصية والخرافية وقصص الجان ، لم تأت من فراغ ، بل نتيجة منطقية لتطور حياة الجماعة العربية العقلية والاجتماعية . فاخبار الامم السابقة ، وذكر إيامهم ووقائعهم ، وتطور الخيال للبحث فى الكون - كل ذلك - أملي على العرب ارهاصات الاخبار والسرد والقص ، ومن ثم تطورت الى مأثورات ومرويات وحكايات تجمع بين المنفعة والتسلية ، وقد أحسن العربي بعمق نظرته أنه في بيئة خصبة تمض الى جوارالبشر ، الطير والحيوان في ذلك الواقع المعاش وتنبه باعمال خياله الى الاعتقاد بوجود كائنات أخري لا يعرف كنهها فهي عنده الجان والشياطين تارة ، والملائكة والالهة تارة اخري ، وفي تراث الانسانية مرويات تجعل الحيوان أو الطير يتحدث بالانبياء والخيال ، كما ورد فى القرآن الكريم غيـــــر مرة - في سياق السور - أيات ، تتحدث عن الحيوان والطير . * ومن الملامح الدالة علي ذيوع الأساطير فى البيئة العربية القديمة وجود الاساطير الطقوسية وأساطير الخلق أو التكوين ، وما واكبها من وجود الاسطورة الرمزية التى تحمل الرمز فى نمضمونها ، ومؤداها أنه لما كان الانسان مازال يعيش في جو اسطورى ، حول الالهة ، فقد خلع صفات العالم الانساني علي الالهة فأصبحت الالهة تتصرف تصرف الانسان أو اصبح الانسان يسلك مسلكا انسانيا من خلال الالهة .

وقد يقول قائل ما علاقة الأسطورة وأنواع الاساطير بالطفل ؟ . ومحاولة المؤلف للرد على هذا التساؤل يسيرة ، إذ الهدف من الاسطورة فى الغالب هو إعادة النظام للحياة وتقـــوم

---

* كليلة ودمنة ، لابن المقفع نقلا عن الحكيم الهندي بلباي ، ص. ٦٧ - ٦٨ ط القاهرة ١٩٦٨ م

* سميت عدة من سور القرآن الكريم باسماء الحيوانات والطيور وسيقت أيات تلك السور بفرض ايضاح معجزات الخالق في خلقه ومخلوقاته ، ومنه حديث وادي النمل والنملة قال تعالي في سورة النمل " يأيها النمل ادخلوا مساكنكم " وقال عز من قائل من حديث الهدهد الي نبي الله سليمان أحط بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين " ومن قوله " وورث سليمان داود وقال (يا ا النا س علمنا منطق الطير) ، والطير لا تنطق فقط بل تسبح لله وتصلي (الم تر أن الله يسبح له مافي السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون) الاية ٤١ سورة النور

بوظيفتها الأخلاقية في هداية الانسان وهي قبل تلك الغاية لتفسير الكون بظواهره لأنها تحتاج الخيال الذي لا يخلو من المنطق وقد عرفت الحضارات الانسانية- وعلى الاخص الحضارة الشرقية – العديد من النماذج الاسطورية ، قبل ظهور الأديان فأسطورة اوزوريس في الادب الفرعوني القديم وأسطورة التكوين البابلية وأسطورة جلجامش الاشورية من أنواع الاساطير التى سبقت ظهور الاديان . الامر الذي يؤكد مقولة برونسلامالينوفسكي القائلة بأن (الاسطورة تقوم بوظيفة لاغناء عنها فهي تعبر عن العقيدة وتزكيها وتقنها وتصون الاخلاق وتدعمها وتبرهن على كفاءة الطقوس وتضم قواعد عملية لهداية الانسان (*) إن شغف الطفل بالاستماع والأستمتاع بالحكايات الخرافية والاسطورية مسلمة من المسلمات عميقة الصلة بخصائص مرحلة الطفولة واحتياجها ما يساعد على حفز خيال الطفل وتنمية مداركه والتفاعل بالظاهرة المحيطة به ومحاولة سبر أغوارها ، فالطفل مولع بالخيال ومحاولة ايجاد العلاقة بين الظواهر والاشياء غير المألوفة) [1] ولو لم يكن للحكايات القصصية أو الخرافية أو الاساطير وجود فارق خارطة الأدب العربي ما عاشت مثل تلك الفنون النثرية الادبية بين الاجيال تتردد وتدون ، بل وتستمر ينبوعا اصيلا للمحاكاة والاقتباس فى الآداب الاجنبية ، على نحو استلهام الغرب لمضامين ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وحي بني يقظان وغيرها من الحكايات القصصية المفيدة والعجيبة وقصص الحيوان Fables وقصص المخلوقات المفيدة والعجيبة التى تضمنها كتاب عجائب المخلوقات للقزويني أو الحيوان للجاحظ ، والحيوان للدميري ، أو في السير والملاحم المثيرة في تتابع أحداثها ومعجزات أبطالها وعبقرية مضامينها وأشهرها ف الادب العربي السيرة الهلالية وسيف بن ذي يزن وعنترة بن شداد والاميرة ذات الهمة وغيرها

وتكادتتفق معظم الروايات أن اول من قص القصص وحدث بالحكايات فى الادب العربي مع ظهور الاسلام هو تميم الداري وهو نصراني أسلم في سنة تسع من الهجرة ، ومن أشهر ما قص به من قصص خيالي قصة (الجساسة والدجال) [2] وتحمل هذه القصة في مضمونها النظر الجزئي والموضوعي للعقلية العربية ، ويمثل شكلها التعبيري إشراك الحيوان فى الحكاية

---

* الحكاية الشعبية ، د. عبد الحميد يونس ، ص١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ .

(١) انظر لمزيد من التفاصيل حول القصة السيرة لابن هشام ، الاغاني للاصبهاني ، المستطرف للابشيهي

(٢) تعد المقامات العربية من مثل مقامات بديع الزمان الهمذاني ، احد أشكال التعبير القصصي ، فالمقامة قصة مسجوعةغالبا ، تشتمل علي عظة او لمحة تؤدي بجمل قصيرة موحية ، منها هذا البيت من المقامة البصرية للهمذاني يطوف مايطوف ثم يـــــــاوى الي زغب محددة العـــــيون

انظر مقامات الهمذاني ، شرح الشيخ محمد عبده ، ط بيروت ، ١٩٨٩ م

وتروي قصة الجساسة والدجال " علي لسان الداري " .. أنه ركب سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر ثم ارتأو أن يأووا الى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس فجلسوا في أقرب سفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم " دابة " أهلب كثيرة الشعر فقال : ويلك ما أنت ؟ فقالت أنا الجساسة ، وسميت الجساسة لأنها تتجسس الاخبار فتأتي بها الدجال ، ومما يذكر في هذا الشأن أن صورة تقديم الحكايات القصصية العربية كانت تؤدي على السنة الرواة في الاسواق ومنتديات السمار وعلى ألسنة المربيات والجواري في بيوت الاغنياء قبل الاسلام ، وبظهور الاسلام كانت تؤدي الحكايات القصصية في المسجد بالاضافة الى الاماكن التي ذكرناها ، وكان القصاصون الرواة يتولون مهمة القص من داخل المسجد والناس من حول القاص يتحلقونه ويستمعون الى ما يلقيه عليهم من قصص وحكايات وأمثال وأساطير ، وكان يضيف الى مادته ما يضفي عليها المتعة والمنفعة والخيال فكان " لا يعتمد فيها على الصدق بقدر ما يعتمد على الترغيب والترهيب) ومن المؤكد أن أدخال القاص لمفهوم الترغيب والترهيب في الحكايات القصصية يمثل- غير النظرة العقيدية – تطور الشعور الجمعي والعقل العربي بأعتناق دين سماوي روحي يسمو بالانسان ويتجاوز جمود صراع الافكار البدائية الى صراع جديد محوره العقل والوجدان ، وينمي لدى الانسان الميل الي الاستقصاء والادراك وحفز الخيال .

وقبل أن ننتقل من الحكايات القصصية والاسطورية التي أشرنا الى وجودها في أدبنا العربي القديم إلى أنواع أدبية نثرية لها أهميتها بالنسبة للطفل يجدر الاشارة الى أن كتب اللغة والاداب التي أشرنا اليها غير مرة تشتمل على وصف دقيق لنتاج خاص بالاطفال وتعرض صفحات عديدة لحكايات ومقطوعات وأخبار تدلنا على أهتمام العقل العربي بالطفولة ، وكيف كان المؤدبون يعاملون تلاميذهم ويكافئون النابهين منهم ، ان استقراء تاريخنا الأدبي يعطينا حقيقة هامة في مجال أدب الاطفال وهي أهتمام العقل العربي بالانواع القصصية الموجـــــهة

---

(١) انظر لمزيد من التفصيل حول القصة السيرة لابن هشام ، الاغاني للاصبهاني ، المستطرف للابشيهي .

للطفولة . وقد كتب لتلك الحقيقة الاستمرار الى عصرنا الحاضر ، **فالقصة أو الحكاية التي تقدم للطفل هي لون ادبي رائد في المناهج التربوية** وعلى ألسنة الأمهات المعاصرات الائي يهملن هذا الجانب فالحكايات القصصية تلائم طبيعة مراحل انتقال الطفل من مرحلة ما قبل المفاهيم (النمو الحركي والحس العقلي) الى مرحلة الخيال المنطلق ومن الخيال المنطلق الى مرحلة الاقتراب من العلميات الفكرية المحسوسة (الواقع) . وفي قصة حي بني يقظان ما يؤكد صدق تلك المقولة السابقة ومدى معرفة العقل العربي بأبعاد القصة وعلاقاتها بخصائص الطفولة ، فابن طفيل فى سرده لحي بن يقظان هيأ خيال الصغير للادراك وشغف الاسستمتاع ، فهو يرى بخياله الرائع أن الجسد الحي تتحكم فى عناصر أربعة هي أساس وجود حي بن يقظان الذى نشأ نتيجة منطقية لتفاعل العناصر الاربعة في جزيرة طيبة الارض والهواء معتدلة المناخ وما أن تكون حي بن يقظان حتي تتولى رعياته غزالة أرضعته من لبناها حتي شب وأدرك وأصبح عقله هو قائده الذى يرشده ويهديه ثم عرف من بعد حقائق الأمور المحيطة به الى أن أدرك الخالق جل جلاله .إن الاستقراء المفصل لحكايات الف ليلة وليلة ، وحكايات كليلة ودمنة ، وقصص الحيوان عند الجاحظ والقزويني والدميرى وحكايات الخوارق ، وما تتضمنه عناصرها من أحداث وشخصيات وغرائب وعجائب وأفكار – يدلنا – على وجود مادة أدبية قصصية ، لها خصوبتها ، وآثارها ، ويمكن للمبدعين الذين يتوفرون على كتابة نوع أو أنواع نثرية فى أدبنا العربي أن يجلوا صفحاتها ويعمقون توجهاتها من خلال اعادة المعالجة لأصول تلك النصوص الادبية أيضا إمكانية تبسيطهم تلك الانواع الادبية للطفل لأهمية تأثيرها الوجداني في نفوسهم وشخصياتهم .إن ولع الأطفال المعهود بالحيوان والطير يحفزنا لتقديم * المادة القصصية – مكتوبة ومروية – في أشكال جذابة تجمع بين التسلية والمتعة والفائدة وصقل الخيال وحفز الادراك ، ومن نافلة القول الاشارة الى أن تقديم المادة القصصية للأطفال نقلا عن أصولها الأولي يتطلب التنقيح والتهذيب بما يلائم خصائص الطفولة .

الأمثال والحكم والوصايا (الأدب الحكيم) :

أوضح المبحث السابق أهمية تأثير الاشكال القصصية الموجودة فى التراث العربي فـــي

---

* يمكن الاعتماد علي مادة حكايات التراث القصصي العربي باعادة تقديمها للاطفال بعد تبسيطها وتهذيبها بديلا عن استغراق الكتاب المحدثين في الاقتباسات والنقول المتزايدة عن الاداب الأجنبية بقيمها الوافدة ،، وقد أفلت من تلك الاقتباسات الأجنبية كامل كيلانى من المحدثين وعبد التواب يوسف من المعاصرين ، فى فنية ملحوظة وريادة غير مسبوقة

التكوين الأدبي للأطفال ، واستتبع ذلك التعرض لنشأة وتطور أنواع الحكايات القصصية والأسطورية في الأدبين الرسمي والشعبي عن طريق استقراء الأصول التراثية للحكايات بأنواعها وتتبع إنتقالها من جيل الي جيل ، وقد المحنا كذلك الى عمليات التعديل أو التبسيط لتى تمت على ألسنة الرواة والمعلمون والمؤدبون بما يحقق النظرة الوظيفية للأدب .

وعرفنا أن القصص الخيالي هو الذي يجرى - في معظمه - على السنة الحيوانات والطيور والجماد ات ويشترك الأنسان احيانا في هذا اللون الادبي بطريقة غير مألوفة تتسم أحداثها وتفصيلاها بخرق النواميس الكونية ، كما أن القصص التهذيبي أو التعليمي يهدف بطريقة مباشرة الى غرس القيم العليا الصحيحة ، والاخلاق الفاضلة ، والمثل السامية في عقل ووجدان الطفل اما القصص الاسطورى والذي يعزي وجوده الى عصور سحيقة فكان يدور حول الجان أو الشياطين والمخلوقات الغريبة* وغيرها وأهم ما يميز هذا اللون القصصي قيام البطل الأسطورى بخوارق العادات ومواجهة الصعاب التى تعترضه من خلال تسلسل أحداث مثيرة تهدف الى إعادة تنظيم الحياة

وليس بمقدور المؤلف المنصف وهو يرصد ظاهرة مادة أدب الطفل في تراثنا العربيَ ويتتبع وجود أشكالها النثرية والشعرية أن يسقط من بين ثنايا كتابه عدة أنواع نثرية لها تأثيرها على الناشئين ، وقد كتب لبعضها الأخر التوقف عن المسير تبعا لتطور الحياة العقلية والاجتماعية للأمة

---

* درج نفر من الباحثين علي ترديد مقولة غريبة مؤداها أن الأدب الامم السامية تتسم بعدم وجود النموذج الكامل للأساطير بسبب ضعف الخيال ، وتاريخ الادب في الامم الشرقية يدحض ذلك فكم من أسطورة وجدت عاشت بين الاجيال جيلا بعد جيل في الحضارات البابلية والفرعونية والهندية والجاهلية لمزيد من التفاصيل ، راجع : india Myths, Babylonian Myths Egyption Mytholoy, وقد اشار كتاب الشرق في مؤلفاتهم الي معرفتهم بعناصر الاساطير قال الشاعر العربي القديم

واعلم أن المستحيل ثلاثة　　　العول والعنقاء والخل الوفي

والعنقاء طائر وهمي نادر في معتقد الناس يرمز للخلود لدي كثير من شعوب العالم القديمة وقد ذكر العرب في تاريخ آدابهم وفي آياتهم " العنقاء " وكان للعنقاء الطائر العربي الاسطوري أثره في الاداب الأجنبية وسميت العنقاء بالشجرة العربية ، فقد ورد ذكر العنقاء لدي شكسبير في مواضع متعددة باسم الطائر العربي منها مسرحية " كما تهواه "، العاصفة وهنري السادس ، " اضافة الي تكريس قصيدته " العنقاء والنواح لها" ويردفها ايضا باسم الشجرة العربية ، لمزيد من التفاصيل انظر كتاب الحيوان للجاحظ والعين للفراهيدي .

وتعد مقامات بديع الزمان الهمذاني (٣٠٨ - ٣٩٨ هـ) أحد الاصول التراثية التى تزخر بالقصص والامثال والحكم بحيث يمكن أعادة تبسيطه للأطفال لأن الأسلوب اللغوي ، نثره وشعره فى مقامات الهمذاني يصعب فهمه وادراكه من قبل الاطفال ويمكن لكتاب الطفولة إعادة المعالجة بالتبسيط دون أن تفقد اصالتها و مضامينها الفريدة ، أو وظائفها الأخلاقية .

ومن الانواع النثرية فى الأدب العربي التى كتب لها الاستمرار الامثال والحكم والوصايا ، وهي انواع تنتشر مادتها الادبية فى الادبين الرسمي والشعبى ونحاول من خلال السطور التالية بيان علاقة تلك الانواع بالطفولة وتكوينها الأدبى .

الأمثال الحكمية :

الأدب الحكيم ، أو الاقوال الحكمية من مأثور القول والحكمة والمثل والوصايا والعظات ، هي جميعا خير تعبير يمثل الرؤية الاخلاقية فى أدبنا الموروث وقدخاطبت هذه الالوان الادبية فى أحد مقاصدها وجدان الطفل وحواسه بمثل مخاصبتها عقله ومنطقه ، وقد لعبت هذه الألوان دورها الحاسم فى التكوين الأدبي للأطفال . ومما يلفت النظر أن الادب العربي وقد جعل محور أرتكازه بالنسبة لتكوين الطفل الأدبي من خلال الحكم والأمثال والمواعظ والمأثور الشعري والنثري من القول قبل تعامل الاطفال مع الحكايات القصصية وما تتطلبه من نمو معرفي ووجداني لمتابعة الافكار والاحداث والحوار ... الاخلاقية وقد قال الله عز وجل فى شأن كمال النبوة الأخلاقى " وإنك لعلي خلق عظيم " الاية ٤ سورة القلم .

وقال سبحانه وتعالي (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) فالعتيد هو المهيأ والحاضر واعتد الشيء هيأه وأعده * فالنظرة الالهية للنبوة تقدم لكمال الاخلاقي ، ولنا في رسول الله (ص) الأسوة الحسنه ، كما أن الأدب العربي فى أحد غاياته لا ينفصل عن تلك الرؤية الاسلامية الشاملة ، فالادب من هذا الجانب التهذيبي الأخلاقي يمثل .. كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان والمحاكاة تكون بمزاولة الأقوال الحكيمة التى تضمنتها لغة أى أمة هو ما أودع نثرها وشعرها من نتاج عقول

---

* المعجم الوجيز ، ط مجمع اللغة العربية ، ص ٤٠٥ القاهرة

ابناءها وأمثلة طبائعهم ، وصور أخيلتهم ومبلغ بيانهم . مما شأن أن يهذب النفس ، ويثقف العقل ويقوم اللسان " [1] والعقلية العربية احتفلت بالطفل من زمن ولادته الى أن يشب ، فالأدب في أحد مقاصده العربية رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي أن يكون ، وكان الطفل ينمو ويشب علي القول الجميل والمنظوم والمنثور ، والحكمة رأس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله عز وجل فيها : (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا)) الاية ٢٩ ، وفى الحديث النبوي (أن خياركم أحاسنكم أخلاقا) [2] .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام فى معني استحسان المنطق وإيراد الحجة البالغة والبيان المؤثر : إن من البيان لسحرا . ومقولة على بن ابى طالب (علموا بنيكم أخلاقا غير أخلاقكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم " مقولة لها مغزاها فى ضرورة حسن إعداد الطفل للمستقبل الذي ينتظر الامة) [3] وقيل (أن معاوية سأل عمرو بن العاص من ابلغ الناس فقال اقلهم لفظا وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة ولم يكن في ذلك الفخر الكامل لما خص به سيد العرب والعجم صلي الله عليه وسلم وأفتخر به حيث يقول نصرت با رعب وأتيت جوا مع الكلم ، وذلك أن كان عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعاني الكثيرة) [4] .

وفى ايات القرآن الكريم من الحكم والأمثال وجوا مع الكلم ، التى تجري بين الناس هداية ووعاء للمعاني والقيم المحمودة ، من مثل (ولقد آتينا لقمان الحكمة) و (حكمة بالغة فما تغني النذر) و (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) و (قل لايستوي الخبيث والطيب) فالأدب الوعظي الحكيم يلعب دوره المباشر في حفز مشاعر الأطفال ، والاداب القديمة تزخر بالحكم والوصايا ، وأشهرها ذيوعا وتأثيرا تلك التى يحدثنا عنها القرآن الكريم (اذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) " الأية١٣ سورة لقمان .

وما من شك أن شغف عقول الاطفال بالمجهول وميلهم ا ى ب الاستقصاء جعل الرواة وعلماء اللغة والأدب والمعلمون والمؤدبون يحفرون خيال الطفل العربي بالوقوف والتأمل عنـــــد

---

(١) الوسيط في الادب العربي وتاريخه ، أحمد الاسكندري واخرون، المقدمة طبع القاهرة سنة١٩١٦ م

(٢) صحيح البخاري ، جـ ١ باب الأدب

(٣) المنهل ، ع ١٩١ ، ١٤٠٥ هـ السعودية

(٤) المستطرف من كل مستظرف للابشيهي ، ص ٣٩ جـ ١

الأمم السابقة كي يحلون على ثمرة القول السائر والحكمة الباقية . وفي ذلك قال اكثم بن صيفي حكيم العرب (ذللوا أخلاقكم للمطالب وقودوها الى المحامد وعلموها المكارم ولا تقيموها علي خلق تذمونه) [1] فالاخلاق المحمودة غاية وظيفية أحد وسائلها الأدب بمعناه التهذيبي العام ومعناه الأدبي الخاص كذلك ، فالقدرة المكتسبة التى يكتسبها الطفل من تأثير الانوا ع الادبية في النفوس من أهم الدعائم الوجدانية التى تؤسس عليها الملكات اللغوية والادبية بين الناشئين (وللعرب نظرتهم الفلسفية للكون ، وهي نظرة ذات طبيعة خاصة تتسم بالجزئية والتغير .. وعلى أساس هذه النظرة تملكوا السنتهم) [2] وهناك علاقة من نوع خاص تتعلق بالادراك لدي الاطفال ومدي فهمهم للحكم القصار والأمثال الحكمية - نثرية وشعرية - فالحكمة أو المثل من أقرب الفنون وصولا الى عقل الطفل وادراكه بسبب قصر الحكمة أو المثل وأيجازهما من ناحية والبساطة فى الاسلوب اللغوي المستعمل من ناحية أخرى .

وهذا لايعنى أن الامثال والحكم التى وصلتنا عبرالعصور الأدبية من تاريخ أدبنا العربي كانت في جملتها رسالة ادبية موجهة للكبار في المقام الاول من خلال خطبة أو عظة أو منظومة أو رواية ونحو ذلك من وسائط الابلاغ أوالتدوين ، ولكن الذي لا شك فيه أيضا ، أن أمثال العرب وحكمهم لم تخل من نماذج نثرية أو شعرية يفيد منها الطفل ويستمتع ببيانها ، ومن الانصاف إذا القول بأن تأثير الامثال والحكم فى نفوس الكبار له ما يبرر تأثيره كذلك فى نفوس الصغار . وهذا يقربنا من تعريف المثل وتأثيره . فكلمة مثل تطلق على الحكمة السائرة ، وعلي الحكاية القصيرة ذات المغزي وهي مأخوذة لغة من قولك · مثل هذا الشيء ، ومثله كما تقول . شبه وشبهة فالاصل فى المثل التشبيه بواسطة الاداء اللغوي البسيط الموجز [3] .

والأمثال مرآه تريك صور الأمم وقد مضت ، وتقفك على اخلاقها وقد انقضت ، وهي ميزان يوزن به رقي الشعوب وأنحطاطها ، وسعادتها وشقاؤها وأدبها ولغتها . ولقد أكثر العرب منها فلم يتركوا بابا إلا ولجوه ، ولا طريقا إلا وسلكوه وقـــد أفردها العلماء بالتأليف ، وأقـــدم

---

(١) نهاية الارب للنويري ص ٢٠٥

(٢) فجر الاسلام احمد امين ، ص٤٣

(٣) المرجع السابق

الامثال المأثورة هى أمثال لقمان الحكيم . (والمثل قول محكي سائر يقصد منه تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي قيل لأجله والحكمة قول رائع يتضمن حكما صحيحا سليما وكما يكون كل منها نثرا يكون نظما [1] وفي الحديث : أن من الشعر لحكما ، أى أن في الشعر كلاما نافعا يمنع من الجهل والسفه وينهي عنها ، قيل . أراد بها المواعظ والامثال التى ينتفع الناس بها .. ويرى أن من الشعر لحكمة، وهو بمعني الحكم .. وقد سمي الأعشى القصيدة المحكمة حكيمة فقال : (وغريبة تأتي الملوك حكيمة ... قد قلتها ليقال : من ذا قالها ؟) والمثل لغة : الشيء الذي يضرب لشيء مثال فيجعله مثله ، وفي الصحاح : ما يضربه منل الأمثال .. وقد يكون المثل بمعني العيره ، وماثل الشيء : شابهه) [2] . وفي غير موضع من سور القرآن الكريم وردت لفظةالمثل ومنه : قول الله عز وجل : (ياأيها الناس ضرب مثلا فاستمعوا له) فإن آمنوا بمثل ما آمنتم ، به) ، (مثل الجنة التى وعد المتقون) .

ومما يلاحظ أن الذوق العربي جعل الامثال الحكيمة والحكم القصار ترجمة لشون الحياة ، ووصف مظاهرها ، ورصد الخبرات المستفادة منها ، لذلك تعد الحكمة محورا للأستدلال العقلي ونقل الخبرة بين الاجيال وأشهر الحكم العربية المأثورة هى التي قال بها أكثم بن صيفي في الجاهلية والأمام على بن ابي طالب فى الاسلام وغيرهما من حكماء العرب . وقديما اتفقت مقولة الالوي مع ابن رشيق فى أن العرب كانوا أتم الناس عقولا وأحلاما ، وأطلقوا السنة وأوفرهم إلهاما أستتبع ذلك (أن حكمة العرب اشرف الحكم) [3] وعلى بساطة لغة الحكمة أوالمثل فهما يطلقان الخيال للمعاني المقصودة من وراء ضربهما ، وهو خيال غير تركيبي لا يعرف المبالغة والاغراق والتعتيم ، لأن الصورة الفنية فى الأدب الحكيم تنتزع من شئون الحياة وخبراتها ، ومن الطريف أن توجد طائفة كثيرة ومتنوعة من الامثال الحكيمة نثرية وشعرية فى أدبنا العربي ، يدخل فيها عنصر الحيوان ، الامر الذي يعمق من مفهوم الادب التهذيبى على إلسنة الحيوان والطير ومدي صلاتهما المعهودة والمحببة الى عالم الطفل . وفى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن " الادب التهذيبي " أو التعليمي في الأمثال ينحو الى إفتراض من نوع ما يرمز الى واقعة أو ظاهرة في فترة زمنية من حياةالمجتمع يكثر فيها الظلم

---

(١) الوسيط في الادب العربي وتاريخه ص ١٦

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة حكم ص ٩١ - ٥٩٢

(٣) العمده لابن شيق ، المقدمة

ويميل المؤلف الى الرأى القائل أن الامثال الحكيمة الفرضية (تكثر في الأيام التى يكثر فيها الجور والاستبداد والتضييق على الهداة والمرشدين ، فيضطرون إليها للوصول الى أغراضهم ، مع الأمن على حياتهم على ما فيها من الترويج عن المخاطر ، ولطف المدخل ، وجمال الفكاهة المطوية في تضاعيفها النصحية [1]) ومن الامثلة الفرضية : في بيته يؤتي الحكم . وهو محكي لسان الضب . ومنه ايضا : أحمق من عجل . وهو عجل بن لجيم وذلك أنه قيل له: ما اسميت فرسك ؟ ففقأ عينيه ، وقال سميته الاعور ، فقال الشاعر : [2]

رمتني بنـــــو عجـــل بداء أبـــيهم وأي امرىء في الحمق أحمق من عجل

أليــس أبوهـــم عـــار عيـــن جواده فصارت بــه الأمثال تضرب في الجهل

ومن الامثال النثرية التى ترتبط بحكاية أو طرفه مأثورة :

رب رمـــية مـــن غيـــر رام ، .... ما يـــــــوم حليمــة بســـر

مكـــره أخـــاك لابـــــطل .... ســـبق الســـيف العـــدل

ومن الامثال الحكيمة المنظومة:

لاتقطعن ذنـــب الافعي وترسلها ، ان كـــنت شهما فاتبع رأسها الذنبا

ومنه أيضا :

أن تـــرد المـــاء بماء أوفـــق لاتنب لى لقد قـــلت للقوم استقوا

ومنه كذلك قول ابو العتاهية :

والتقـــــرذل عليـه بـــاب مفـــتاحه العـــجز والتـــواني

---

(١) الوسيط في الادب العربي وتاريخه ، احمد الاسكندراني والخرون ص ١٧ - ١٨

(٢) محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار لابن عربي ، تحقيق محمد مرسي الخولي ص١٥٣ ، ٢٢٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب

ويقول . بشارد بن يرد :

وليس عتاب المرء للمرء نافعا   اذا لم يكن للمرء لب يعاتبه

وقال طرفه بن العبد : كلهم أروغ من ثعلب ، ما أشبه الليلة بالبارحة ، وديوان الشعر العربي كما هو معلوم، تتناثر فوق صفحاته منظومات - غزيرة في الحكم القصار والامثال الحكيمة مما يمكننا من انتخاب ما يوافق عقل الطفل وادراكه وهذا لا يتعارض مع شعر الحكمة كغرض أساسي من أغراض الشعر العربى الموجه للكبار وتبقي بطبيعة الحال الفروق في التوجه واللغة لدى المتلقى .

ان استقراء الامثال الحكيمة والحكم القصار يعطينا من السهولة في الالفاظ واعمال الخيال ، وذكر خلق العالم وفنائه وأحوال الاخرة وصفات الخالق ، والافادة من مواقف وخبرات الحياة . فالحكمة كلمة جامعة تلخص نظرية أو مجموعة ملاحظات وتجارب المفروض فيها أن يسلم بها الجميع مثال ذلك قول المتنبي :

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت ايلام

والمثل فى تعريفة ونماذجه التى عرضنا لها ، يتضمن الحكمة الذائعة منذ القدم وتتضمن ملاحظة عامة ، وغالبا ما تكون في اسلوب مجازى من مثل : اليأس احدي الراحتين . المورد كثير الزحام . فالحكمة والمثل يكتب لهما الخلود والنقل بين الاجيال تدوينا ورواية نظرا لتداولها بين الناس وتميزها بالدلالة الموحية الموجزة . وكثيرا ما تسمي الحكم القصار والأمثال الحكيمة بالمثل المتداول أوالمثل السائر . ومن الثابت أن الجملة القصيرة الموجزة ، أو المقطوعات ذات البحور الشعريه الخفيفة المجزوءة أقرب الى عقل الطفل وادراكه عن الجملةالطويلة المحملة بالخيالات البعيدة والألفاظ الحوشيه المبهمة .

وأدب الامثال والحكم فى النهاية له جذوره الضاربة في أعماق تاريخنا العربي وقبل تدوين الحكم والامثال العربية حفظ الموروث الشعبي أدب الامثال والحكم علي نحوما نقلناه عن الأداب القديمة البابلية والكنعانية والمصرية والهندية وغيرها ، ولأهمية الامثال فقد سارع العرب الى تدوينها منذ أواسط القرن الاول للهجرة ، إذ الف فيها صحار العبدي أحد النسابين فى ايام معاويه بن أبي سفيان (٤١- ٦٠هـ) كما الف فيها عبيد بن شريه معاصره كتابا آخر ، ويقول صاحب الفهرست أنه رآه في خمسين ورقة . وإذا انتقلنا الى القرن الثاني وجدنا التاليف فى

الامثال يكثر . اذا اخذ علماء الكوفه والبصرة جميعا يهتمون بها ويولفون فيها ، وقد وصلنا من هذا القرن كتاب امثال العرب للمفضل الضبي ونمضي الي القرن الثالث الامثال لأبي عبيد القاسم بن سلام " وما تزال المولفات في الامثال تتوالى حتى يؤلف ابو هلال العسكرى كتابه " جمهره الامثال " ويخلفه الميداني فيؤلف كتابه " مجمع الامثال " وهو يقول في مقدمته أنه رجع الى ما يربو على خمسين كتابا .

ومن يرجع الى هذه الكتب يجدهم يسوقون الكلمة السائرة التى تسمي مثلا ، ولا يكتفون بذلك ، بل يقفون غالبا لسرد القصة او الاسطورة التى تمخض عنها المثل وقد تتمخض عن امثال فتروي في تضاعيفها [1] . وقد أهتم علماء الاستشراق بالامثال العربية الحكيمة وأبرز محاولة علمية فى هذا الشأن قام بها المستشرق الالمانـي جورج فيلهام فريتاخ (١٧٨٨ – ١٨٦١ م) حيث توفر على اصدار موسوعة كبري بعنوان " أمثال العرب " فى ثلاث مجلدات ضمت ثلاثة الاف وثلثمائة وواحد وثلاثين مثلا عربيا والاهم من اصدراه الموسوعة هو اضطلاعه بجهد علمي فائق رائد فى ترجمة " امثال لقمان الحكيم " الى اللاتينية نقلا عن مخطوطه عربية موجودة بباريس [2] .فقد وجد مادتها الثرية تفيض بالفائدة وما تحمله من مقاصد أخلاقية وتعليمية ووعظية . بالرغم من أن كتاب فريتاخ " أمثال العرب " له فضل يذكر على المكتبة العربية فان عمدة كتب الامثال عند العرب هو كتاب مجمع " الامثال للميداني [3] " لأنه جمع مادة كتابه القيم بعد الرجوع لمظان الامثال العربية الأولي ، فجاء كتاب الميداني أغزر مادة وأقوي مضمونا فى جمعه وتأليفه ، وقد بلغ عدد الأمثال التى أوردها الميداني كتابه أربعة آلاف سبعمائة وستة وخمسين مثلا عربيا ، وهذا لا يقلل من دور التحقيق والترجمة اللذان قام بهما فريتاخ في تقديم لون أدبي عربي الى الاداب الانسانية .

إن الحكم القصار والأمثال الحكيمة الموروثة تحقق الوظيفة اللغوية والاخلاقية بأعتبارها وقفا على الأدب التهذيبي والوعظي والاخلاقي . وأستخدام الاسلوب اللغوي البسيط والموجز فى

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، د. شوقي ضيف ، ص ٤٠٤ ط دار المعارف ، د.ت

(٢) وجدت مخطوطة أمثال لقمان الحكيم بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ١٧٥ وتقع في ١٤٤ ورقة بواقع ١٤ سطراً في كل صحيفه من المخطوطة ، ونظرا لاهميتها البالغة قام د. يوسف حبي بنقلها محققة عام ١٩٨٥ ، انظر امثال لقمان الحكيم ، د. يوسف حبي ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨٥

تلك الانواع الادبية أدي وظيفته بحيث يتعامل الطفل مع اللغه فى العبارة أو الجملة القصيرة الدالة وفي ايجازها الايقاعى ، وفي اطار هذا النمو اللغوي تعمقت في مخيلة الطفل العربي قدرات اوملكات التذكر والتخيل الاسترجاعي والاكتشاف والتعريف ، والتعلم ، والتجريد والقياس والأدراك .

ونستطيع القول فى النهاية ان اللطائف الحكيمة المروية من خلال قول مأثور بأسلوب المثل أوالحكمة من خلال قصة مروية على السنة الطير والحيوان ، أو قصص خيالي ، أو خرافي ، تتهدف جميعا عقل الطفل ووجدانه بما يحقق المنفعة والمتعة .

ومن الثابت ان وراء كل مثل هذه الامثال السابقة وغيرها من الامثال قصة أو موقف أو طرفة ، ومهمة كتاب الطفولة سرد تلك الامثال الحكيمة فى قالب فني معاصر يستفيد منه جمهور الطفولة .

الاحاجي والطفل :

تهدف الاحاجي والالغاز فيما تهدف الى تعليم الأطفال والكبار معاً كيف ينظرون الى المشكلة من كل جوانبها ؟ . ثم يحتفظون بعد الكد والتفكير بحس فكاهي ، ومن ثم فقيمة اللغز أو الهدف منه قيمة تعليمية وترويحية بغرض المنفعة والتسلية ، كان الانسان دائما مفتونا بالتشبيه التمثيلي منذ أمد طويل .. لقد أدرك أرسطو وجود علاقة بين اللغز والاستعارة ، فاللغز يستخدم الأسلوب الشعرى أو فيما يقارب الشعر مثل القافية والإيقاع والجناس الأستهلالي والتشخيص والرمز والاستعارة ، وهذه الامكانيات الاسلوبية فى اللغز تطورت به منذ القرن السادس الميلادي الى العصر الحاضر تطوراكبيرا ، فالقياسات التمثيلية المركبة اوالتشبيهات التمثيلية أكثر تعقيدا ومن إدراك عناصر اللغزالأدبى يأتي بالطبع حله .

اللغز لغة :

الالغوزة ما يعمي يه من الكلام والجمع ألاغيز . اللغز جحر الضب والفأر واليربوع . الغز كلامه ، وفيه عمى مراده وأضمره على خلاف ما أظهره (١) وفي اللسان : اللغز الكلام والغز فيه

---

(١) أشكال التعبير في الأدب الشعبي د. نبيله ابراهيم ص ٣٢٥ - ٣٣٤

: عمي مراده وأضمره على خلاف ما أظهره واللغز من كلام فشبه معناه ، مثل قول الشاعر ، أشده الفراء .

ولما رأيت النسر عز أبن دابه وعشش فى وكره جاشت له نفسي

واللغز فى الاصل حجر ملتوي للضب والفار واليربوع ، والالغاز طرق تلتوي وتشكل على سالكها [1] وفي معجم الادب ورد اللغز كمصطلح من ، مصطلحات الادب بمعني : صورة الشيئين أو أكثر للتكنية عن كلمة ، وكل صورة لاحد الشيئين ترمز لجزء من هذه الكلمة [2] وأفرد علماء اللغه العرب فى كتبهم المعني اللغوى لمادتي " لغز " ورصيفتها مادة حجا " . فالحجا ، مقصورة : العقل والفطنة وأنشد الليث للأعشى :

اذ هي الغصن ميالة تروق عيني ذي الحجا الزائر

والجمع أحجاء قال ذو الرمة :

ليوم من الايام شبه طوله ذو الرأي والاحجاء مقلع الصخر

وكلمة محجية : مخالفة المعني للفظ ، وفى الاحجية والاحجوة ، وقد حاجيته محاجاة وحجاء : فاطنته فحجوته .. ولاحجية والحجيا أى بالأغاليط) [3] ويعرف الدكتور مجدى وهبة اللغز ، والاحجية فيذكر : " اللغز ، والاحجية ، سؤال يتضمن أوصافا لشيء ما ويطلب من المخاطب تقييد ذلك الشيء بقصد الاختبار الذهني او الترفيه ، وله أنواع منها ما يصف الشيء بعبارات غامضة ويطلب معرفة الموصوف عن طريق القياس أوالمقارنة ، مثال ذلك اللغز الذى حله الملك أوديب حينما سأله الأسفنكس ، ما هو الشيء الذي يمشى على أربع فى الفجر وأثنين ظهرا وثلاث مساء / والجواب هو الانسان في فجر حياته وشبابه وشيخوخته ، ومنها ما يتضمن التلاعب في حروف الكلمة بالحذف او الزيادة مثال ذلك : كلمة اذا اهمل ثانيهاكانت اسما لحشرة تخرج طعاما شهيا ، واذا اعجم ثانيها اصبحت علما على شجرة تنتج ثمرا جنيا . والجواب النحلة والنخلة .. ويرجع اللغز فى الأدب الي عهد بعيد . فنجده مستعملا مثلا في

---

(١) اشكال التعبير في الادب الشعبي ، د نبيله ابراهيم ص ٣٢٥ – ٣٣٤

(٢) المعجم الوجيز ، مجمع اللغه العربيه ، القاهرة ، ص ٥٥٩

(٣) لسان العرب لابن منظور ، مادة لغز ، ص ٤٠٤٧ – ٤٠٤٨ .

الاساطير الاشورية واليونانية القديمة حيث تصور السنة مثلا شجرة ذات اثني عشر غصنا ، تذبل الواحد تلو الاخر ، ثم ينمو من جديد ، او القطعة من نثير الثلج عصفورا ناصع البياض مجردا من الجناحين تزدرده فتاة مقطوعة اليدين (كناية عن الشمس) فيبدو أذن أن الالغاز القديمة ذات صله بالرموز والمجاز) [1] والألغاز بناءة وليست اختبارات أو قياس البراعة فحسب كما يبدو من الاسلوب التعبيرى لشكل اللغز الظاهرى ، بل للألغاز وظيفة اخلاقية وتعليمية شأنها شأن الانواع الادبية التى عرضناها فى هذا الفصل ، وتأثيرها في مرحلة الطفولة أقوى من أي مرحلة تالية لها فهي تحقق راحة نفسية وعلاج سلوكي غير مقصود للميول العدوانية التى تصاحب مرحلة الطفولة المتأخرة ، فالطفل عندما يحل اللغز ويفك رموزه اللغوية والذهنية يشعر بنوع من وتقدير الذات يضيف للانسان رغبة أو رغبات جديدة للاكتشاف والاستطلاع وبالتالي الى حفز الخيال من الناحية الفنية ؛ أى تدبر الواقع الجمالي للغز .

واللغز من الناحية الاسلوبية كثيرا ما يكون مرتبطا بالشعر الشعبي ، فاللغز قد يكون ايقاعيا جدا ، أو شعرا مقفي . أو الاثنين معا ، والوزن والقافيه الشعرية قد يبرزان بتحايل فني للعناصر المتقابلة أو المتضادة في اللغز ، أنظر مثال الى اللغز البسيط والشائع جدا الذي يقول :

(حزر فزر .. ما اقوله ....شيء كثير العيون ولا أنف له) فبالاضافة الي القافية أو السجع ، نلاحظ أن الالحاح بتكرار الكلمات فى السطر الافتتاحي تقليد لكلام الأطفال ، وتستخدم لتاكيد التقابل أوالتناقض الظاهرى في السطر التالى . وليس من شك في أن ارسطو قد فطن الي العلاقة الوثيقة بين فكرة اللغز من ناحية والاستعارة البلاغية (أسلوب اللغز) من ناحية أخري وفي ضوء ذلك يمكن القول بأن الالغاز ليست مجرد أحجية لفظية تطرح للتسلية والتسرية فقط وإنما يحمل اللغز الوظيفة الأخلاقية التعليمية شأنه شأن الحكايات القصصية بأنواعها والأساطيروالأمثال والوصايا والحكم ، فاللغز يكن أن يحل مشكلة ما أو ينمي معلومة أو

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، مادة حجا ، ، ص ٧٩٢

(٢) معجم مصطلحات الادب ، د. مجدي وهبة ص ٤٨٢

معلومات ، ويؤكد على القيم الاجتماعية والإخلاقية فى المجتمع ، كما يقوم اللغز بتحريك الذهن وتنمية الخيال بأسلوب نقدى ساخر، وأهم ما يميز الألغاز هوالاسلوب اللغوي البسيط في غير تعقيد أو ابهام لفظي ، لأن الابهام فى اللغز يكون فيما وراء الالفاظ التى يطرحها لافي الالفاظ ذاتها ، وبساطة الفاظ اللغز وسهولتها تجمع بين الجملة الموحية الموجزة والاستعارة التمثيلية القريبة المعني ، وعنما تقترب لغة اللغز من الالفاظ الدارجة فى لغة العامة يسمــــــى باللغز الشعبي .

إن استمتاع الطفل بالقاء اللغز المنظوم وأنطلاق خياله نحو فك رموزه وحله يعدل درجة فائدة النمو اللغوى المكتسب : فى ايقاعه ، وإيجازه ، ومن ثم يمكن أن **يتوسع كتاب الطفولة فى انشاء الألغاز اللغوية** . مما يحقق مكاسب النمو اللغوى والمعرفي عند الطفل وقد أفرد الابشيهي صاحب كتاب المستطرف فصلا للالغاز في كتابه (المستطرف فى كل فن مستظرف) نقتطف منه هذه الالغاز ، وأهم ما يلفت النظر في أسلوبها اللغوى ومادتها الذهنية هو تحريك خيال الطفل وحفزه لإدراك مغزى اللغز ، كما أن الاسلوب الشعرى المنظوم على بساطته يحقق مبدأ الإحساس بجمال اللغة ، ومنه فى غزال :

إسم قد هويته .. ظاهر في صروفه .. فإذا زال ربعه .. زال باقي حروفه

وفي دواة :

ومرضعها ولادها بعد ذبــــحهم ... لهـــــب مالـــذ قط لشارب

وفيّ بطنها السكين والثدى راسها ... واولادها مـــــذخورة للنوائب

وفى قلــــــم :

وأهيف مدبرح على صدرغير ، ... يترجم عن ذي منطق وهو أبكم

تراه قصيرا كلمـا طال عمره ... وضحي بليغا وهـــو لا يـتكلم

وفي كتـــاب :

وذى أوجه ولكنه غير بائـــــح	بســـر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهة	فتسمعـها بالعين ما دمت تبصر

وفي المـــــوز :

ما اسم شيء حسن شكلــــه	تلقـاه عنـد النـاس موزونا
تراه معـدودا فـإن زدتـــــه	واواً ونـــوناً صـار مـــوزونا

وفى فيــــل :

أيما اسم تركيبـــه مـــن ثلاث	وهـــو ذو اربـــع تعالى إلا له
حيــــوان والقلب منـه نبــات	لم يكن عند جوعـــــه برعاه
فيـــــك تصحيفه ولكـــن إذا	رمت عكساً يكون لي تلشـاه [(١)]

واللافت للنظر أن الألغاز والاحاجي – رغم ندرها – وتوزعها بين متفرقات الكتب لم تغ الجوانب المحببة للطفل فهي ترتكز في بعض نماذجها على عالم الحيوان بأعتباره عالم اثير لدي الاطفال ، ويمكن للمبدعين المحدثين إيقاظ هذا اللون التراثي فهو " أنفع و " وأمتع " من الالغازالعقلية المعقدة وألعاب الحسابات الالية المستحدثة اا تنمي في الطفل المادة على حساب اهمال الروح .

خاتمـــــة :

- تتبعنا الجذور التراثية لأدبيات الطفولة فى الادبين الرسمي والشعبي ، ووقفنا عند تح الاشكال الادبية التى تتفرع منه كجنس أدبي مستقل يتصل بشجرة الأدب الكبري وقد أشــ

---

(١) المستطرف فى كل فن مستطرف ، للابشيهي ، ص٢٠٢ – ٥ ٢ ط دار الفكر د ت

الى الحكايات القصصية في الأدب العربي القديم ومدى عمق الصلة بين الادبين الرسمي والشعبي في هذا الجانب ، وعرفنا كذلك أن المربيات والجواري والامهات والجدات كن يقصصن الحكايات وهن يجلسن ومن حولهن الأطفال وقد وصلت الينا المأثورات القولية التى كانت تستهل بها الحكايات من مثل : (كان يا ما كان في سالف العصر والزمان) (كان يا مكان - يا سادة يا كرام ما (يحلى) الكلام ، الا بتكر النبي عليه الصلاة والسلام) وتوارثت الاجيال العربية الناشئة مادة (محتوى) الحكايات القصصية من أصول تراثية يزخر بها أدبنا العربي الموروث ولم تسلم مضامين أو أحداث الحكايات القصصية الموروثة من عنصر الترهيب الذي طبعت عليه وجدانات الأجيال من تأثيرسماع الحكايات المخيفة الى تتخللها عناصر (الجان والشياطين والغيلان ونحوها وقدتضاءل عنصرالترهيب فى الحكايات القصصية بتطور احياة العربية وبدأت تميل الحكايات القصصية الى تحقيق المنفعة بهدف تنمية الخيال وتثقيف الناشئين كما أشرنا الى حكايات الحيوان في الادب العربي القديم ولنماذج منها في العصر الجاهلي وفى ظل الحضارة الاسلامية ، وتأثيرها الفعال فى الكبار والصغار على السواء وأوضحنا كيف تنوعت حكايات الحيوان فى الأدب العربي الذى اشتمل على الحكايات الخرافية والخيالية المرويةعلى السنة الحيوان والطير ، وأقتراب بعض تلك الحكايات من الشكل الاسطوري خاصة الحكايات التى أعتمدت في بنيتها ومضمونها [1] علي مقتبسات من العهد القديم الامر الذي يفسر تأويلات عدة موداها أن الاسطورة ذات طابع ديني تتصل بالعقائد ومهما يكن من شيء فإن الحكايات القصصية بأنواعها ترتبط بالاطفال وتتوجه إليهم بما يحقق النظر الوظيفية لأدبهم وسط عالمهم الخيالي البرىء ، وفي خط مواز لتلك النظرة كانت الالغاز والاحاجي تلعب تأثيها وسحرها فى عقل ووجدان الصغار مثلما يحققه عند أطفالنا الأدب الوعظى الحكيم من خلال الأمثال والوصايا . وأوردنا كذلك الشواهد الشعرية للدلالة على تحديد ملامح صورة الطفل في التراث الشعري ، وهي غزيرة بمثل غزارة وتنوع الحكايات القصصية فى الأدب القصصي

---

* انظر لمزيد من التفاصيل حول استقرار مضامين الحكايات القصصية وأنواعها مثل ألف ليلة وليلة ، كليلة ودمنه ، الحيوان للجاحظ ، عجائب المخلوقات للقزويني ، حياة الحيوان الكبرى للدميري ، ومن المراجع الحديثه ، قصصنا الشعبي د فؤاد حسنين ، القصة في الادب العربي القديم د محمود ذهني ، القصص في الأدب العربي . د. عبد الرازق حميده ، الرواية العربية فاروق خورشيد وغيرهم

الوعظي الحكيم ، والمرجح أن الشواهد الشعرية التي أوردناها كفيلة بالرد على الآراء القائلة بأن النتاج الشعرى الموروث والخاص بالطفل غير كاف بل ويزعم البعض ندرته أو عدمه – وبالتالي فلا يمكن المواضعة المصطلحية لأدب الطفل وفي الواقع ان لأدب الطفل مادته الشعرية والنثرية فى الأدب الرسمي وفى ضوء ذلك كله يمكننا القول أن أدب الطفل جنس أدبي له أصوله فى التراث العربي والاسلامى ونمط من أنماط التعبير فى الأدب الشعبي للأمة كذلك ، أما الأهداف التعليمية (التربوية) والأخلاقية حيث ينشأ ويتوجه في سياقها فى أغلب الاحوال نتاج أدب الطفل ، فليس في ذلك من نقص أو تقصير ، اذ لا يزعم الخبير بخصائص مرحلة الطفولة أن الأوائل لم يفطنوا الى طبيعة ودرجة الفائدة أو التوجه المنشود في أدبيات الطفل ، ويستدل على ذلك بمقولة الامام الغزالى :

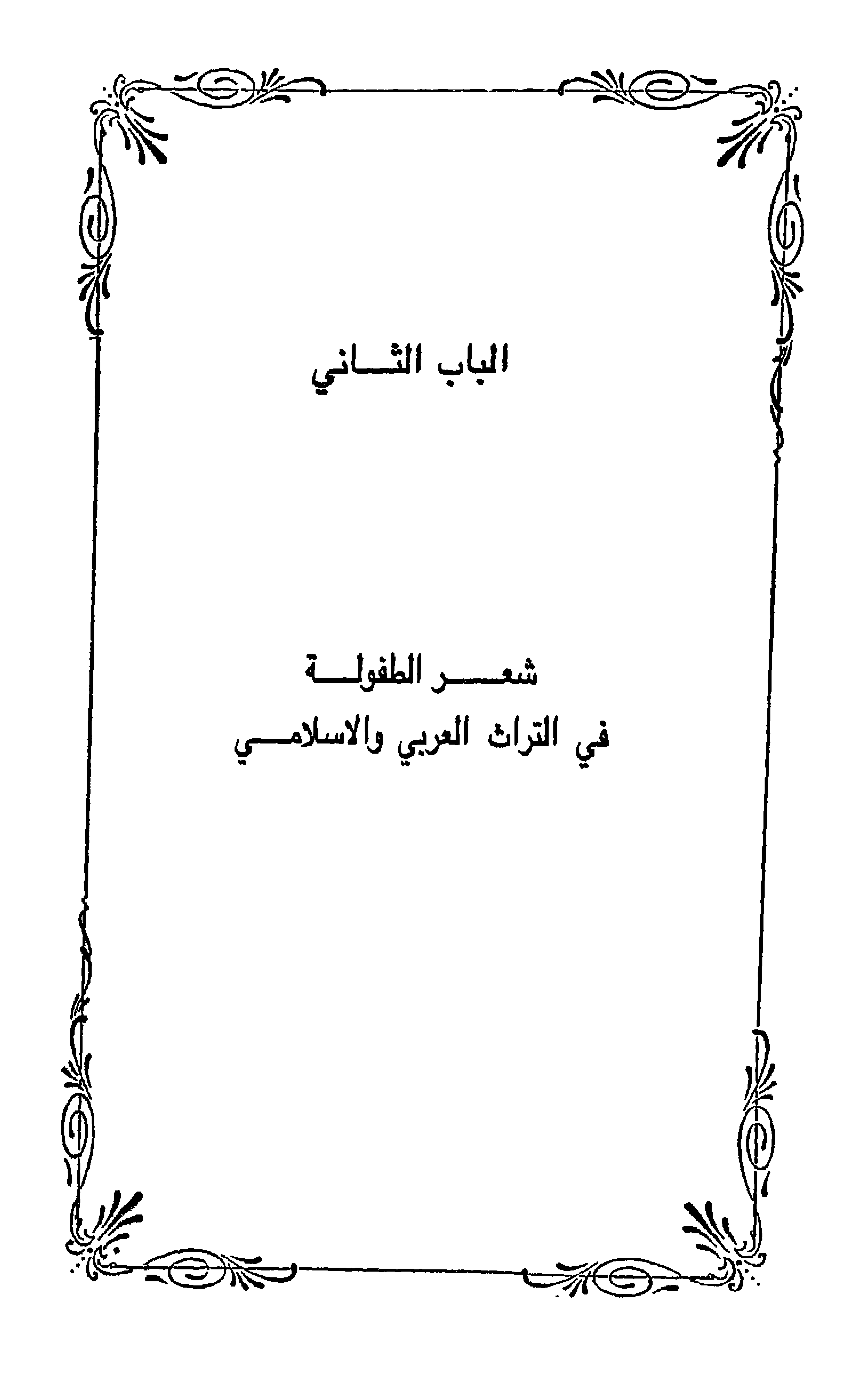
(... كل لكل عبد بمعيار عقله ، وزن له بميزان فهمه ، حتي تسلم منه وينتفع بك ، وإلا وقع الانكار لتفاوت المعيار .) (*)

فالقصص الأخلاقي أو الادب الحكيم يناسب عقل الطفل ودرجة فهمه وتصوراته وكذلك النظم التعليمي في الشعر يحقق الفائدة (**) اما الترنيمة الغنائية فتحقق للطفل المتعة والتسلية وفرحة الحياة، أما الرموز اللغوية والألفاظ الجزلة والثراء الضخم في المعاني فهي تناسب الآداب الرفيعة التي تستهدف الكبار .

---

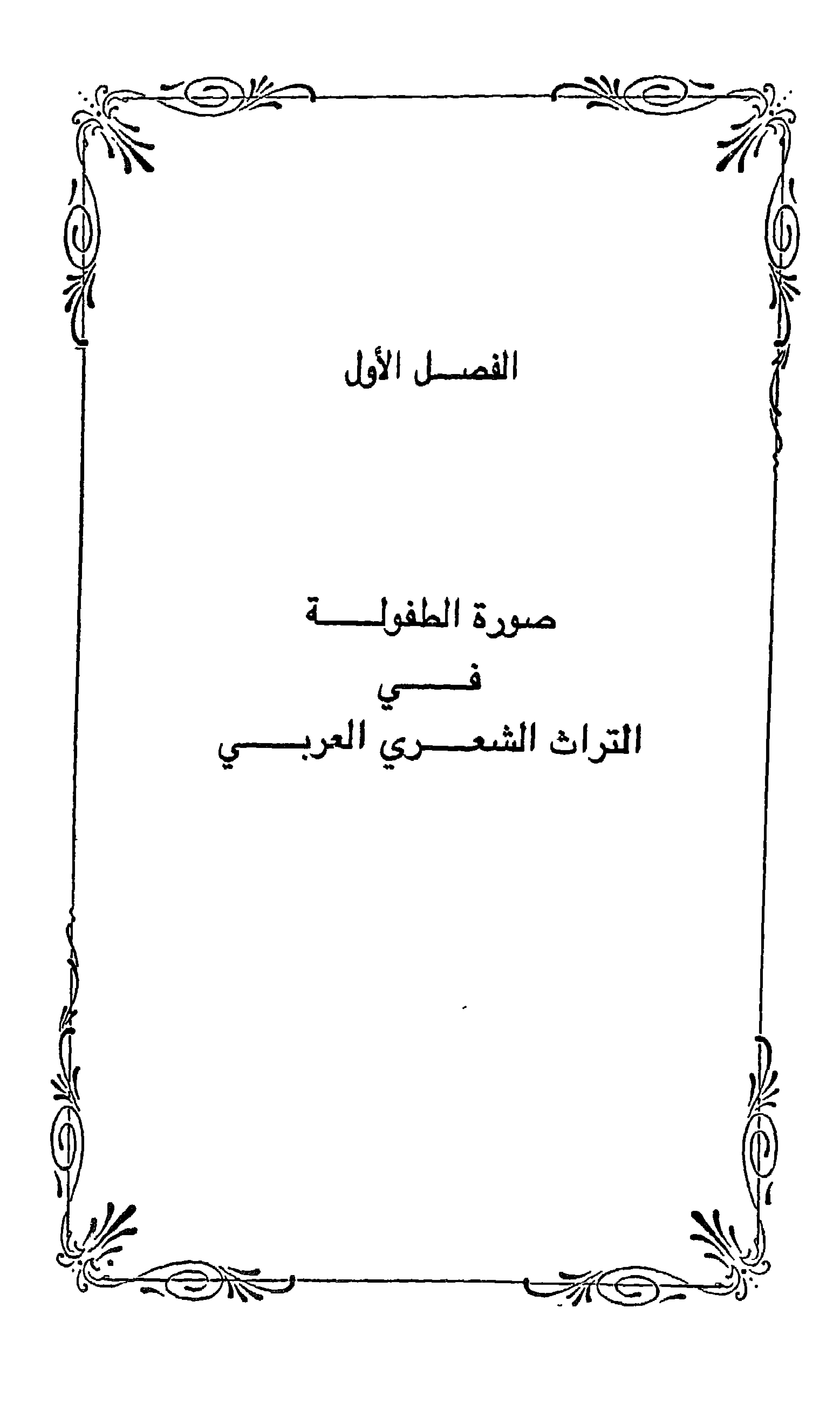
* احياء الدين ، الغزالي ، جـ ١ ، ص ٩٦ ، ط دار الشعب ، د ت .

** الأدب التعليمي صفة تطلق علي العلم الادبي الذي هدفه الرئيسي نقل رسالة سياسية أو أخلاقية أو دينية أو علمية ، بالاضافة الي نقل الحقائق وتحقيق اللذة والتسلية ص١١٢ معجم مصطلحات الأدب ، د مجدي وهبة .



الباب الثـــاني

شعـــر الطفولـــة
في التراث العربي والاسلامـــي



الفصل الأول

صورة الطفولة
في
التراث الشعري العربي

مدخـــل :

أشار الكتاب في الفصل السابق الى أن الأدب ، شعره ونثره ، ثمرة من ثمرات القرائح البشرية ، وقوة الفكر والادراك الانساني التي تتدفق بها ألسنة الشعراء (تسيل بها أقلام الكتاب ، فيفيضون على العلم من أحوال الاجتماع وصوره ، وأسرار النفوس وخفايا الوجود ما يملأ النفس عظة وإعجابا بصحيح الآراء وجمال الافتتان ، ويمتازون عن العامة من الكتاب والمفكرين بدقة الإدراك وتصوير المعاني النفسية والاجتماعية تصويراً يقرب من أن يكون مدركا بالحواس ..إن الانسان كان شاعرا قبل أن يكون عالما وكاتبا وخطيبا قبل أن تصل نفسه الى درك العلوم وفهمها ؛ لأنه أول ما نطق امكنه أن يعبر عما يجول في خاطره من حزن وفرح ولذة وألم .. والأدب من حيث أنه لسان النفوس وترجمان العواطف وصوره الاجتماع ، وصحيفة من صحف التاريخ فهو من الضروريات لتهذيب النفوس) [1].

وهذا الفصل يتعرض لنشأة ومفاهيم الاشعار القصار القديمة في التراث العربي ، من مثل الأراجيز وأغاني الترقيص والمقطوعات القصيرة لأن هناك علاقة جوهرية من نوع مميز يربطها - بمادتها واشكالها وخصائصها - بالعالم الأدبي للطفل ، والعلاقة الجوهرية المميزة التى أقصدها تكمن في الوقوف عند الفروق البنائية والأدراكية بين شعر الاطفال وشعر الكبار ، والشعر العربي القديم هو الموجه فى أساسه للكبار ومن هذا الجانب حظي - وما يزال - بجهود علماء التدوين واللغه والنقد والبلاغه .

ومن نافلة القول التاكيد على طبيعة تلك العلاقة الجوهرية المميزة - التى أشرنا اليها ومدي انعكاسها على عالم الطفل . لذلك خلص الفصل الأول من البحث إلى أهمية التبسيط والمعالجة للأشكال والفنون النثرية المقدمة للطفل ، لأن معظم مضامين الحكايات القصصية التراثية غاصة بالحوادث المتشابكة من جانب ، والسرد الممل والمخيف من جانب أخر مما يرسب فى أعماق الطفل ، تشتت الخيال ويحد من انطلاقه كما يصيب الطفل بالخوف ، وألمح المؤلف الى ضرورة المعالجة البنائية أو المضمونية في الحكايات القصصية بالاتكاء على التشويق والسرد الموجـــز

---

(١) بلاغة العرب في الاندلس ، د. احمد ضيف ، المقدمة

الممتع ، والبعد عن المبالغة في عناصر التخويف أو الوعظ التلقيني المباشر ، وإنما تنساب الغايات الوظيفية المقصودة من الحكاية في فنية وأصالة ، إن ذلك كله هو ما يجلب المتعة والفائدة (فالتعبير في ضوء ذلك شيء متخيل أو محسوس ندرك نحن بواسطته الاحساس لا نستنتجه)[1] .

في ضوء ذلك يمكن القول بأنه يوجد في الاغراض الشعريه في الأدب العربي القديم ما يتطلب التبسيط وإعادة المعالجة ، بالاضافة الى حتمية استقراء كتب اللغه والأدب للوقوف على حقيقة وجود الاشعار القصار القديمة الموجهة للطفل وإذا ما تم لنا ذلك وقفنا على مسلمة من مسلمات البحث مؤداها تتبع نشأة الأشعار القصار ذت العلاقة بعالم الطفل الأدبي بهدف التعرف على أصول الظاهـرة موضوع الكتاب ، وأذا ما ألغينا ذلك يشكل ظاهرة مـن حيث " الكم والكيف " فإن بحثنا في ضوء تلك المسلمة قد سار في مساره الطبيعي .

ملامح تراثية :

لقد وقف القدماء * من علماء اللغة والنقد والبلاغة وتاريخ الأدب وقوفا طويلا يتسم بشمول النظرة وعمق الثقافة حول فن الشعر فتتبعوافي مصنفاتهم القيمة نشأة الشعر وتطوره ونقده ، فضمت تصنيفاتهم الدعائم الأولى في المكتبة العربية لتاريخ الأدب ونقده ، واتسم مولفات هؤلاء العلماء بالعمق والذوق ودقة التحليل والتعليل ، ونهض الاكاديميون (**) المحدثون في خط موازٍ مع المبدعين بمهمة سير أغوار التراث الشعرى بالوقوف عند آراء القدماء وقفات علميـــة

---

(١) مغني الفن ، هربرت ريد ، ترجمة ساس خشبة ، ص ٢٧٥ ، ط ٢ بغداد ، ١٩٨٦ م

* لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر . شرح ديوان الحماسة للتبريزي والمرزوقي ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، الموازنه للامدي ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ، العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق ، الوساطه بين المتنبي وخصومه للجرجاني ، الخصائص لابن جني ، لسان العرب لابن منظور وغيرها .

** انظر على سبيل المثال مؤلفات ارسطو عند العرب د. عبد الرحمن بدوي النقدالمنهجي عند العرب ، د محمد مندور ، الفن ومذاهبة في الشعر العربي ، د شوقي ضيف ، أثر القرآن في تطور النقد العربي د زغلول سلام ، حديث الاربعاء ، من حديث الشعر والنثر ، في الادب الجاهلي ، د ، طه حسين ، لغة الشعر د محمد رجاء عيد ، الشعر العربي المعاصر د الطاهر مكي ، الادب وفنونه ، د عز الدين اسماعيل وغيرهم

منهجية تستفيد من المناهج الانسانية المطروحة وما يستتبع ذلك من الأخذ بالموضوعيه وأكبر قدر من المعقولية بعيدا عن الذاتية أو النظرات الضيقة التى جمدت عند مقولة أن القدماء لم يتركوا للمحدثين شيئا ، وإن قولهم الموروث هو القول الفصل في مفهوم الشعر وأحكامه وأنواعه وتوجهاته . ولكن أهم ما تحتاج الى تعميقه فى هذا الفصل هو تحديد ملامح شعرالطفل بالوقوف عند أصوله التراثية ، باستقراء ما وصلنا منه أو وقعت ايدينا عليه من نتاج مدون من ذلك النوع الادبي تحقيقا لغرض هذا البحث الأساسي من ناحية وتمييزا لـــشعر الـــطفل المـــدون عن رصيفه (أغاني اللعب) الدائرة في فلك الادب الشعبي من ناحية اخري .

من الثابت أن علماء اللغة العربية القدامي لم يذكروا صراحة فى مؤلفاتهم اللغوية والأدبية أو العامة ما يشير الى تعريف محدد أو مفهوم ما لأدب الطفل شعره أو نثره ،على الرغم من وجود النتاج الادبي الذي يخاطب عقل الطفل ووجدانه في بطون كتب اللغه والأدب ، ولم يضع هؤلاء العلماء من النقاد اية مفاهيم أو تعريفات اصطلاحية لأدبيات الطفل فى اطار شروحهم وتعليقاتهم وذكرهم للآراء والاحكام البلاغية والنقدية عبر تاريخ الادب العربي .

والمرجح أن ذلك مردود الى اسباب ادبية واجتماعية ، فمن الاساب الاجتماعية لاهمال قدامي العلماء أدب الطفل الرواسب الباقية من النظرة العربية الجاهلية تجاه الطفل فهو ، الصغير فى مداركه ووضعيته الاجتماعية كعضو فى الهيئة الاجتماعية . وبمجيء الاسلام تغيرت تلك النظرة الموروثة عن المفاهيم القبلية واستتبع ذلك بدا النظام الاجتماعي يلتفت اليه ويحنو عليه ويرعاه ، وبلغ الإهتمام بالطفل العربي ذروته في بيوت الخلفاء والأمراء والقادة والاعيان إبان الحضارة الاسلامية فظهرت طبقة (*) من المعلمين والمؤدبين - كتابا أو شعراء - للنهوض بمهمة الأدب التهذيبي للطفل بالاضافة الى النظام التعليمي بمناهجه والذي شمل الناشئين فى الامة

وقد يردد قائل أن العرب كانت لا تحتفل إلا بقدوم غلام يولد (يدافع عن القبيلة - من بعد - فضلا عن كونه غلام ولد (ذكر) فيه نظرة جاهلية قديمة وفرس تنتج (الوفرة في عدة الحرب والأسفار) وشاعر ينبغ (ليشيد فى شعره بالقبيلة فخرا وحماسة)

(*) من مثل عبد الرحمن عبد الصمد بن عبد الاعلي ، الضحاك بن مزاحم ، عامر الشعبي عبد الله بن المقفع ، علي ابن حمرة الكساني ، خلف الاحمر ، سليمان الطلبي احمد بني سعيد الدمشقي وغيرهم والمؤلفات التربوية ابان الحضارة الاسلامية غاصة بذكر اخبارهم مثل مؤلفات - البلاذري ، ابن مسكوية القابسي ، الغزالي ابن خلدون وغيرهم .

فالمقصود من سياق المقولة التى اوردها ابن رشيق في مستهل كتابه " العمدة " ليس إيجاد العلاقة بين الطفل والشعر، وإنما احتفاء القبيلة بالغلام والفرس والشاعر على نحو ما ذكرنا ، ومن الاسباب الاجتماعية ايضا توفر الأمهات والجدات والجوارى والمربيات (فى فترة الطفولة المبكرة) على تربية الطفل وما صاحب ذلك من قيامهن بالدور التربوي فضلا عن تسلية الطفل بالغناء له وترقيصه على إيقاع المنظومات الخفيفة أو المأثورات الشعبية ، وبالتالي عزف الشعراء والنقاد علي الابداع للطفل بنوع خاص في الأدب الرسمي بدرجة ملحوظة أو لأغراض مقصودة ، لذلك لم تتشكل لنا فى النهاية المواضعة المصطحية " لديوان الطفل " . أو الظاهرة الفنية المستقلة لابداعه ونقده .

ومن الأسباب الادبية أدت الى أحجام المبدع العربي القديم عن ابداع شعري للطفل يتسم بالغزارة والاصالة والتنوع هو قيد القاموس اللغوي ونعني به القاموس اللغوي للشاعر العربي القديم المملوء بالوعورة والمبداوة ولم يلن أو يرق هذا القاموس إلا مع الشعر الاسلامي الذي واكب ظهور الاسلام بينما لازم تلك الصعوبة فى الشعر الجاهلي علامات البعد عن المألوف واسترفاد الفاظ معجمية غير مستعملة فى الحياة والدوران حول دائرة الألفاظ البدوية على ما فيها من وحشية وغرابة وإبهام وغيرها .

والطفل فى مراحل نموه اللغوى والعقلي يميل الى التعرف علي المعطيات المحسوسة المحدودة بالبيئة ثم يتطور هذا التعرف الى خيال يقترب من اكتشاف الواقع ومن ثم لا يقدر الطفل علي متابعة جزالة اللفظة وغرابتها ، بأعتبارها مع رصيفاتها من الالفاظ الخارجة عن محيط فهمه وإدراكه ، كما لا يقدر الشاعر علي الفكاك من أسار قاموسها اللغوى المغرق فى البيئة بمعناها الواسع ، والمعجم بأصوله اللغوية نادرة الاستعمال – أو الابداع الشعر المحكم في لغته وصوره وأخيلته وأغراضه .

أما الاغراض الشعرية التى تناولها الشعر العربي القديم ، فكانت هي الاخرى بمثابة حدود لا يستطيع الشاعر تجاوزها ، كي يستقل الشعراء بأدب للطفل بمعناه التعليمي أوالتهذيبي أو الوجداني لذلك وجدنا ولع الشعراء بالمديح والهجاء والرثاء والغزل والوصف والفخر،الحماسة والطرديات ، أما الاشعار القصار وأغاني الترقيص والمنظومات الشعريه السهلة فلم تكن فى دائرة أهتمام جل الشعراء وان اهتم بها بعض الشعراء والرجاز علي نحو ما سنوضح من بعد

وقد يقول قائل ان العديد من شعراء العربية قد خصوا الابناء بقصائد . شعرية أو كتبوا في "رثاء الابناء" منظومات شعريه ، فهو اذامن الابداع الشعر في مجال ادبيات الطفل . والمرد علي تلك المقولة نذكر : أن الابداع الموجه " للطفل " يختلف عن الابداع " عن الطفل " أوالنتاج المعرفي عنه وفي ضوء ما تقدم سيقف هذا الفصل عند جذور ونصوص من الفنون الشعريه ذات العلاقة بالطفل في التراث العربي والأسلامي من مثل :

الامهودات (أغاني المهد) أو اغاني الترقيص ، والاناشيد والمنظومات القصيرة والأراجيز والمقطعات الشعرية ، بإعتبارها من الانواع الشعرية التى تدخل فى دائرة أدبيات الطفل .

صورة الطفل في التراث الشعري العربي :

لقي الطفل العربي من الاوائل أوجه الرعاية والعناية فى الأعداد البدني والعقلي والوجداني تنشئة وتربية ففي الحديث " ريح الولد من الجنة " وقال صلي الله عليه وسلم للحسين والحسن (... وأنكم من ريحان الجنة). (١)

وسبق أن أفردنا في سياق عرض المفاهيم اللغويه والاصطلاحية للطفولة أوالناشئة . أنها تعني إنشاء الصغيرحالا فحالا الى حد التمام . قال عز من قائل . " أو من ينشئوا في الحلية " الاية ١٨ سورة الزخرف . فالناشيء النشيء والنشأة: وأحداث الشيء وتربيته ورعايته جميعا . فالطفل في ضوء ذلك هو المأخوذ بالحنو والتربية والتعليم والتثقيف من مهده الى ان يبلغ الحلم .

والأدب نثره وشعره من أخص العوامل الوجدانية في تهذيب الطفل وترقية مشاعره والشعرمن الاجناس الادبية التى أسهمت وما تزال ، في التربية الوجدانية للطفل العربي ، وانطلق فن الشعر بأراجيزه ومقطعاته القصيرة يشكل البناء الروحي في وجدان الطفل ، فالمنظومات الشعريه اتكأت على العامل التعليمي كعامل حاسم يعقب مرحلة الترقيص والتطريب التى كان يلتقاها الأطفال في مهدهم .

ولا يضير شعر الطفل أنه نظم تعليمي – في أحدي مقاصده – وإن نماذجه فى معظمها تهدف الي تلقين القيم ، وأنه يحمل بين أغراضه التعاليم الدينية وانها جميعا من الدعائم

(١) ثمار القلوب للثعالبي . ص٦٩٦

الايجابية التى يتشكل من فوقها البناء المتكامل للانسان الذي تستهدفه ، ففي المستقبل بأمكان ذلك الكائن الصغير الذي اكتسب وتذوق قدرا من الشعر التعليمي أو التهذيبى أن يتعامل مع الادب بمضمونه المتنوع و مستوياته اللغوية والفنية الراقية .

وقد روي عن النبي أنه قال :لاتدع العرب الشعر حتي تدع الإبل الحنين ويروي عن هشام بن عروه عن ابيه عن عائشة ضي الله عنها : أن النبي صلي الله عليه وسلم بني لحسان بن ثابت في المسجد منبرا ينشد عليه الشعر . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه .. وكتب الى أبي موسي الاشعرى : مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل علي معالي الاخلاق وصواب الرأي ومعرفة الاساب . قال معاوية : يجب على الرجل تأديب ولده والشعر أعلي مراتب الادب) [1] .

ولم تكتف العرب برواية الشعر وأنشاده وتعليمه في المجالس والمحافل وإنما كانوا كذلك يعلمونه الصبيان تعليما وكانت توزع الصحف علي الصبيان فى المكتب ليتعلموه ويرووه ، وفي ظل الاسلام ازداد اهتمام الخلفاء والامراء والقواد بتعليم الأولاد الشعروروايته ، وقد أفاض في تفصيل ذلك د. ناصرالاسد في كتابه مصادر الشعر الجاهلي ووثق نقوله من مصادر القرون الهجريه الاولي في مظانها الأولي ، ومنه مقولة عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده : أرو لهم الشعر يمجدوا وينجدوا (*) وبرغم أن ارسطو هو أول من حاول فصل النظرية الجمالية عن النقد الأخلاقي ، فإن نظريات العرب القدماء كانت تنسب للشعر الأهداف الأخلاقية والتعليمية بالاضافة الى الأهداف الاخري للشعر في طبقته العالية وقيمته الفنية الراقية ومن قبل اشار ابن خلدون في مقدمته الى أهمية الأدب التعليمي وإلي ما قالت به العرب ، في هذا الشان ، لما له فائدة في تنمية الطباع والملكات وهـــي لا تنمو فيما يري ابن خلدون الابالتلقين والتكـــرار

---

* تكاد تجمع المؤلفات العربية في مصادرها الأولي علي ضرورة تعليم الأبناء الشعر وتلقينهم مقطوعاته وروايته كذلك باعتبار الشعر مثير للعاطفة ومحرك للوجدان من ناحية ، وعامل حاسم من عوامل النمو اللغوي من ناحية اخري لمزيد من التفاصيل حول فكرة تعلم الشعر وروايته انظر السيرة لابن هشام الاغاني للاصفهاني ، الشعر والشعراء لأبن قتيبه ، العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق طبقات فحول الشعراء لابن سلام وغيرها من كتب التربية الاسلامية ، تأديب الناشئين بادب الدنيا والدين لابن عبد ربه ، أيها الولد المحب للامام الغزالي ، مقدمة ابن خلدون لابن خلدون وغيرها .

(١) مصادر الشعر الجاهلي ، د. ناصر الدين الاسد ، ص١٩٩ .

وعبر عن مذهب إجابة بمهب الاوائل في تأديب الناشئين وتهذيبهم فيقول ' (ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده الأمين فقال . يا أحمر ان أمير المؤمنين قد دفع اليكم مهجة نفسه وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبه . فكن له بحيث وضعك امير المومنين ، أقرئه القرآن وعرفه الاخبار ، وروه الاشعار وعلمه السنين ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ..) [1] ويوكد ابن خلدون على أهمية تنمية الملكات اللغوية عند الاطفال الى أن تتأصل فيهم عن طريق التلقين اللغوي وتكرار الاستعمال ، وهي رؤية ثاقبة في مجال النمو اللغوى عند الطفل- أثبتها – غير مرة نتائج بحوث علم النفس الغوي المعاصر .

فالملكات اللغوية تصير طبعا عند الطفل والطبع لا ينمو إلا بتكرار الافعال وقول ابن خلدون " .. أعلم أن اللغات كلها شبيهة بالصناعة اذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني ، وجودتها ومقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها .. يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها ، فيلقنها أولا، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ، و استعماله يتكرر الى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ، ويكون كأحدهم ، هكذا تصير الألسن واللغات من جيل الى جيل ، وتعلمها العجم والاطفال ، وهذا معني ما تقوله العامة من أن اللغة العرب بالطبع أي بالملكة الاولي التي أخذت عنهم ولم يأخذوها من غيرهم) [2] . ومنه قول عائشة رضي الله عنها (رووا أولادكم الشعر تعذب السنتهم) [3] وأزعم أنها النزعة الدينية في إطارها التربوي والاخلاقي في الشعر العربي الموروث ، وبخاصة الاشعار القصار الموزونه للصغار قد تمحورت عند اللغه فجاءت النماذج التراثية لشعر الطفل – أو حتي فى الاشعار المكتوبه عنه– في ألطف معني وأوجز عبارة واسهل لفظ وأقصر بحر عروضى .

ومن الاشياء المألوفة أن التطور الاجتماعي والحضارى فى البيئة العربية في ظل الحضارة الأسلامية اسهم الى حد كبير في التشكيل اللغوي وفي الصورة الشعرية كذلك ، يقول الجرجاني (فلما ضرب الأسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ونزعت البوادي الى القري وفشا الأدب والتظرف أختار الناس من كلام الناس ألينه وأسهله ، وعمدوا الى كل شـــيء ذى

---

(١) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، جـ ص ١٢٥

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص ٥٠٨ ، طـ دار الشعب،القاهرة د ت

(٣) السابق ،ص ٥٢٢ – ٥٢٣ .

أسماء كثيرة أختاروا احسنها سمعا وألطفها من القلب موقعا .) [1] وفي ضوء ما تقدم فـي امكاننا القول بأن الاغراض الشعرية الكبري فى الشعر العربي القديم تتنوع وتتشعب فى اطر جديدة بتطور الحضارة الجديدة فى مرحلة أثر مرحلة ويبدأ الشاعر يتخلص بالتدريج من آثار القصائد الطوال ، وبخاصة القيود التقليدية في مطلع القصائد من البكاء على الرسوم والتشبيب والنسيب وغيرها ، وتحول الشاعر الى أغراض جديدة واكبت التطور الحضاري – وقتذاك – من مثل : الشعر السياسي ، الشعر الديني (الصوفي والاخلاقي) ، الغزل (المتجدد من مثل الغزل بالمذكر) والوصف المتجدد (للمنتجات الحضاريه كالادوات والصنائع المستحدثة) والشعر التعليمي والوعظي وغيرها .

أما الاساليب اللغوية فهي الوعاء الذي حمل الافكار والمضامين الجدية فمالت الأساليب إلي السهولة والايجاز واستعمال المألوف من معطيات البيئة الحضارية الجديدة ، وفي مجال أدبيات الطفل لجأ الشعراء الي استعمال اسلوب الخطاب الحوارى وهم يكتبون قصائدهم فى أولادهم وفى العتاب أو الرثاء وغيرهما من الاساليب المتجددة لغة وفنا . فقد يجري بعض الشعراء حوارا بينهم وبين ابنائهم ويتحدثون معهم ويبادلونهم الحديث وهذا اكثر وقعا من الخطاب الذي من وجهة واحدة ، وقد أسماه النقاد بالمراجعة . يقول ابن حجة الحموى : ؛ منهم من سمي هذا النوع السؤال والجواب وهو أن يحكي المتكلم مراجعة فى القول ومحاورة فى الحديث بينه وبين غيره بأوجز عبارة وألطف معني وأسهل لفظ) [2] .

ومنه قول ابن الرومي في قصيده له عن ابنه

أريحانه العينين والأنف والحشا	ألا ليت شعري هل تغيرت عن عهدي
كأني ما استمعت منك بضمة	ولاشمة فى ملعب لك أو مهد [3]

ويلتقط المؤلف هذه المحاورة أو " المراجعة " التي قال بها ابن حجة الحموى ، نقلا عن ديوان الصنوبرى ، الذي يحاور وحيدته ليلي فيقول :

ياأبنتي ، أين غبت عن	رمضان وقد حضر

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للجرجاني ، ص ١٨.

(٢) خزانة الادب لابن حجّة الحموى ، ص ١٢٤

(٣) ديوان الصنوبري ، الصنوبري ، تحقيق ، د. احسان عباس ، ص ١٠٣، ط

ولقــــد كــنت انســـنا | فــي عــشاياه والـــبكر
ولقــــد كــنت بـــعث نو | م لـــــياليه بالــــسهر
واعـــتكاف علـــى الدعـــا | ء او الـــدرس للــــسور

ترد عليه ليلي :

يا أبـــي ليـــس عندمـــن | مـــات عـــلم ولا خـــبر
لاهــــلال الصيـــام يـــر | عـــي ولا الفطـــر ينتظـــر
لا فطـــــور ولاسحـــو | ر لـــنا أن دنـــا السحـــر
درست ياأبي المحـــــا | سن وانمحت الصـــــور [1]

ومنه ايضا استعمال الاسلوب الواحد في خطاب شعرى * . ومنه ما كتبه اميه بن ابي الصلت (*) يعتب على ابن له فيذكر :

غـــذوتك مـــولودا وعلتــك يافعــا | تعل بما أدني اليك وتنهـــــل
اذا ليلــــة نابتك بالشكـــو لـــم أبت | بشكواك الا ساهرا أتملمــــل
كأنــي أنـــا المطروق دونــك بـــالذي | طرقت به دوني ، وعيني تهمـــل
تخـــاف الـردي نفسي عليك ، وإنها | لتعلم أن الموت حتـــم مـــؤجل
فلـما بـلغت الســن والغايـــة التـي | إليها مدي مـا كـــنت فيـك أومل
جـعلت جزائـي منك جبها وغــلظة | كأنـــك أنت المنعـــم المتفضـل
فليتــك اذا لـم تــرع حـــق ابوتي | فعلـت كمــا الجـار المجـاور يفعـل
وسمــــيتني بأسـم المفـــند رأيــــه | وفـي رأيـك التفنيـــذ لـو كنت تعقل
تـــراه مــــعدا للـــخلاف كـــأنه | يـــرد علـى أهـل الصـواب موكل

(١) ديوان الصنوبري ، للصنوبري ، تحقيق د احسان عباس ، ص ١٠٣ ، ط

* أمية بن ابي الصلت الثقفي ، شاعر مخضرم · انظر شروح الحماسة المنتخب من أدب العرب جـ ٤ص ٩٣ – ٩٤ ط الاميرية ١٩٤٤

لقد ألمحنا بذكر الامثلة السابقة من المقطوعات الشعريه بفرض إظهار الاسلوب التعبيرى فى اللغه الشعرية فى الكتابه (عن) الطفل ، أما الكتابة للطفل بوجه خاص فسيعرض لها هذا المبحث بشىء من التفصيل لرصد ظاهرة وجود نصوص عربيه مدونه حول شعر الطفل بين ثنايا كتب اللغة الادب ، والاغراض الشعرية في شعرنا العربي لم تترك عالم الطفل دون الحديث عنه ، حقا ان حديث القدامي من شعراء العربيه عن الأولاد كان يجيء عرضا فى قصائدهم الطوال فى اغلب الأحيان ، ولكننا نستطيع أن نلتفت الى مقطوعات شعريه متفرقة أو أبيات متناثرة فى ذخائر التراث ، ومن هنا نقدر على رصد وجود الابناء في الاغراض الشعرية الكبرى لشعرنا القديم ، ومن أهم الاغراض التى تناولها الشعراء فى صدد حديثهم عن الولد : الرثاء (*) والعتاب والفخر والحث على العلم والتهذيب بمكارم الأخلاق فالأولاد عند شعراء العربيه القدامي هم قرة العين ، ومهجة النفس وطيور جنان الخلد ، ولذلك تنوعت تلك الاغراض ومنه سنطوف حول حديقة الادب الموروث نختار شواهدنا الشعرية ، فحاتم الطائى يعمق خاصية الكرم عند غلامه :

أوقد فإن الليل ليل قر　　　والريح باغلام ريح صر

عل يري (نارك) من يمر　　　أن جلبت ضيفا فانت حر

ومنه قول لبيد فى الفخر :

فبني لنا بيتا رفيعا سمكه　　　فسما إليه كهلها وغلامها

ومنه أيضا هذا البيت الشهير لباشمة بن حزن النهشلي ·

وليس يهلك منا سيد أبدا　　　الا افتلينا غلاما سيدا فينا

---

* افاض العديد من أهل الأدب عبر تاريخ الادب العربي في نظم القصائد وتحبير المؤلفات في رثاء الابناء ، وتزخر المكتبة العربية بمخطوطات نادرة حول الاشعار التى نظمها الاباء او الشعراء في وفاة الابناء أوالاولاد ، منها : سلوة الحزين في موت الذرية ، والجلد عند فقد الولد ، وكلاهما ، للسيوطي وغيرها وقد خص الباحث الاردني د. مخيمر صالح اطروحته للدكتوراه لموضوع " رثاء الابناء في الشعر الي نهاية القرن الخامس الهجري انظرالاطروحة مطبوعة نشر جامعة اليرموك ، الي الاردن ١٩٨١

وفي جانب الفخر يقول عمر بن كلثوم في معلقته .[1]

ألا يجهلن أحد علينـــــا فنجهل فوق جهل الجاهلينـــــا

اذا بلغ الرضيع لنا فطاما تخر له الجبابر ساجدينـــــا

وغير هذا الفخر القبلي ، تقول اعرابية في رثاء ابنا لها :

تركتني في الدار لي وحشـة قد ذل من ليس له ناصـــــر

ومنه ايضا رثاء اعرابي في ولد له :

سأبكيك ما هبت رياح من الصبا وما طلعت شمس وما ضاء كوكب

ومنه قول الصنوبري :[2]

كنت القرير العين اذا كنت لـي تحلو احاديثي واخبـــــاري

وكان شعري يتغني بـــــه فأستحسنت للنوح أشعـــاري

وصاحب العقد الفريد في ذلك يذكر :[3]

أفرخ جنان الخلد طرت بمهجتي وليس سوى قصر الضريح له وكر

ويقول ابن الرومي :

وأولادنا مثل الجوارح أيهـــــا فقدناه كان الفاجع البين الفقـــــد

لكل مكان لايسد اختلالـــــــه مكان أخيه من جزوع ولا جلـــــد

هل العين بعد السمع تكفي مكانـــه أم السمع بعد العين تهدي كما تهدي[4]

---

(١) في تاريخ الادب الجاهلي ، د. علي الجندي ، ص.(٥٠) دار المعارف ١٩٨ م .

(٢) ديوان الصنوبري ، تحقيق د احسان عباس ، ص ١٠٠ بيروت ١٩٧٠ م.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٤) ديوان ابن الرومي ، تحليق ، د. حسين نصار ، جـ ٢ ، ص٢٢٦ ، طـ دار الكتب ١٩٧٣ م.

ولو انتقلنا لى لون اخر من الالوان الشعرية التى عبر عنها الشعراء القدامي عن وصف احوالهم تجاه الابناء ، سنجد مثل هذه القصة الشعريه الطريفة فى المستطرف :

أحب بنيتي وودت أنـــــــــــي دفنت بنيتي في قاع لحـــــــــد

وما بي أن تهون علي لكـــــــن مخافة أن تذوق الذل بعـــــــدي

فان زوجتها رجلا فقيـــــــرا أراها عنده والهم عنـــــــدي

وان زوجتها رجلا غنيـــــــا فيلطم خدها ويسب جـــــــدي

سألت الله يأخذها قريبـــــــا ولو كانت أحب الناس عنـــــدي

ومن خشية الوالد على المستقبل الذى ينتظر ابنته ، نلحظ الاهتمام العاقل بالاولاد في حكمة مقرونة بالسعادة التي تلفهم ، وفي ذلك يقول بن الجهم القرشي .

من وراء الشباب شيب حثيث الـــ سير والليل مزعج بنهـــــار

ومع الصحة السقام وحال الــــ عز مقرونه بحال الصغـــــار

ولعل ضادية حطان بن المعلي خير ما عبر به الشعراء القدامي عن منزلة الطفل فالحنو عليه والرعاية له : يقول حطان بن المعلي (*)

أنزلني الدهر على حكمـــــــه من شامخ عال الي خفـــــض

وغالني الدهر بوفرالغنـــــي فليس لي مال سوي عرضــــي

أبكاني الدهر ويا ربمـــــا أضحني الدهر بما يرضـــــي

لولا بنيات كزغب القطـــــا رددن من بعض الي بعـــــض

لكان لى مضطرب واســـــع في الارض ذات الطول والعـــرض

وأنما أولادنا بيننـــــا اكبادنا تمشي علـــــي الارض

(*) اللافت للنظر في شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ، حـ ١ ص ٢٨٥ ، الحماسية ٨٦ وينقصها البيت السابع والخير من الحماسية . ولو مرت الريح علي بعضهم لامتنعت عينين عن الغمض

وينسب المرزوقى الابيات لخطاب بن العلي " اما خطاب بن العلي ففيه تصحيف وحطان بن المعلي شاعراسلامي من بني مخزوم فهو مخزومي قرشي

وابن الرومي عقد مزاوجة رائعة بين الربيع والابناء فيذكر :

ورياض تخايل الأرض فيهـــا   خيلاء الفتاة فى الابــــراد

منظر معجب ، تحية أنـــــف   ريحها ريح طـــيب الاولاد (١)

وفى مجال الاعتذار والاستعطاف كتب الحطيئة هذه الابيات وارسلها من سجنه الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وكان قد أمر بسجنه لهجائه امه وابيه وامرأته ،وفي ابيات جمعت بين الاعتذار والاستعطاف بالاطفال أرسل يقول : (٢)

ماذا تقول لأفراخ بذي مـــــــرخ   حمر الحواصل لا ماء ولا شجـــــر

القيت كاسبهم فى قعر مظلمـــــة   فاغفر عليك سلام الله ياعمـــــــر

أنت الامام الذي من بعد صاحبـــه   القت اليك مقاليد النهي البشـــــر

ما آثروك بها إذ قدموك لهـــــا   لا بل لأنفسهم قد كانت الاثـــــر

ومن الذين عبروا عن ائتلاف العلاقة بين الشعروالطفل · ابن رشيق القيرواني فى أدبيات تقول :

الشعر شيء حســـــن   ليس له من حــــرج

فعلموا اولادكـــــــم   عقار طب المهـــــج (٣)

وتكاد تجمع المنظومة الشعرية السابقة وظائف الشعر " الذي نستهدف تعميق مفاهيمه وتوجيهاته لاستثارة العوامل الوجدانية عند الاطفال فالبيت الاخير من المقطوعة القائل في بساطة واضحة :

فعلمو اولادكـــــــم   عقار طب المهـــــج

---

(١) ديوان ابن الرومي ، تحقيق د. حسين نصار ، جـ ٢ ، ص ٢٢٦ ، دار الكتب ١٩٧٣ م

(٢) المستطرف من كل فن مستظرف ، للابشيهي ، جـ ٢ ص ١٠ ، طـ دار الفكر القاهرة ـدت .

(٣) العمدة لابن رشيق ، ص٢٥

نلاحظ أنه يسلمنا فى رفق الى تحقيق النظرية الوظيفية من أدب الطفل · تعلم وتذوق وبناء للوجدان . على جانب آخر من الأغراض الشعريه المستحدثة المنظومات التعليمية التى أحسن بها الشاعر العربي القديم فى إطار التحول الاجتماعي والحضارى العربي ، ويقول الشاعر مشيرا الـــى الادوات (المحلات) ، وسميت المحلات لانها من كانت مع الانسان حيثما حل وارتحل :

ان المحلات ست فاسمعن لهـــــا الزند والدلو والسكين والفـــأس

والقدر والزق لاتبغي بها عوضــــا فحيث ما كن كان الناس والبأس [1]

ومنه ما يحمل العظة من مثل قول بديع الزمان الهمذاني :

ويحك هذا الزمـــــان زور فلا يغرنك الغـــــــرور

لا تلتزم حاله ولكـــــــن در بالليالي كما تـــــدور [2]

ومنه أيضا يقول الصاحب بن عباد :

الزم الصدق انـــــــه حيلة العلــــــم والادب

كذب المرء شيتــــــــه لعن الله من كــــــذب [3]

وتوسع القدماء من رجاز وشعراء وبلغاء فى نظم العظات والنصائح فى أسلوب شعرى يحمل القيم الأخلاقية فى اطار الادب التهذيبي يقول الشاعر [4] .

يامغرقا فى أدب الـــــدرس أفضل منه أدب النفـــــس [5]

وقديما وصي (يعرب قحطان) أولاد فقال :

---

(١) محاضرة الاخيار ومسامرة الابرار ، لابن عربي ، جـ ١ ، ص ٢١٣

(٢) بديع الزمان الهمذاني ، مارون عبود ، المقامة القريصية ص ٧٧ ، دار المعارف ١٩٦٧م.

(٣) ثمار القلوب ، للثعالبي

(٤) السابق نفسه .

(٥) السابق نفسه

بني أبوكم لم يعد عمـــــــــا	به وصاه قحطان بن هـــــــود
فوصاكم بما وصي أباكـــــــم	ابوه عن ابيه عن الجـــــــدود
اذيعوا العلم ثم تعلمـــــــوه	فما نوا العلم كالكل البليـــــــد

ومنه قول طرفه بن العبد :

اذا كنت في حاجة مرســـلا	فارسل حكيما ولا توصـــه
وانا ناصح منك يوما دنـــا	فلا تنأ عنه ولا تقصـــــه
ولا تذكر الدهر في مجلـــس	حديثا إذا أنت لم تحصـــه

ومنه نصيحة سيفان بن عيينه لولده :

بني ، ان البر شيء هين   وجه طليق وكلام ليـــن

أما عبده بن الطيب فيعمق في وصيته لاوالده الحكمة فيذكر .

أوصيكم تقوي الأله فإنـــــه   يعطي الرغائب من يشاء ويمنع

ومنه أيضا وصية " سبيعة بنت الأحب بن عبلان " لابن لها تعظم عليه حرمة مكة فتذكر : وهي تنصحه بتلك الابيات .

ابني لايظلم بمكـــة	لا الصغير ولا الكـــبير
واحفظ محارمهـــا	بني ولايغرنك الغـــرور
ابني من يظلم بمكـــة	يلق اطراف الشـــرور

وفى الحث على الجد بهدف المجد يقول عمر بن الاهتم :

وان المجد أوله وعـــــــور	ومصدر غبه كرم وخيـــر
وانك لن تنال المجد حتـــــي	تجودبما يضن به الضميـر (١)

---

(١) السيرةالنبوية لابن هشام ، جـ ١ ص ٦ـ .

ومحبة الاطفال والعطف عليهم والحرص على حاضرهم وتأمين مستقبلهم من أهم الجوانب التي التفت إليها كذلك ديوان الشعر العربي ، وقد كشفت " ضادية " حطان بن المعلي ، " ولامية " أمية بن الصلت ، وقصائد الرثاء وغيرها من الأغراض التى تناولت الأطفال عن أهتمام بالغ بالأبناء فى ديوان الشعر العربي ، وبين يدي المؤلف خاصية أخري يطرحها فى هذا المجال وهى إظهار الشاعر العربي المسلم لمفهوم المحبه والحنو والعطف علي " البنات " لان البنات أحوج من الصبيان الى الرعاية والعطف نظرا لانهن خلقن بحاجة متصلة الى الحماية والرقة والحنان من الابوين بل ومن المحيطين بهن جميعا .

قال عز من قائل " وليخشي الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله ، وليقولوا قولا سديدا " .

وقد غني الاباء من الشعراء العرب للبنات ، يقول الشاعر الاسلامي اسحاق بن خلف فى مقطوعة طريفة:

لولا " اميمة لم اجزع من العــــــدم	ولم أقاس الدجي فى حندس الظلــــم
وزادني رغبة فى العيش معرفتـــــي	أن اليتيمة يجفوها ذوو الرحــــــــم
أحاذر الفقر يوما ان يلم بهـــــــا	فيهتك الستر عن لحم علي وضـــــم
تهوي حياتي ، واهوي موتها شفقـــا	والموت أكرم نزال على الحــــــرم
اخشي فظاظة عم ، أو جفـــــاء أخ	وكنت أبقي عليها من أذي الكلـــم(١)

وعندما كتب قطري بن الفجاءة الى ابن خالد القنانى يستدعيه لمشاركته قتال رجال الخوارج للدولة الاموية ، اعتذر اليه في الابيات التالية فيذكر [٢]

لقد زاد الحياة الي حبـــــا	بناتي ، أنهن من الضعـــاف
أحاذر ان يرين الفقر بعــــدي	وان يشربن رنقا بعد صافـي

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، جـ ١ ، ص ١٦

(٢) المفضليات . للمفضل الضبي ، ص ٤٠٩ .

وان يعرين إن كسى الجـــــواري فتنبو العين عن كرم عجـــــاف

ولولا ذاك قد سومت مهـــــري وفى الرحمان للضعفاء كافـــــي

أبانا، من لنا ان غبت عنـــــا وصار الحي بعدك في اختـــلاف

وقال اعرابي لعمر ابن هبيرة الغزاري يستعطفه رعاية أولاده الفقراء من فيض ثروته فيذكر :

أصلحك الله قل ما بيـــدي فما أطيق العيال اذا كثـــروا

رجوك للدهر ان تكون لهـــم غيث سحاب ان خانهم مطـــر *

وفى معني ما قصدنا انشد الرياشي هذا البيت لأعرابي :

زينها الله فى الفؤاد كمـــا زين في عين والد ولـــد

ومن الصور الشعرية الطريفة التى انشدها أبو فرعون الساسى فى أطفاله يقول مرتجزا وهو يصور البؤس الذي يعيشونه :

وصبية مثل صغار الـــــذر جاءهم البرد وهو بشــــر

بغير قميص وبغيـــــر أزر وبعضهم ملتصق بصـــــدري

وبعضهم ملتصق بظهـــــري وبعضهم منحجر بحجـــــري

اذا بكوا عللتهم بالفجـــــر حتي اذا لاح عمود الفجـــــر

ولاحت الشمس خرجت أســـري عنهم وحلوا أصول الجـــــدر

كأنهم خنافس فى حجـــــر (١)

وقالت ام ثواب الهزلية في ولد لها ·

---

* لعل مثل هذا يتفق والدعوة المعاصرة لتنظيم الانجاب فى الأسرة ، فالثمرة أبناء أصحاء .

(١) الشعر وطوابعه الشعبية ، د. شوقي ضيف ، ص٨٩ .

ربيته وهو مثل الفرخ اعظمـــه   ام الطعام تري في ريشه زغبا

وليس أدق مما صور الشاعر العربي في ضرورة وفاء الابناء للاباء ، وعن دوام الصلة وفعل الخير يقول ابو رباط لابنه : (*)

رأيت (رباط) حين تم شبابـــه   وولي شباب ليس في بره عتـــب

اذا كان اولاد الرجال مـــرارة   فانت الحلال الحلو – والبارد العـذب

لنا جانب منه انيق وجانـــب   شديد على الاعداء مركبه صعـــب

وتأخذه عند المكارم هـــزة   كما أهتز تحت البارح الغصن الرطـب

ولم ينس الشاعر العربي الأشارة الي الحكاية القصصية حول الطير والحيوان في مناسبات عديدة ، وفي كتب الأمالي للقالي ، وأغاني للأصفهاني ، والبيان والتبين للجاحظ ، وحياة الحيوان الدميري وغيرها من كتب اللغه والأدب طرائف ونوادر والغاز تحرك خيال الطفل بخاصة ، والانسان بعامة ومنه ابيات انشدها العباسي بن الاحنف في مجلس الرشيد يقصها الاصمعي فيذكر [١]

لو أن صورة من أهوى ممثلـة   وصورتي لاجتمعنا في الجدار معـا

اذا تأملتنا ألفيتنا عجبـــا   ألفان ما أفترقا يوما ولااجتمعـــا

وقيل للاصمعي ما معني قول أمية بن ابي الصلت :

وما ذاك إلا الديك شارب خمـرة   نديم الغراب لا يمل الحوانـــبا

فلما استقل الصبح نادي بصوته   ألا من غرب هل رددت ردائيـــ

فقال الاصمعي · (ان العرب كانت تزعم ان الديك في الزمان الاول كان ذا جناح يطير في الجو وأن الغراب كان ذا جناح كجناح الديك لا يطير به ، وانهما تنادما ذات ليلة في حانـــة

---

* انظر شروح الحماسة ، والكامل للمبرد وتتمة المقطوعة بالكامل للمبرد ص ٣١٥ ، ط بيروت

(١) الكامل المبرد ، ص ١٤٠ .

بشربان فنفذ شرابهما فقال الغراب للديك ، ولو اعرتني جناحك لاتيتك بشراب ، فاعاره جناحه فطار ولم يرجع ، فزعموا انالديك انما يصيح عندالفجر استدعاء لجناحه من الغراب) (١) ومن الطرائف الشعريه ذات العلاقة بعالم الطفل هذا الموقف النادر الذي يحكيه الشاعر العربي الخطيئة في حواريه بينه وبين ولده الصغير ، من قصيدته الشهيرة التي مطلعها :

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمـل   بيداء لم يعرف بها ساكن رسمـــا

فالحطيئة واولاده لم يذوقوا طعاما منذ ثلاث ليال ، وقد عصب بطنه من الجوع وحينما رأي شبحا ضعيفا من بعيد كثر همه وحزنه :

راي شبحا وسط الظلام فراعـه   فلما رأي ضيفا تشمر وأهتمـــا

وقال : هيا رباه ضيف ولا قـــــــري   بحقك لا تحرمه تالله الليلة اللحما

ثم يأتي موقف ابنه على هذا النحو :

فقال ابنه لما رآه بحيـــــــــرة   أيا ابت اذبحني ويسر له طعما

ولا تعتذر بالعدم على الذي تـري   يظن لنا مالا فيوسعنا ذمـــا

ويهم الحطيئة بذبح ولده ، كأنه يسترفد ، قصة ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام – لولا أن رأى قطيعا من الاتن الوحشية عن بعد كأنما ارسلتها العناية الألهية فداء للصبي الصغير) (٢)

ولم تغفل الحضارة الاسلامية أهمية المنظومات الشعريه التربوية للطفل يقول ابن سينا في كتابه السياسة : (من الضروري البدء بتهذيب الطفل وتعويده ممدوح الخصال منذ الفطام) . وما رواه الجاحظ فى البيان والتبين : (... علموا أولادكم العوم والفروسية ، وروّوهم ما سار من المثل وماحسن من الشعر .. نعم ماتعلمته العرب الابيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته فيستنزل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم .) ولحث الطفل العربي علي اتقان ملكة من ملكات وصنعه من الصناعات قال المهلب لبنيه : (يابني لا يقعدن احدكم السوق ، فان كنتم فاعلين فالي زراد او سراج او وراق .) (٣) .

---

(١) الاصمعي د. احمد كمال زكي ، ص ١٥٩ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٢) الاصمعي ، د احمد كمال زكي ، ص٣١٦ .

(٣) البيان والتبيين ، للجاحظ جـ ، ص ١٨٠

وكانت مظاهر الحفاوة بالطفل العربي تبدو جلية في الاتجاه الوجداني بدرجة تفوق الاتجاه العقلي الي حد ما ، ومن ذلك نلحظ دوران النظرية التربوية الاسلامية حول الاطار الوجداني في العقيدة والاخلاق في منهج يقترب من الاتجاه العقلي ، والأدب ديوان العرب عمق ذلك المفهوم بتأثيراته الوجدانيه ، ومنه أن كان الطفل يذهب الي المكتبات (الكتاب) وسنه قريب من السابعة ثم يقضي ما يقرب من ثلاث سنوات أو اربع في استظهار القرآن والوقوف على اصول الدين وتعلم بعض مبادىء اللغه والشعر ... وقد لاحظ " أبن جبير " أن تمارين الكتابة التى كانت تعطي للتلاميذ كانت من الشعر .

يقول ابن سينا في ارجوزة طويلة حول الطفل :

ناغية بالاصوات في تعلـــــــم	كيما تدربه على التكلـــــــم
وامنعه أن يقصد او ان يســـألا	حتي تراه يفعه قد اعتلـــــي

والارجوزة غاصة بالنصائح المقصودة لتهذيب الابناء وغرس الخصال الحميدة فى نفوسهم وهي علي طولها (تقع فى الف وثلاثمائة وست وعشرين بيتا) تعمق العادات المحمودة والآداب السليمة عند الطفل بأسلوب تعليمي موجه .. كأنما عبر الفلاسفة عن ترجمتهم للنظرية الأسلامية فى التربية والتي تتمحور حول العقيدة والأخلاق وفي الحديث ما يوافق تلك الرؤية الدينية والاخلاقية .

" وانما الشعركلام ، فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح " [1] وفي ذلك قال المتنبي "

وما الحسن في وجه الفتي وشرفا له	اذا لم يكن في فعله والخلائـــــق

وقد حرص العرب على تنمية الخصال الحميدة فى الطفل كالشجاعة والكرم والعطف والشهادة والنخوة وغيرها من الخصائص الايجابية في الشخصية العربية . وذلك عن طريق اشعارهم وامثالهم وحكمهم وقصصهم . والامام الغزالي خير من عبر عن الفلسفة الاخلاقية في الاسلام ، فكتابه " احياء علوم الدين " ، ورسالته المعنونة " ايها الولد المحب و " كتاباته المتفرقة

---

(١) انظر نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين لالفت الروبي ، التربية في الاسلام د احمد فؤاد الاهواني .. وللمزيد انظر ، آراء فلاسفة التربية الاسلامية القدامي في مؤلفات : ابي الحسن القابسي ، ابن جماعة ، ابن مسكوية والغزالي ، وابن خلدون

تعد ترجمة للفكرة الدينية والاخلاقية الدائرة حول الادب بمعناه التهذيبي ومعناه الفني . يقول الغزالي

" لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ويستشهدهنا بالحديث النبوي : ؛ حسنوا اخلاقـــــــكم " و " مانحل والد ولدا من نحل افضل من أدب حسن . [1] .

ويكشف الغزالى الى موقفه من الأنواع الادبيه فى أطار هجومه على المرنول والماجن ونحوهمامن فنون الأدب ، فيحذر من اشعار الهوى والعشق والمجون وأهله عندما قال " ويحفظ (أى يبعد الطفل) مثل الاشعار التى فيها ذكر العشق وأهله [2] .

وفي ضوء ذلك قال د. طه حسين :

(.. أنا أعلم حق العلم أن من المتقدمين من كان يعدل عن روايةالفاحش من الشعر سواء أكان فحشه مؤذيا للعاطفة الدينية او للاخلاق والأدب) . (٢) .

ولا يضير الطفل أو يقلل من طبيعة الانواع الادبية الموجهة له انها تقوم فى أساسها على ركيزة روحية (دينية وأخلاقية)وبأسلوب تهذيبي فيه التثقيف والتعليم أكثر مما فيه من فنية عالية . ويعبر البوصيري (٦٠٨ – ٦٩٥ هـ) عن أثر التنشئة على طبع الانسان من زمن الطفل في مرحلته الاولي ، من مثل هذا البيت الشهير الذي اورده مطولته (البردة) .

والنفس كالطفل ان تهمله شب علي   حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

ولذا كا فن الرجز قد نشأ فى احد مقاصده لهدف لغوى فى العصر الجاهلي فإن العصر العباسي توسع فى استعمال البحور الخفيفة والقصيرة والمجزوءة كالمجتث والمقضب والمضارع ، بل واستحدث العباسيون المزدوج والمسمط اماالمذدوج فلعل أول من استخدمه بشار بن برد ، وأخذ الشعراء يستخدمونه من حوله ومن بعده في الشعر التعليمي كما نري في قصيدة بشر بن المعتمر التى رواهاالجاحظ في كتاب الحيوان [3] . وسبق ان ذكرنا في تتبع نشأة واغـــــــراض

(١) احياء علوم الدين و الغزالي ، جـ ٨ ص ١٤٣٩

(٢) الاغاني ، جـ ١ ص ١٤٩

(٣) السابق ، جـ ٣ ص ١٤٥

الاشعار القصار فى الادب العربي أن كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى ، فتاتي منه بآيات يسيرة ، فكان الاغلب العجلي اول من قصد الرجز ، ثم سلك الناس بعده طريقته " (١) وقد استتبع التقاء العرب بالثقافات الهندية والفارسية واليونانية في زمن الحضارة الاسلامية الزاهرة ، التجديد في استعمال اليحور الشعرية وبالتالي الأغراض التي كان يقصد اليها الرجاز الشعراء وظهر الميل الي استخدام الاوزان المجزوء ة بتأثير ازدهار الموسيقي والغناء في الأمصار فعرفوا المخمس والمزدوج .

وقد اختار اصحاب الشعر التعليمي القالب الاخير لشعرهم ، وكأنما أغراهم وفرة الموسيقي فيه ، حتي (تتلاقي مافي معانيهم من جفاف معرفة الحكمة .. أما الاسلوب فهو اسلوب مبسط أستطاعوا بذوقهم الحضارى الرقيق أن يحدثوه . فإذا لغته أشد ما تكون نقاء " .

وهذا لم يمنع ندرة الاستعمال لبعض تلك الحور منه قول مسلم بن الوليد (٢)

يأيها المعمـــود	قد شفك الصـــدود

وله ايضا من تلك الاوزان المقتضبة :

نبا بك الوســاد	وامتنع الرقـــاد

وتحقيقا للفائدة من استعمال الرجاز والشعراء للبحور القصيرة فى عالم الشعر التعليمي وما يتضمنه من معارف وعظات وأمثال وحكم للناشئين ، وبما في هذه البحور الخفيفة من إيقاع موسيقي ولغة موزونة سهلة - يوافق عقل الطفل وادراكه - نظم ابان بن عبد الحميد اللاحقي كليلة ودمنة شعراً يقول في مقدمته :

هذا كتاب ادب ومحنـــه	وهو الذي يدعي كليلة دمنـــه
فيه ضلالات وفيه رشـــد	وهو كتاب وضعته الهنـــد
فوصفوا آداب كل عالـــم	حكاية عن السن البهائـــم

---

(١) السابق ، جـ ٣ ص ١٤٥

(٢) السابق ، جـ ص ٢٩ .

كما تضمن كتاب الاوراق الصولي منظومات شعرية طويلة تشمل الادب الوعظي أوالادب الحكيم من أمثال ووصايا وعظات تاديبات ، من التي كتبها " ابان بين عبد الحميد ترجمة لكليلة ودمنه " في نظم شعري " ، واقتفي اثر ابان اللاحقي ، سهل بن نوبخت في نظم حكايات كليلة ودمنه شعراً . (١)

ولم يكن ابن اللاحقي وحده ، هو الذي نظم كليلة ودمنه شعرا ، بل اقتفي اثره شعراء عديدون هم الشاعر المصري الاسعد بن ممات (- ١٦٠ هـ) وقبل ذلك بنحو قرن محمد بن صالح العباسي المعروف بأبن الهبارية (٥٠٤ هـ) صاحب كتاب " نتائج الفطنة في نظم كيلة ودمنة " ، ورصيفه الصادح والباغم الذي سار في تأليفه على أسلوب كليلة ودمنة يقول ابن الهبارية في نتائج الفطنة وهو يرتجز :

هذا كتاب حسـن — تحار فيه القطـن

قضيت فيه مـدة — عشر سنين عـده

بيوته الفـان — جميعها معـان (٢)

جانب أخر له أهميته للطفل وهو توظيف مادة الطير والحيوان علي ألسنة الشعراء . فمن الضروري الاشارة الى أهمية ولع الطفل بالحيوان والطير ولذلك تناثرت في ديوان الشعر العربي منظومات شعريه تصف الطيور والحيوانات علي نحو ما عبر عن ذلك في رحلات الصيد والطرديات ، ووصف عجائب المخلوقات العديد من شعراء العربية القدامي .

وعلى اية حال فقد تناول د. طه حسين في الجزء الثاني من كتابه حديث الاربعاء ريادة ابان بن عبد الحميد اللاحقي لفن الشعر التعليمي فيذكر : انه ابتكر في لأدب العربي فنا لم يتعاطه احد من قبله ، وهو فن الشعر التعليمي وهو فن ليس له في نفسه قيمة ادبية ، ولا سيما في العصور المتحضرة (٣) .

(١) شرح ديوان الحماسة ، للتبريزي ، جـ ٢ ، ص ١٩١

(٢) عني بنشره المستشرق ح هيورث ، دون في ثلاثة اقسام قسم اخبار الشعراء طبع ١٩٣٤ (وهو المتضمن اشعار كليلة ودمنه لابان اللاحقي وقسم اخبار الراضي بالله والمتقي بالله طبع سنه ١٩٣٥ م. والقسم الاخير اشعار اولاد الخلفاء واخبارهم طبع عام ١٩٣٧ انظر ابو بكر الصولي ، احمد العمري ص ٢٧٧ - ٢٧٩ ط هيئة الكتاب ١٩٧٣

(٣) اطفالنا والتراث ، ندوة عربية ، ط المجلس الاعلي للثقافة ١٩٨٨

والعبارة التى قال بها د. طه حسين لا يمكن قبولها على اطلاقها لانه من الظلم الواضح ان نصدر احكامنا على المنظوم الشعري التعليمي بنفس الاحكام التي تصدرها على الشعر فى أغراضه الاخرى أو في طبقته العالية بمضمونه وبنيته اللغوية .

كما أن العصور المتحضرة فى أزهي فترات الحضارات الانسانية ازدهر خلالها الشعر التعليمي مثل الحضارة الهندية والفرعونية واليونانية ، فهي لا تقصد الى الجمال الفني فى الشعر بقدر ما تهدف الى التعليم والتهذيب والتسلية ، والطفل بطبيعته يميل الى المنظومات القصيرة يرددها ويفيد منها كما أفاد منها د. طه حسين - ذاته - وهو فتي على حد قوله حول تلك المنظومات فيذكر : (وكنا نروي هذه المنظومات التي حفظناها فى الأزهر أيام الصبا ..) [1] لقد كان الشعر التعليمي هو الوعاء المفضل للعلوم على نحو ما هو معروف ، كما انه استشهد به لاثبات المعاني) [2] ولو عدنا إلي إبان اللاحقي بإعتباره مخترع الفن التعليمي حينما نظم كليلة ودمنه شعرا للأطفال - لوجدناه قد التفت الى جانب هام يكمل به فائدة نظم كتاب ليلة ودمنه بالشعر ، وليسهل على هؤلاء الأطفال المتعة من نظم الحكايات والافادة من مضامنها فى أسلوب تعليمي سهل ، ألا وهو الإلتفات الي حكايات الحيوان والطير وعجائب المخلوقات ، وهي من المخلوقات المحببة لعالم الطفل والمحفزة لخياله ، يقول ابان بن عبد الحميد وهو يستهل نظمه لكليلة ودمنه :

هذا كتاب أدب ومحنــــة ... وهو الذي يدعي كليلة ودمنــة

فيه ضلالات وفيه رشــد ... وهو كتاب وضعته الهنـــد

فوصفوا آداب كل عالـــم ... حكاية عن السن البهائـــم

فالحكماء يعرفون فضلـــه ... والسخفاء يشتهون هزلـــه

وهو على ذلك يسير الحفـــظ ... لذ علي اللسان عند اللفـــظ

وأنظر كيف افتتح باب الاسد والثور .

---

(١) حديث الاربعاء ، د. طه حسين ، جـ ٢ صص ، ٢٢٣

(٢) عالم الفكر ، مقالة للدكتور عبده بدوي ، ص ص ٤٩ ، ٥٠ ، (ع)٤ يناير ١٩٨٦ ، الكويت

وإن من كان دنيء النفـــــس ... يرضي من الأرفع بالأخـــــس

كمثل الكلب الشقي البائـــــس ... يفرح بالعظم العتيق اليابـــــس

وإن أهل الفضل لايرضيهـــــم ... شيء إذا ما كان لا يغنيهـــــم

كالأسد الذي يصيد الأرنبـــــا ... ثم يرى العير المجد هربـــــا

فيرسل الارنب من أظفـــــاره ... ويتبع العير علي أدبـــــاره

والكلب من دقته ترضيـــــه ... بلقمة نقذفها في فيـــــه(١)

وفى تاريخ الادب العربى من الأمثال والحكم والعظات والنصائح الشعرية التى سارت في خط مواز لمثيلاتها فى الفنون النثرية ، فمنها ما نظمه الرجاز والشعراء لسائر المتقين (صغارا وكبارا) ومنه ما اختص به احدهما دون الأخر .

ومنه قول محمود الوراق :

رأيت صلاح المرء يصلح أهلـــه ... ويعديهم داء الفساد اذا فســـد

يعظم فى الدنيا بفضل صلاحـــه ... ويحفظ بعد الموت في الاهل والولد

ومن شعر اليزيدي :

اذا نكبات الدهر لم تعظ الفتـــي ... وأفزع منها لم تعظه عواذلــــه

ومن لم يؤدبه ابوه وأمـــــه ... تؤدبه روعات الردى وزلازلــــه

فدع عنك مالا تستطيع ولا تطع ... هواك ولا يغلب بحقك باطلــــه

وجاءت قريحة المتنبي بالامثال الشعرية والحكم التى أودعها شعره ومنها قوله :

ذو العقل يشقي فى النعيم بعقله ... وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

وهذا جانب آخر نكمل به ملامح صورة الطفل في الشعر العربي الموروث .وهو وصف للحظات السفر أو الاغتراب عن الطفل ، ومنه تذكر كاتب الامير المنصور بن ابي عامر

وهوالشاعر ابو عمروبن دراج القسطلي اذا يذكر ابنه وقد تركه لحظة سفره : [(١)]

ابني لا تذهب بنفسك حسـرة   عن غول رحلي منجدا أو مغـورا

فلئن تركت الليل فوقي راجيـا   فلقد لقيت الصبح بعدك أزهـرا

وحللت أرضا بدلت حصاؤهـا   ذهباً يرف لناظرى جوهـرا

ومنه لابن دراج أيضا يصف فراقه لزوجه وابنه فيذكر في لحظة الوداع : [(٢)]

ولما تدانت للوداع وقد هفـا   بصبري منها أنه وزفيـر

تناشدني عهد المودة والهـوي   وفي المهد مبغوم النداء صغيـر

عبي بمرجوع الخطاب ، ولفظه   بموقع أهواء النفوس خبيـر

تبوأ ممنوع القلوب ومهـدت   له أذرع محفوفة ونحـور

ومنه أيضا قوله الأعشى في حوارية مع ابنته وهو علي سفر : [(٣)]

تقول بنتي وقد قربت مرتحـلا   يارب جنب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي   نوما فان لجنب الماء مضطجعـا

كما أحس العربي ببصيرته بفرحة الطفل للقمر اذا ما نظر اليه كأنما تنعكس صفحة و الطفل الجميل (حادر) على بدر السماء ، فالصبي عندما يرى القمر يهش له ، وفي ذلك يق الشاعر [(٤)] .

وحادر قال لي قولا قنعت بـه   لو كنت اعلم أني يطلع القمـر

(١ ، ٢) المغرب في حلي المغرب لابن سعيد الاندلسي تحقيق د. شوقي ضيف جـ ٢ ، ص ٦٠ .

(٣) الاقتضاب في شرح ادب الكتاب ، للبطليوسى ، تحقيق مصطفي السقا د. حامد عبد المجيد جـ ١ ص ٤٠ .

(٤) مجالس ثعلب ، لابي العباس احمد بن يحي ، تحقيق عبد السلام هارون جـ ، ص ١٤١

وفي استنفار الناشئة للجهاد والقيادة ،كانت صورة الطفل مضيئة في هذا الجانب من أغراض الشعراء ومنه قول لبيد .[1] .

تطير عدائد الاشراك شفعـا   ووترا والزعامة للغـلام

ومنه انشد العباسي :[2] .

قلل الأطفال آل بكر يجيبوا   من دعاهم للحرب عند البراز

وبعد . ان التوفر على ايرادنا للشواهد التراثية السابقة من ديوان الشعر العربي فـي الاغراض المتنوعة (عن) الطفل بهدف تاكيد وجود شخصية " الطفل " في نسيج الشعر العربي رجزه وقصيده ، ولا يزعم المؤلف انه اتي بحصر واف لكافة الاشعار التراثية عن الطفل لندرة المصادر والمراجع ، بل عدمها - مستقلة - في مجال ديوان الطفل العربي ، وإنما اقتضي ذلك الاجتهاد في استقراء متفرقات امهات كتب اللغه والادب والاخبار لاستخراج البيت أو البيتين أو المقطوعة في أحسن الاحوال وبهدف التنظير النقدى لأدبيات الطفولة .

وليس من شك في أن صورة الطفل في التراث الشعري العربي حظيت على نحو ما بمكانه لا بأس بها عند الرجاز والشعراء ، وأزعم أنها مكانه ايجابيه في أغلبها (باستثناء) اشعار الغزل الشاذ في الغلمان ، وهو كلون طارىء اندرج تحت فن الغزل بنوعيه العفيف والصريح ، ولكن هذا العزل الشاذ أو الغزل المذكر في الصبيان والغلمان طمست أغراضه من حياة الجماعة العربية وان بقيت آثاره تنعكس بالسلب على حياة بعض الصبية الأطفال في طفولتهم المتأخرة وهم يعملون في بيوت الخلفاء والامراء والقواد والاثرياء في اخريات العصر لعباسـي وعصور الدويلات والطوائف .

ومما يرويه في ذلك صاحب الأغاني : دخل علي بن عيد بن وهب يوما ومعه صاحب له ، غلامان امردان فقالا له لقد تحاكمنا اليك اينا اجمل وجها واحسن جسما وجعلنا لك اجر حكمك ان تختار إيناحكمت له فـ........ ثم مال على الآخر ثم قال ·

(١ ٢) المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٨ - ، جـ ٥ ، ص ٢٦٠

رئمان جاءا .فحكماني لاحكم قاض ولا أمير

هذا كشمس الضحي جمالا وذا كبدر الدجي المنير

فكان مني ومن قريني اليهما وثبة المغير

فمن رأي حاكما كحكمي أعظم جورا بلا نكيرا (١)

ومه ايضا مايرويه ابا الفرج الاصفهاني في الاغاني :

كان ابو محمد التيمي يهوي غلاما ، كان الغلام يهوي جارية فكان بها مشغولاعنه فقال التيمي في ذلك :

ويلي علي أغيد ممكور وساحر ليس بمسحور

تؤثره الحور علينا كما نؤثره نحن على الحور (٢)

وممن تغزلوا بالغلمان ايضا مطيع بن أياس :

وليس يعتم إلا سكران مع سكران

يسقيه كلام غلام كأنه غصن ان (٣)

ومنه قول البحتري يتغزل فى غلام (٤)

نبتت لحية (شقر) ان شقيق النفس بعدى

حلقت ، كيف اتته قل ان ينجز وعدي

وعلى هذا النحو الشاذ تغزل الشعراء في الغلمان ، ولم يكتب لمثل هذا الغرض الذيوع والاستمرار ، واتجه الشعراء - يومئذ - الي الغزل بنوعيه العفيف والصريح ، وارتبط

---

(١) الاغاني ، للاصبهاني ، جـ ٢٠ ، ص ٣٤٠ط الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٢) السابق ، ص ٥٨ .

(٣) السابق ، جـ ١٣ ، ص ٢٩٣

(٤) الاغاني ، جـ ٢١ ص ٤١

الاخير فى اغلب نماذجه بالخمريات اما الغزل المذكر في غلمان القصور وبيوت الاثرياء ، فانقطع سبيله وانطفأ شعاعه .

الطفل شاعرا :

والاطار الذي نستطيع أن نكمل به صورة الطفل فى التراث الشعرى العربي هوالالتفات الى شاعرية الاطفال أنفسهم ، من خلال ذكر امثلة لنظمهم الشعرى ومن نافلة القول التأكيد مرة أخري على اهتمام الأطفال العرب وشغفهم بحضور مجالس الادب وحلقات الرواة ومن ثم تكونت لديهم ملكة التذوق الأدبي ، ونظم بعضهم الشعر في سن صغيرة ، ومن بين هؤلاء لصغار يومئذ الشاعرالجاهلي طرفه بن العبد .. فيمانسبه اليه الرواة انه نجح في نظم الشعر في سن مبكرة وقد أورد الدميري المصرى صاحب كتاب حياة الحيوان الكبرى رواية تتصل بطرفه بن العبد وخروجه مع عمه على سفر ، فاستهواه صيد (القبره) (١)

وعند ما عاد قال اول اشعاره فى القنابر . يستعيد ويصف التقاط القنابر للحب فيذكر :

يالك من قبرة بمعمـــــــــر   قد رفع الفخ فماذا تحــــــذري

قد ذهب الصاد عنك فابشري   خلا لك الجو فبيضى واصفــــري

ونقري ما شئت أن تنقـــــري   لابد يوما ان تصادي فاصبــــري

واذا قرأنا اخبار كعب بن زهير فى الاغاني لوجدنا كيف اهتم الاباء بتعليم الابناء الشعر وإنشاده واجازته وبالتالي اذاعته على الناس . وزهير اجاز غير مرة ابيات شعرية لأبنه كعبا ، بعد دربه وتثقيف معه ، فكان يبدأ بانشاء نصف البيت (صدره) ليكمل عجزه ، أي يطلب منه أن يكمل البيت ، ومن ذلك ما ينسبه الرواه إلى أن أول قصيدة انشدهاكعب بن زهير وهو فتي ، ومنها هذا البيت :

أبيت فلا أهجو الصديق ومن يبع   بعرض ابيه فى المعاشر ينفق (٢)

---

(١) الاغاني ، جـ ٢١ ص ٤١

(٢) الاغاني ، للاصفهاني ، ج١ ١٨ ، ص ٦٣٥٩

* حياة الحيوان الكبرى ، للدميري ، مادة القبرة

وأخبار لبيد بن ربيعة فى الاغاني – كذلك – تدلنا على مدي مقدرته على انشاء الشعر صغيرا ، وقد بدأ لبيد بن ربيعة يقرض الشعر في اطار الفخر القبلي في تعصب لاعمامه من بني عامر ، فيهجوا أخواله من بني عبس قائلا:

نحن بنى أم البنين الأربعـــة سيوف حز وجفان مترعـــــه

نحن خيار عامر بن صعصعـــه الضاربون السهام تحت الخيضعه

والمطعمون الجفنه المدعدعـــه مهلا ابيت اللعن لا تأكل معـــه [1]

وها هي حوارية ادبية طريفـــة دارت في صدر الاسلام بأحد مجالس العرب وكان الرسول (ص) قد وفد معه صاحبه ابو بكر على مجلس من مجالس العرب فأخذ الصديق يسأل الحضور في أنسابهم وبطونهم ، فلما أنتهي من ذلك قام اليه (عقل بن حنظله) يومئذ غلام صغير وأنشد :

ان علي سائلنا أن نسألـــه والعبد لا نعرفه أو نحملـــه

وأخذ الصبي يستفسره ويحاوره ، حتي أحس أبو بكر بالدهشة من بلاغة الصبي وبيانه وحسن محاورته فرجع الى رسول الله والغلام ينشد :

وافق در السيل در يدفعـــه يهضيه حينا وحينا يصدعـــه

فتبسم الرسول (ص) وقال ابو بكر عبارته المشهورة التى ضربت مثلا من بعد : " ان البلاء موكل بالمنطق " ومن اللافت للنظران عقل بن حنظلة عمر طويلا فأدرك ولاية معاوية ووفد عليه فسأله يوما : بم ادركت هذا العلم ؟ قال : بلسان سئول وقلب عقول [2] .

وظهرت ملامح شاعرية ابي الطيب المتنبي وهو في عمر الصبا ، وأول شاعر نظمه ارتجالا قوله وهو صبي :

بأبي من وددته فافترقنـــا وقضي الله بعد ذاك اجتماعـــا

فافترقنا حولا فلما التقينـــا كان تسليمه علي وداعـــا

(١) السابق ، للاصفهاني ، جـ ١٦ ص ٥٧١٨

(٢) انظر المحاورة تفصيلا بكتاب انباء نجباء الابناء ، محمد بن ظفر ص ١٠٧ – ١٠٨

وقال في صباه وهو في المكتب (الكتاب) يرد علي المتعجب من شعره المجتمع على رأسه :

لا تحسن الوفرة حتى ترى　　　منشورة الضفرين يوم القتال

علي فتي معتقل صعدة　　　بعليها من كل وافى السبال

وقال ايضا في صباه ، وقد أهدي اليه عبيد الله بن خلكان هديه فيها سمك ونحوه ، فقال ارتجالا :

هدية ما رأيت مهديها إلا　　　رأيت العباد في رجل

أقل ما في أقلها سمك　　　يسبح في بركة من العسل

كيف اكافيء على أجل يد　　　ومن لا يري أنها يد قبلي (١)

في ضوء ذلك يمكن القول ان أمارات الموهبة الشعريه ، تظهر عند الشاعر أى شاعر ، في سن مبكرة ، ولكن تدوين شعر مرحلة الطفولة عند معظمهم . تخفيه عاديات الزمن. فضلا عن عدم إكتراث الشعراء انفسهم في مرحلة صباهم بتدوين محاولتهم الأولى ، أما ما تنقله الروايات المدونه من شعر مرحلة الطفولة فدليل على توثيقه وتدوينه وصحة نسبه تبعا لتتبع أخبار روايته . ولقد رأينا مخايل الموهبة الشعرية عند الشاعر العباسي أبن المعتز تبدو في سن صغيره ومن شعره في مرحلة طفولته نعرض هذه النماذج (٢) .

لا تمنعن العلم طالبه　　　فسواك ايضا عنده خبر

كم من رياض لا أنيس بها　　　هجرت لأن طريقها وعر

وقال ايضا في صباه :

أصبر على كيد الحسود　　　فإن صبرك قاتله

---

(١) ابو الطيب المتنبي حياته وشعره ، عباس محمود العقاد ومجموعة من الكتاب ، ص ١١١ - ١٢٥ ، ط المكتبة الحديثة ، بيروت ، ١٩٨٢م

(٢) معجم الادباء ، لياقوت الحموي ، جـ ٢ ص ٤٧ .

فالنار تأكل بعضهـــــــا   إن لم تجد ما تأكلـــــــه

ومنه ايضا قوله وهو طفل صغير لم يبلغ سن الشباب ·

ومن شر أيام الفتي بذل وجهـــه   إلى غير من حقت عليه الصنائع

متى يدرك الإحساس من لم تكن له   إلى طلب الاحسان نفس تـنازع

وقبيل نهاية مرحلة الصبا وعمر (عبد الله بن المعتز) يومئذ ثلاثة عشر سنة كتب الي مؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي منظومه شعريه يقول فيها :

أصبحت يا بن سعيد حزت مكرمـــة   عنها بقصر من يحفي وينتعـــل

وسر بلتني حمكة قد هذبت شيمـــي   وأحجت غرب ذهني فهو مشتعل

أكون إن شئت قسا فى خطابتـــه   أو حارثا وهو يوم الفخر مرتجـل

وإن أشأ فكزيد فى فرائضــــــه   أو مثل نعمان ما ضاقت به الحيل

أو الخليل عروضيا اخا فطـــــن   أو الكسائي نحويا له عـــــلل

وصورة الطفل في تراثنا العربي كما نعرضها في هذا الجانب · الطفل شاعرا تمثل مرحلة هامة في حياة الشاعر ، اذا يذيع شعره بين الناس ومن بعد - ربما يستعيد ذكراها وتجربتها البكر الوليدة معه ، يقول البحتري مخاطبا الطبيعة وقد رد اليها جمالها ويعاوده الامل فيتصابي :

قد تصابيت فاعذري او فلومـــي   ليس شي من الصبا من شأنـــي

ويطالعنا البحتري فى أبيات نظمها في صباه (*) فيذكر متغزلا :

الا يا هبوب الريح فبلغ رسالتـــي   سليمي وعرض بي كأنك مـازح

---

* يقول د. شوقي ضيف .. .. ان ملكته الشعرية تفتحت في سن مبكرة انظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٨٨) : انظر الاقتضاب في شرح ادب الكتاب للبطليوس ، تحقيق مصطفي السقا ، د حامد عبد المجيد ، جـ ١ ص ١٠١ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١

وعني اقرئها السلام وقل لهـــــا	زعمت بالا يكتم السر بائـــح
فإن سالت عنس سليمي فقل لهـا	به غير من دائه وهو صالـــح

وهذه محاورة أو حوارية في جانب الهجاء ، دارت بين شاعر تغلب كعب بن جميل والأخطل (وهو يومئذ صبي غرير) قال الأخطل :

وسميت كعب بشر العظـــــــام	وكان ابوك يسمي الجعــــل
وأنت مكانك من اوائـــــــــل	مكان القراد من أست الجمــل

وعندما لج بينهما الهجاء قال كعب جعيل : أن غلامكم هذا لأخطل (١) .

وبعد .. فقد طوف هذا المبحث مع نماذج شعرية في ادبنا العربي بهدف التأكيد على وجود الدعائم التراثية في مجال أدبيات الطفل ، وهي دعائم تقوم على رؤية العقل العربي والمبدع العربي لصورة الطفل ، كما جسدها خيال الشعراء ونظم الرجاز أو كتبها الشعراء بأنفسهم في طفولتهم . وقد اجتهد المؤلف قدر طاقته ليعرض صورة الطفل في الشعر المدون من أدبنا الرسمي وهي صورة توزعت ملامحها عند معظم الاغراض الاساسية المعروفة في شعرنا الموروث .

بقي أن نسجل في خاتمة هذا الفصل التأكيد على :

(أ) : وجود أغاني الاطفال الشعبية في حياة الجماعة وهي تندرج تحت مظلة الادب الشعبي ولها اهميتها في الامتاع والتسلية والفائدة بنفس مقدار الأشعار القصار في الادب الرسمي غير ان اغاني الاطفال الشعبية تخضع للتعديل في نصوصها بالحذف أوالاضافة وفق استعمال الجماعة لها جيلا بعد جيل ، وتتنوع اغاني الطفل في الادب الشعبي فتشمل اغانب اللعب ، واغاني المناسبات واغاني المعتقدات وهي تمتاز بالتبسيط والاغراب في الخيال لتشويقهم ، وتصاحب هذه الاغاني الاطفال في مدارج لعبهم ، في سلامهم وخصامهم وما من حادث او فراغ في حياة الطفل إلا وتملؤه امه بالأغاني " والحواديت " والمناجاة بالمنظومات تنيمه على أغنيات ، وتفرحه باخري وتشجعه على محاكاه الكبار وتعلمه الكلام بمنظومـــــات

(١) ديوان البحتري ، بتحقيق حسن كامل الصيرفي ، مج ١ ص ٤٦١ ط ٣ دار المعرف ١٩٧٧

بسيطة ذات جرس قوي . " (ب) : بابات خيال الظل ، وهو لون من الوان الادب الشعبي له جذوره التراثية وليس وليدا لشواهد العصر الحديث كما يتصور بعض الباحثين بقوله (ان بابات خيال الظل القديمة ، بل تلك التي كانت ذائعة في أواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن تكفي للتعرف على عادات كثيرة وانحاء شتي من الحياة الشعبيه ... وهي من النصـــــوص الموضوعة للتسلية والامتاع) [1] وقد أورد الدكتور الطاهر مكي في كتاب لابن حزم حققه وعلق عليه أورد فقرة منه فينكـــر : (اشبه ما رأيت بالدنيا خيال الظل ، وهي تماثيل مركبة على مطحنه خشب تدار بسرعة فتغيب طائفة وتبدو اخري) [2] يقول د. الطاهر مكي في تعليقه على ماورد بهذه الفقرة التى أوردها ابن حزم الاندلسي في كتابه " الاخلاق والسير في مداواة النفوس (هذه الفقرة بالغة الاهمية في التاريخ لفن خيال الظل ، لانها تعني انه وجد في الاندلس في فترة مبكرة ، تعود الى أواخر القرن العاشر أوائل ا لقرن الحادي عشر الميلادى . ويرجح الدارسون ان هذه اللعبة وفدت الى مصر خلال العصر الفاطمى ، من الصين . او الهند او جاوة وانتقلت من مصر الي الاندلس أ.هـ . ويميل المؤلف الى الأخذ بالرأى السابق لأن ريادة خيال الظل في الشرق كما يردها أحمد تيمور باشا في كتابه " خيال الظل الى جعفر الراقص – فيها نسب ضعيف – ولأن استقراء مخطوطة الصفدى (*) التى اتكأ عليها صلاح الدين بن ايبك الصفدي في نسب اختراع خيال الظل الى جعفر الراقص بسبب ابيات من الشعر تتحدث عن الرقص تحت فصل بعنوان : فصل الختام عن التورية والاستخدام اما مقولة احمد تيمور باشا ان خيال الظل لعبة " وجدت بملاهي القصر مدة الفاطميين فهي مقولة تتفق ورواية د. الطاهر مكي والمستشرق الالماني بول كالا " وذلك لازدهارها في زمن الفاطميين ، وقد رأى د. ابراهيم حماده ان الأدب العربي (الشعبي أو الرسمي) تقبل ادبيات المخايلة في بطء كما يرد زمن نشأة خيال الظل في العالم الاسلامي والعربي إلى فترة " بدأت في اواخر القرن العاشر الميلادي واوائل القرن الحادي عشر [3] . ولـــو أردنا التاكيد علـــــــي وجود

---

(١) الادب الشعبي ، أحمد رشدي صالح ، ص ٢٥٥ – ٣٢٤ ، ط الهيئة المصرية ١٩٧١

(٢) الاخلاق والسير في مداواة النفوس ، لابن حزم ، تحقيق وتعليق وتقديم د. الطاهر مكـــي ص ١٢١ – ١٢٢ .

(*) انظر ديوان الصفدي ، مـوطه بخط يده سنة ٧٣٨ هـ ، محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٧٧٦ ١٨٤ خيال الظل ، احمد تيمور باشا ، ص ٢٢ ، دار الكتب العربي ١٩٥٧ م

(٣) خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال ، دراسة وتحقيق ابراهيم حمـــــادة ص ٤٥ طـ وزارة الثقافة ١٩٦٣ م.

منظومات شعريـــه كتبها الشعراء في الراقصين أو في المخايلين بمثابة أدلة كافية لنشأة هذا الفن ، لكان ذلك امرا يسيرا فالتراث العربي القديم يزخر بذلك ومنه : (١) .

منوع الحركات يلعب بالنهـــي   ليس المحاسن عند خلع لباســه

بالعقل يلعب مقبلا أو مدبـــرا   كالدهر يلعب كيف شاء بناســه

ويضم للقدمين منه رأســــــه   كالسيف ضم ذبابة لرئاســـــه

إذا خيال الظل فن أدبي يقوم على عناصر مادية وبشرية - بل هو الجنين اليافع لمسرح العرائس - الذى يألفه الصغار ، والكبار وكذلك . إن المخايلة الفنية بالتمثيل والشخوص المألوفة وغير المألوفة بأسلوب نثرى وشعري من خلف ستار هي الارهاصات الأولي لميلاد مسرح الطفل أو مسرح العرائس . ولا جرم اذا تطورت المخايلة الفنية (خيال الظل) الي المخايلة الشعبية المبهجة ا(الاراجوز) ، وقد يقول قائل : ما علاقة ذلك بأدب الطفل ؟ والرد على تلك المقولة نستطيع القول في اطمئنان ان بابات خيال الظل شكل من اشكال التعبير في الادب الشعبي ، له علاقة محببة بعالم الطفولة ، وقد نما وتطور عبر تاريخنا الأدبي وهويحتوي على مادة نثرية وشعرية (أشهرها نصوص ابن دنيال التمثيلية) سواء أكان خيال الظل قد نشأ لعبة في بداياته ثم تطور كفن تمثيلي ومسرح عرائسي في ذروته ، فإن الازجال والأشعار التي كانت تروي على السنة شخوص بابات خيال الظل ويفهمها الاطفال ويتداولونها ويستمتعون بها - فهي تقترب من مفهوم أدب الطفل وان دار خيال الظل في فلك الأدب الشعبي

إن علاقة خيال الظل بأدب الطفل كعلاقة اللعب بالطفل ، فخيال الظل يمتع عقل الطفل ، لانه ايهام بالصورة واللعب ترجمة انطباعات الطفل الى انفعالات محسوسة ولذلك وجدنا أغاني اللعب تنتظم حياة الجماعة العربية وكم من قصص دارت حول الالعاب في أدبنا الشعبي وفي أدبنا الرسمية يقول الشاعر الجاهلي امرؤ القيس (١) .

عهدتني ناشئا ذا غـــــرة   رجل الجمة ذا بطن اقـــــــب

اتبع الولدان ارخى منـــزرى   ابن عشر ، ذا قريط من ذهـــب

---

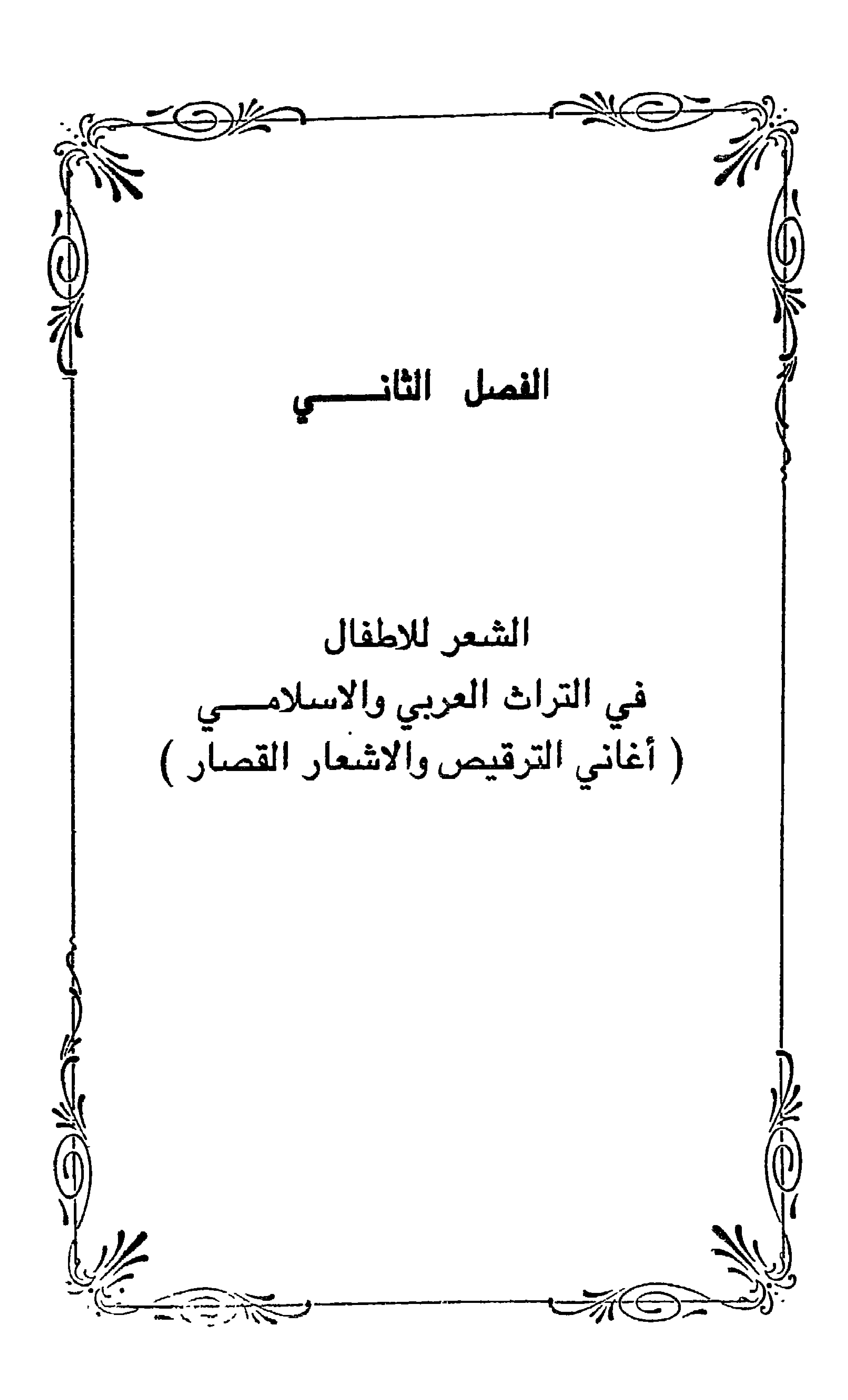
(١) المغرب في حلي الغرب ، لابن سعيد ، تحقيق ، د . شوقي ضيف ، ص ١٣٧

(٢) خيال الظل ، احمد تيمور باشا ، ص ٢٣ ، ط القاهرة ، ١٩٥٧

وهي اذ ذاك عليها منـــــزر   ولها بيت جوار من لعـــــــب

ان مادة أدبيات الطفل التي عرضنا لمنتخبات منها ونحن نستقرىء الطفل في تراثنا الشعرى في تراثنا ، مادة كافية لإثبات وجوده كجنس أدبي فوق خارطة الأدب الرسمي وألفيتا الطفل كذلك يمثل شريحة عمرية كبيرة وهامة فى أى مجتمع . تتلقي الأدب كأي شريحة أخرى ، من المتلقين والمتذوقين للأدب في صفوف المجتمع ، أما الحاق النتاج المعرفي بأدب الأطفال فنعده من الخلط الواضح في تحديد دقة المصطلح الأدبي .

إن أدب الطفل فى أدبنا الرسمي هو جنس أدبي مركب تتعدد أشكاله، شأنه شأن باقي الأنواع لأدبية لا يميزه عنها من فروق دالة سوي الفروق في الخصائص المعرفية والإدراكية بين الصغار والكبار، وبالتالي الفروق الفنية بين أدبيهما .



الفصل الثانـــي

الشعر للاطفال
في التراث العربي والاسلامـــي
(أغاني الترقيص والاشعار القصار)

الترنيمات الشعرية الغنائية والطفل

يؤثر الأدب في نفوس الصغار مثلما يؤثر في نفوس الكبار مع اختلاف في طبيعة ودرجة هذا التأثير ، لأن الأدب في مجمله غذاء للوجدان والعقل ، وهذا الغذاء لا يختلف في أصل مادته بالنسبة للصغار والكبار ولكن طريقة عرض هذا الغذاء واسلوبه وكميته لابد وأنها تختلف عن غذاء الكبار حتي يستطيع الأطفال التمثل والفهم ، وليس من شك أننا واجدون أن العقل العربي كان علي وعي – من نوع خاص – بالفروق الدقيقة بين الشعر الموجه للكبار ، **وأغاني المهد أو أغاني ترقيص الطفل اذ أحسن العربي بفطرته ونوقه خصائص مراحل النمو والإدراك . وكذلك مثيرات الإحساس عند هؤلاء الصغار : فصاغ لهم أغانيهم أو مقطوعات شعـرية عنهم ولهم .**

وكتب اللغة والأدب والأخبار وغيرها غاصة بأغاني ترقيص الطفل والأمهودات الشعريه المصاحبة لفترة المهد ، والطفل في هذه المرحلة المبكرة من مراحل طفولته يعيش في بيئة محددة محسوسة ، وهذه الأمهودات أوأغاني الترقيص تخاطب طفل المهد في لغة سهلة (*) وكلمات موزونة فترقيص الصبيان (بالغناء والكلام الموزون من طبائع الإنسان أني وجد وكان من الخصال الحميدة التى (تقصدها العرب) لتربية الطفل وتهذيبه : ترقيص الطفل بالمقاطع الشعرية ، وكان للعرب نصيب موفور من هذه المقطوعات الشعريه اشتهرت في اخبارهم وأثرت عنهم في مجالسهم ومنتدياتهم ومنازلهم وكانوا يتخذون هذا الترقيص بالغناء وسيلة ترفيه وتسلية ، وبجانب ذلك كانوا يبتغون به غرس جميل الخصال وحميد الفعال في ذهنه قبل ان يشتد عوده ويكبر ، وقد تمكنت منه الأخلاق ونقشت في مخيلته الصفات ، وانطبعت في قلبه القدوة[1] .

---

* من الثابت أن (عقل طفل المهد - رياض الاطفال) لايدرك الالفاظ الغريبة ، لان التداخــــــل (التراكب) ، علي عكس السهولة ، كما ان التشبيج في طول الكلام واضطرابه بمثابه سدود لغويه أمام مخيلة الطفل ، فالالفاظ الغريبة الخشنة بعيدة الاستعمال صعبة الافهام لاتصلح كوعاء لاغاني الترقيص الخاصة بالطفل بينما تصلح اللغه البسيطة لذلك لان الفاظها فصحي ميسرة خفيفة علي السمع واللسان ، سهلة النطق ، ولقصرها وكثرة استعمالها. وقديما قال الجاحظ ، كما لاينبغي ان يكون اللفظ غاميا ولاساقطا ولاسوقيا فذلك لاينبغي ان يكون وحشيا ، وقال الجرجاني · ان كل نوع من المعني نوعا من اللفظ هو به اخص واولى وضروب من العبارة هو بتأديته اقوم ، وهو فيه احلي .أ.هـ .

(١) الغناء للاطفال عند العرب ، د. احمد عيسي ، المقدمة ، ط بولاق القاهرة ١٩٣٦ م.

بلغت عناية العرب القدماء بأغاني الأطفال أن توفر على جمعها في كتاب بعنوان " الترقيص " أو المرقصات والمطربات " أبو عبد الله محمد بن المعلي الأزدي ، وقد أشارلذلك بن حجة الحموى في خزانة الأدب والسيوطي في المزهر وكارل بروكلمان في الجزء الثاني من تاريخ الأدب العربي ، وتتناثر أغاني المهد وأشعار الترقيص في كتب : الاغاني للأصفهاني ، ثمار القلوب للثعالبي والمستطرف في كل فن مستظرف للأشبهي ، محاضرات الادباء للراغب ، المعارف لابن قتيبة ، العقد الفريد لابن عبد ربه وغيرها من كتب اللغه والأدب والأخبار وفي العصر الحديث قام الدكتور أحمد عيسي بنشر نماذج من أغاني ترقيص الاطفال نقلا عن المصادر التراثية التى أشرنا اليها ، وقد طبع تلك النماذج فـي كتاب " الغناء للاطفال عند العرب " وأشار في . مقدمته الى فضل ريادة العالم اللغوى النحوي لمحمد الأزدي في الجمع الاول لأشعار ترقيص الطفل . ويضيف د . شوقي ضيف في كتاب " المغرب في حلي الغرب " لأبن سعيد كتابا جديدا في هذا المجال بعنوان " المرقص والمطرب " لأبن سعيد الأندلسى ، فهو الثاني من نوعه في المكتبة التراثية بعد كتاب " الترقيص ؛ للأزدي فى القرن الرابع الهجرى .

وكنا نود أن نقف على مادة كتاب الأزدى لكن هيهات .... لم تقع أيدينا على أصله المخطوط أو مكانه المحفوظ . أو حقيقة مآل اليه أمر هذا الكتاب . أما صاحب خزانة الادب أو صاحب المزهر فلم يشيرا كذلك إلى أية معلومات وافيه حول هذا الموضوع أو حتي ترجمة للأزدى صاحب الكتاب – بل واقتصرا على إيراد نماذج * – أغاني الطفل تضمنها كتاب " الترقيص " أو " المرقصات والمطربات " للأزدي . وفي ضوء ذلك فالكتاب بحاجة الى تتبع أصوله وتحقيقه ، أما المؤلف فمن الثابت انه احد تلاميذ النحوي ابن دريد ، علي نحو ما ذكر كارل بروكلمان وقد توفي ابن دريد عام ٣٢١ هـ والمؤكد ان أبو عبد الله محمد بن المعلي الأذدي عاش في القرن الرابع الهجرى لعدم ذكر المصادر الأدبية للتاريخ مولده ووفاته ، ولو تتبعنا من جانب أخر فلسفة العرب القدماء للعمل الادبي سنكتشف أهمية ما تحققه أغاني المهد وأشعار ترقيص الطفل متعة وفائدة فالمسلمون يقسمون القوى المدركة الى قسمين : الادراك الحسي (الحس) ، والادراك العقلي وقد حرصوا علي أن يكون هناك توازن بين اللذة والفائدة (المتعة

---

* انظر . خزانة الأدب ، ص ١ – ١٧ جـ ٤ ، والمزهر ، ص ص ١٧١ ، ١٩١ ، ٢١٢، جـ١ ٨١ ١٤١ ، ١٥٩، ١٦٩، ٢٢٦، ٢٢٧، ٣١، جـ٢ . وتاريخ الادب العربي لكارل بروكلمان جـ٢ ص ١٨٥ ، وفيات الاعيان لابن خلكان ، والأغاني للاصفهاني وغيرها

والمنفعة) في العمل الفنـــــــــي وحرصوا ايضا على أهمية الشعر في تحصيل الفضائل ودوره الاخلاقي ، فالشعر يهدف الى الخير ويساعد على تكوين النشىء [1] أننا نحكم على ابداع ما ونقيمه ، حسب ماله من منفعة واقعية أو ممكنة الوقوع حاضراً او مستقبلا من الناحية الروحية أو الفكرية أو المادية ، (والمرء لا يغني إلا بعدما يشعر بميل الى الغناء ، ويحس بحاجته الى التعبير عن مشاعره ، ودور المبدع هو قبل كل شيء اكتشاف الاسلوب المطابق للمفاهيم التي توجد فى بيئته وفي عصره) [2] .

والبيئة الخاصة بالطفل بيئة صالحة للنقش فوقها لما نريد له من إمتاع وإشباع يحققان المعني الوظيفي لأدبيات الطفل ، والبناء الوجداني للطفل مطلب واقعي نسعي لتحقيقه ، وقد اكتشف القدماء الأسلوب اللغوى الملائم لبناء مادة أغاني المهد على نحو ما ستوضح أغاني الترقيص التي نذكرها من بعد فالاساليب سهلة ، موجزة تتسم بالبساطة والايقاع الموزون ، والتكرار المحبب والجمل الشعريه قصيرة دالة ، وبذلك حقق القدماء المفهوم المتجدد القائل بـأن (أول ميزات الشعر هي استثمار خصائص اللغه بوصفها مادة بنائه) [3] وفي ضوء ذلك عكف المنشئون العرب يصيغون للطفل المنظومات الشعرية ذات البحور الخفيفة الملائمة لعقل الطفل وإدراكه ، مع حرصهم على ضرورة صدور المنظومات الشعريه للطفل مجردة من التراكيب الشعريه الصعبة ، والألفاظ المستغربة والبحور الشعرية الطويلة المحملة بالجمل الشعريه المركبة . فالبنية الاساسية في لغة الشعر الموجه للطفل تخلو أو تكاد من الالفاظ الجزلة والغريبة والصعبة ، ولا يضير شعر الأطفال أن ألفاظه سهلة ، بسيطة شريطة ان تجمع بين الايحاء البسيط والمضمون الدال ، - فللصغار مثل الكبار- قاموسهم اللغوى والعقلي والجسمي ، وما يهمنا في هذا الاطار هو استثارة الابداع عند الطفل على نحو ما صنع القدماء بتلقينه مقطوعات شعريه خفيفة أصطلح على تسميتها بأغاني الترقيص أو أغاني المهد أو اشعار يفهمها الكبار والصغار معا، وقبل عرضنا لنماذجها المدونة في كتب اللغة والأدب ، نستقرىء المعني اللغوى والأصطلاحي لأنواعها .

أشعار الترقيص :

يحسن ان نبدأ بتعريف المعجم اللغوى لأغاني ترقيص الطفل والتي تدور أصولها اللغويـة

---

(١) نظرية السعر عند الفلاسفة المسلمين ، ألفت الروبي ، المقدمة ،دار التنوير بيروت ١٩٨٣ م.

(٢) دراسات فلسفية د. محمد عبد العزيز الحياتي ، ص ١٢٥ - ١٢٦ ، طـ دار المعارف ١٩٧١ م.

(٣) النقد الادبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، ص ٢٨٦ طـ القاهرة د.ت

حول مواد " غناء " و " رقص " و " طرب " و " قطع " و " نشد " من الغناء والترقيص والتطريب بالكلام الموزون في قالب المقطوعات الشعرية القصيرة مما ينشد الطفل ، ففي المهد (الصبا المبكر) : تدلنا مادة مهد في لسان العرب لابن المنظور ، على أن المهد : مهد الصبي ، ومهد الصبي موضعــــه الـــــذي يهيء له والجمع مهود ، والمهاد الفــــراش ، وقد مهــــدت الفراش مهدا : بسطته ووطأته والجمع أمهدة ، ومهد .[1]

والذي يعنينا هنا هو المهد : الصبي ، لأقتران الجمع مهود أو أمهودات بأغاني الطفل في فترة الطفولة المبكرة ، وفي القرآن الكريم ما يشير الى اقتران المهد بالصبا يقول عز من قائل : " من كان في المهد صبيا . " والغناء بالكسر من السماع . قال أبن الأعرابي : كانت العرب تتغني بالركباني اذا ركبت الابل ، واذا جلست في الافنية وعلي اكثر أحوالها ، والركباني هوالنشيد يتغني به . وفي حديث عائشة رضي الله عنها : وعندي جاريتان تغنيان بغناء يوم بعاث ، وهو حرب كانت بين الأنصار .

وقال أبو العباس : الذي حصلناه من حفاظ اللغه من قوله ، صلي الله عليه وسلم ، كأنه لنبي يتغني بالقرآن إنه علي معنيين : على الاستغناء وعلي التطريب ، فهو من الغنــــاء الصوت [2] أما مادة طرب اللسان : طرب : تغني ، قال امرؤ القيس : [3] .

يغرد بالاسحار في كل سدفـة   تغرد مياح الندامي المطــرب

ويقال : طرب فلان في غنائه تطريبا إذا رجع صوره وزينه ، والتطريب [2] في الصوت مده وتحينه وطرب في قرائته : مد ورجع ويقال رقص يرقص رقصا قال حسان :

بزجاجة رقصت بما في قعرهـــا   رقص القلوص براكب مستعجل

والعرب تقول : رقص البعير يرقص رقصا ، اذا أسرع في سيره . وأرقصت المرأة صنيها ورقصته : نزته . لاطفته باللعب والغناء .. قال اعرابي :

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (مهد) ص ٤٢٨٦ ، ط ـ دار المعارف د .ت .

(٢) السابق ، مادة (غنا) ص ٣٣٠٩ .

(٣) نفسه ، مادة (طرب) ص ٢٦٤٩ .

واذا ترقصت المفازة غـــادرت ربذا يبغل خلفها تغفيـــــلا

معني ترقصت ارتفعت وانخفضت والربذ السريع الخفيف [1] .

وليس المقصود من الكلام الذي اورده ابن منظور في اللسان حول معني الرقص أو الترقيص في مادة (رقص) المفهوم الحاضر للرقص المرتبط بالحركة الجسدية فقط في سائر أنواعه ، لكن أهم ما يلفت إليه رابطة الإيقاع الحركي المرتبطة بالغناء وبتهنين الطفل عن طريق الترنيمة أو الانشودة في أول مراحل نموه ، تتطور معه الى المنظومات والمقطوعات الشعرية .

ومادة (قطع) في أحد أصولها اللغوية تعني : تقطيع الشعر أي : وزنه بأجزاء العروض وتجزئته بالأفعال . ومقطعات الشيء : طرائقه التي يتحلل اليها ويتركب عنها كمقطعات الكلام ، ومقطعات الشعر ومقاطعه . قال ابو عمرو : مقطعات الشعر : قصارها ، والمقطعات : الأبيات القصار ، وسميت الأراجيز مقطعات لقصرها ويروى أن جرير بن الخطفي كان بينه وبين رؤبة العجاج إختلاف في شيء فقال : أما والله لئن سهرت له ليلة لأدعنه ، وقلما تغني عنه مقطعاته ، يعني أبيات الرجز [2] .

والنشيد لغة · فعيل بمعني مفعول والنشيد : الشعر المتناشد بين القوم ينشد بعضه بعضا .. قال الجعدي :

أنشد الناس ولا أنشدهـــم إنما ينشد من كان أضـــل

والنشيد رفع الصوت ، وإنشاد الشعر إنما هو رفع الصوت ، والنشيد من الأشعار · [3]
والرجز هو عمدة الأشعار القصار لأنه أخف على لسان المنشد واللسان به أسرع من القصيد . وسمي – الرَجَز من الشعر لتقارب اجزائه وقلة حروفه وقال ابن سيده : · والرجز شعر ابتداء اجزائه سببان ثم وتد ، وهو وزن يسهل في السمع ، ويقع في النفس ، والرجز بحر من بحور الشعرمعروف ، ونوع من أنواعه يكون كل مصراع منه منفردا ، وتسمي قصائده أراجيز ، وأجدتها أرجوزة رجز الراجز يرجز رجزا ، وارتجز الرجاز ارتجازا : قال ارجوزة . واصل الرجز في اللغه تتابع الحركات ، ومن ذلك قوله · ناقة رجزاء ، إذا كانت قوائمها ترتعد عنـــد

(٢.١) نفسه ، مادة (رقص) ص ١٧٠٤ .

(٣) السابق ، مادة (نشد) ص ٤٤٢١ – ٤٢٢ .

قيامها ، ومن هذا رجز الشعر لانه اقصرابيات الشعر ، والانتقال من بيت الى بيت سريع . [١]
وفي المعجم الوجيز ، الرجز - بحر من بحور الشعر ، أصل وزنه مستفعلن ست مرات .

والارجوزة: المقطوعة من بحر الرجز (ج) اراجيز والراجز من ينشد الرجز او ينظمه) [٢]
وفي العصر الحديث يرد د. مجدي وهبة الرجز على اساس انه وزن شعبي فيذكر : : الرجز من البحور القديمة في الشعر العربي ، وهو الوزن الشعبي الذي ساد في العصر الجاهلي ، وكان لا يتجاوز البيتين أوالثلاثة ، ويتكون بيته من مستفعلن مكررة ست مرات أو أربع . وأول من أطاله الأغلب العجلي الشاعر المخضرم - [٣] .

بينما قال الرواة (أن الشعر كله إنما كان رجزا وقطعا وانه نما قصيد على عهد هاشم بن عبد مناف وكان أول من قصده مهلهل وأمرؤ القيس . وأول من طول الرجز وجعله كالقصيد الأغلب العجلي ثم أتي العجاج بعده ، فافتن فيه فالأغلب العجلي والعجاج في الرجز كأمرىء قيس ومهلهل في القصيد [٤] .

الاشعار القصار بين الغناء والايقاع :

في ضوء الاستقراء اللغوى السابق يمكن الاشارة إلى أن الأقدم من الأشعار هو الأقصر والأنقص ، والمستعمل للرقص هو الأخف والأنقص من الأشعار والاقصر هى المتقدمة بالزمان لأن الطباع أسهل وقوعا عليها أولا . والأقصر هى التي تكون من نغمات أقل أيضا) [٥]
وأرسطو بتلك المقولة يرد نشأة الاشعار القصار الي ميل الطبيعة البشرية الى الانسجام والايقاع منذ فجر التاريخ وإمعان النظر في اداب الشعوب القديمة يثبت بجلاء أن الميل أو الأحساس بالإيقاع والنغم، غريزى لدي معظم الناس .

ويقال فى المأثور : في البدء كان الايقاع ، إيقاع السير او نبض القلب أو حركة الجسم أو حركة الكون المنتظم . وقديما تحدث أفلاطون عن الايقاع على نحو يوحي بأنه يعتمد اساسا على الحركة فيذكر (انك تستطيع أن تميز الايقاع في تحليق الطيور ، ونبض العروق ،

---

(١) نفسه . ص ١٥٨٨ – ١٥٨٩
(٢) المعجم الوجيز، ص٢٥٦ ، مجمع اللغه العربية ، القاهرة .
(٣) معجم المصطلحات الأدب ، د مجدي وهبة ، ص ٤٦٢ ، بيروت ، د.ت
(٤) العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق ، ص ١٣٥
(٥) تلخيص كتاب ارسطو في الشعر ، تحقيق وتعليق د محمد سليم سالم ص ٧٢ – ٧٣ ط القاهرة ١٩٧١

وخطوات الرقص ومقاطع الكلام (١) .

وتعليل علماء اللغه العرب لنشأة وتسمية الاشعار القصار القديمة ، يتفق ووجهة نظر ارسطو وافلاطون وغيرهما من المهتمين بأصول وقواعد الفنون والاداب ، فكلمة الإيقاع Rhythm تشتق في اللغات الاوروبية من لفظ Rhyuthmos اليوناني ، وهو بدوره مشتق من الفعل Rheein بمعني ينساب أو يتدفق وفي اللغه العربية يرجع أن لفظ الايقاع مشتق من التوقيع ، وهو نوع من المشية السريعة إذ يقال (وقع الرجل) أى مشى سراعا مع رفع يديه . ومن المعروف أن مشية الانسان من أهم الأصول الحيوية التى يرجع اليها الإيقاع .. فالانسياب حركة ، والمشي بدوره حركة وفي ذلك دليل قاطع علي الارتباط الوثيق بين الايقاع والحركة كما تشهد به اللغة ذاتها (٢) .

والارهاصات المبكرة لميلاد فن الشعر (*) وما تفرع من شجرته الأولي من أشكال وأوزان في أدبنا العربي القديم تعود الي الكلام الموزون وللايقاع الخفيف المنغم ، الذي بدأ فى أصوله الاولي مع السجع وانتهي فى رحلة تطوره مع القصيدة (كان السجع وما يحمله من معادلة الفقر والتزام الايقاع في كلام الانسان أول الميل لى التغني به كما شاهد ذلك في صغار الصبيان ، فيظن أان متغنيا بسجع قع له سجعتان متوازنان وزنا سهلاً ، (قيل ان الرجز) فاعجبه ذلك ومضي فيه ، وتمت له قطعة من الشعر ، راقت من سمعها وحاكوه فيها ، وتغنوا بها فكان من ذلك المقطعات ، الاراجيز القصيرة يحدون بها الابل ويعددون بها المكارم ، ثم لما نمت ملكة الشعر فيهم ، واتسعت أغراضه امامهم نوعوا الاوزان وأطالوا القوافي وقصدوا القصيد) . (٣)

ونستطيع بشيء من الرصد التاريخي أن نجد فى أغاني الحداء واغاني حفر الآبار وأناشيد الجهاد الحماسية وتلبيات قدامي العرب فى الجاهلية ما يمثل الارهاصات المنطقية الاولي عند الوجدان العربي للتعبير عن هذه الظواهر بالكلام الموزون المنغم ، فمن تلبيات القبائل قبل الاسلام :

---

(١) مع الموسيقي ، د. فؤاد زكريا ، ص ٦٠ ، ط الهيئة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧١ م

(٢) السابق ، ص ٥٧ .

(٣) الوسيط في الادب العربي وتاريخه ، احمد الاسكندري واخرون ص ٤٣ .

* ليس من اليسير حسم قضية ابتداء الشعر العربي ونشأته من زمن محدد أو عصر معين ، ولكن من السهولة تحديد " نوع " الشعر العربي في اصوله الاولي انه بدأ وتطور غنائيا ، اما عن تحديد زمن نشأته =

لبيك حجا حقـــــا　　　　تعبدا ورقـــــا

ومنه ايضا :

لبيك عن سعـــــــد　　　　وعن بنيهـــــــا

وعن نساء خلفهـــــا　　　　تعنيهـــــــــا

ساري الى الرحمـــة　　　　تجتنيهــــــــا

وتنوعت مثل هذه المقطعات أو الأقاويل الشعريه القصيرة في الاغراض التي ذكرناها ، فكانوا ينظمونها في سرائم ليلا حداء وينظمونها في مناسباتهم وينشدونها حماسة في أيامهم وحروبهم ويرددونها رجزا في تلبياتهم وتهليلاتهم واستطاع رجاز القبائل ان يستوعبوا تلك الاغراض في لغة فصحي ميسرة تتردد علي الألسنة ، ومنه بعد ظهور الإسلام قول هند بنت عتبة في يوم أحد :

ان تقبلوا　تعانـــــق　　　　ونفرش النمــــــارق

أو تدبروا نفـــــارق　　　　فراق غير وامــــــق

وقال عبد الله بن رواحه بعد صلح الحديبية :

خلو بني الكفار عن سبيلـــــــه

يارب إني مؤمن بقيلـــــــــه

أعرف حق الله في رسولـــــــه [1] .

= ففيه التباين الواضح فى اراء القدامي ، وقد عزا بعضهم شعرا عربيا الى آدم ، بينما اورد اخرون قصائد غنائية عربية منذ عهد اسماعيل ، واستقراء ايام العرب وتاريخ القبائل ، حروبها وادابها (ويرجع الرأي) السائد بان الشعر العربي في اتم صورة يعود الي الفترات الزمنية التي سبقت ظهور الاسلام : انظر . مروج الذهب المسعودي ، جـ ١ ص ٦٥، الاغاني للاصبهاني جـ١٣ ص ١٠٤ ، المؤتلف والمختلف للامدي ، الفهرست لابن النديم ، المفضليات للمفضل الضبي ، الاصمعيات للاصمعي ، ومن المحدثين . تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ،في الادب الجاهلي د. طه حسين ، مصادر الشعر الجاهلي . د. ناصر الاسد وغيرها

(١) السيرة لابن هشام ، جـ ١ ص ١٥٥.

وعلى كل حال تسمى الارجوزة عند علماء العربية قصيدة ، يقول ابن رشيق تسمي الارجوزة قصيدة طالت ابياتها أو قصرت ولا تسمي القصيدة ارجوزة إلا أن تكون من أحد أنواع الرجز .. وليس ممتنع أن يسمي ما كثرت بيوته من شطور الرجز ومنهوكه قصيدة وقد خص الناس باسم الرجز المشطور والمنهوك وما جرى مجراها وباسم القصيد ما طالت أبياته لأن اشتقاق القصيد من قصدت الى شيء كان الشاعر قصد الي عملها علي تلك الهيئة والرجز مقصودا ايضا الى عمله كذلك .

فالرجاز شعراء عند العرب وفي متعارف اللسان ، وكان العجاج وابنه رؤبة يرجزان ومثلهما جرير والفرزدق ، وحميد والأرقط والعماني .. وليس يمتنع الرجز على المقصد امتناع القصيد على الراجز[1] ومن يرجع الى مدلول الكلمات التى عبر بها الشعراء القدامي عن الغناء والترقيص فى اشعارهم لمجزوءة يجد بعضها " يدل علي ضروب من الحركات الجسمية كما يدل على ضروب من الشعر والهزج الذي يذكره اسحاق الموصلي يطلق على نوع من الغناء كما يطلق على نوع من الحركة الجسمية السريعة ، ومثله الرمل وكانوا يطلقونه على من يهز منكبين ويسرع في حركته وفي ذلك ما يدل على اقتران الغناء بالرقص من جهة ، وما يدل على اقتران الرقص بالشعر من جهة اخرى)[2] ومهما يكن من شيء فإن المنابع الاولي للأشعار القصار القديمة بخاصة فن الشعر بعامة تعود الي منابع الإيقاع الموسيقي والحركي في البيئة الجاهلية من ناحية وإلي الغناء من ناحية ، فالايقاع منبه للحواس ومثير للخيال ، والغناء ميل غريزى فى الطبيعة البشرية ، ومن هنا (كان تاثير الغناء في موسيقي هذاالشعر الغنائي أوسع من تاثيره في معنيه)[3] وبالامكان القول كذلك أن الأداء الحركي في الحرب وأغاني العمل وعند الحداء من ضبط الحركات وتنظيمها في تشكيل مرتب هو الذي تناغم في جانب آخر مع بداية ميل الانسان للغناء علي ضربات المغنين وإيقاعات الراقصين وبالتالي نشأ الوزن والايقاع * فـــي

---

(١) العمدة ، لإبن رشيق ، صص ١٣٠ – ١٣٢ .

(٢.٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د. شوقي ضيف ، ص ٤٨ – ٧٠ .

* نشأ الشعر فيما يري ابن رشد بسبب ميل الطبيعة البشرية الي الانسجام والايقاع فيذكر · ان السبب المولد للشعر في قوة الانسان ، شيئان · احدهما الالتذاذ بالمحاكاة واستعمالها منذالصبا (فوجود التشبيه والمحاكاه للانسان بالطبع من اول ما ينشأ ، اغني ان هذا الفعل يوجد للناس وهم اطفال وثانيهما التذاذ الانسان بالوزن والالحان اي الانسجام والايقاع ، انظر تلخيص كتاب ارسطوفي الشعر لابن رشد ، بتحقيق محمد سالم ص ٦٩ – ٧٠ ط القاهرة ١٩٧١ وفن الشعر د ، عبد الرحمن بدوي .

الشعر . وإذا كانت بذرة السجع ** في تربة الأدب العربي القديم أنبتت مع غيرها فن الشعر بتطور اشكاله وأوزانه ، فإن علماء اللغه نهضوا بمهمة تقعيد القواعد للشعر تمييزا له عن النثر وعن الفقرت المسجوعة (فالنثر والشعر يستخدمان نفس الكلمات نفسها والتراكيب النحوية نفسها ، والاصوت نفسها ، ولكن مع اختلاف في الاستثارة والتنسيق) [1] لاجرم أن الخليل ابن أحمد هو الرائد في مجاله يوم التفت الى تقعيد بحور الشعر العربي وأوزانه ل وتأصيلها في علم العروض – ليحدث والآن –التنسيق أو النظام العروض الذي يميز الشعر عن النثر ، يقول ابن خلكان في ذلك (معرفة الخليل صاحب العروض بالايقاع هـــي التي أحدثت له علـــم العروض) [2] .

وقد يقول قائل ما علاقة رصد عناصر الايقاع بتتبع نشأة ومفاهيم الاشعار القصيرة في ادبنا العربي القديم .ان الاجابة عن تلك المقولة تكمن فى العلاقة الوثيقة بين عالم الطفل المولع بالايقاع وبين الكلام الموزون المنغم الموقع وبالتالي فإن تتبع تعريفات الايقاع الصوتي والحركي ، وما صاحب هذا الايقاع من الغناء كلام موزون يتفق كما ألمحنا مع العالم الاثيرى للطفل من ناحية ، ويعمق من فكرة وجود إرهاصات لمعايير فنون الطفل الشعرية في تراثنا الأدبي القديم ومن أهمها أغاني الترقيص ، والأشعار القصار من ناحية أخري وتكاد تتفق رؤية المؤلف في هذه الناحية مع رؤية " بول فاليرى حول الشعر والفكر فيذكر : (..وما أن يتعلم الطفل استخدام قدميه حتي يكتشف أنه لايمكن السير فحسب بل الجرى أيضا و وليس الجرى

** يميل المؤلف الي تخريجات القدامى بان التشكيل الموسيقي والعروضى للاشعار القصار في الادب العربي القديم تخلق بدايةً بين حنايا النثر المسجوع الذي نما الي الكلام موزون وهي اسجاع تختلف في بنيتها عن النثر الفني الذي نجده في المقامات والخطب ، وكتاب العلاد ٤ ابن فارس الرازي ـ –٣٩٥ هـ) الاتباع والمزاوجة (نسخة مخطوطة بادر الكتب المصرية برقم ش لغة) مثلا لاسجاع الكلام الموزون ، قال في مقدمته - وتحريت ما كان كالمقفي وتركت ماختلف رويه ، أما فن الشعرفقد اكتملت صورته بتقعيد عروضه واوزانه فالعرب توهموا اعاريضة وضروبه وقوافيه في زمن الجمع والتدوين في القرون الهجرية الاولي .

(١) مجلة فصول ، مقالة الشعر والفكر المجرد ، بول فاليري مج ٧ ، ع ٢/١ ص ٣١٤ اكتوبر ١٩٨٦ .

(٢)وفيات الاعيان ، لابن خلكان جـ١ ، ص ١٧٢ .

والسير فقط ، بل الرقص وعندما يكون وحيدا "سيردد علي نفسه ما يحب من كلمات ، وهكذا فبالتوازى مع السير والرقص ، يكتسب الطفل ويميز نمطـــي الكتابة المتعارضين : النثر والشعر) . [1] .

وقديما قال ابن رشيق القيرواني وكلام العرب نوعان منظوم ومنثور . لكل منهما ثلاث طبقات جيدة ومتوسطة ورديه ، فإذا اتفقت الطبقتان في القدر وتساوتا في القيمة ولم يكن لأحدهما فضل على الأخري كان الحكم ظاهرا في التسمية لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة [2] .

والظاهر ن مقولة صاحب العمدة هو الميل الى تفضيل الشعر على النثر (*) لكن الذي نرجحه من استقراء تلك المقولة هوالتفاوت في مراتب المنظوم والمنثور . والذي يهمنا : مراتب الشعر ، فالشعر الجيد وهو في أعلي الطبقات ' ثم اوسطه ' فضعيف في آخر الامر .

وليس هناك خلاف علي أن الشعر الذي قصده في أعلي مراتب الشعر يمكن أن نطلق عليه شعر العربية الموجه للكبار بمستوياته الصحيحة الفصيحة لغة وتشكيله المعمارى عروضا وأوزانا ، والمضمون المحكم في أفكار قصيده ، أما " ردية " فمن الضعف بحيث يتضمن الاغلاط التي نقيس بها الاحكام على أى شعر راق . فهى أشعار ردية لأن بها اغاليط لغوية أو عروضية ، أوشابها فساد أو ضعف في المضمون ، وتبقي الطبقة المتوسطةمن الشعر فهي ليست بشعر ردىء أو من شعر الطبقة العالية وإنما تقف بينهماموقف القصد والاعتدال في المستويين : اللغوى والفني . ولا يمكن الجزم بعبارة ابن رشيق حول الشعر والنثر ، وإنما عني بالضرورة عند المساواة بين النوعين النثر والشعر ، اذ يحسب للشعر التميزعن النثر .

وتحليل مقولة ابن رشيق يفصح لنا عن امكانية وصف شعر الطفل الموروث بأنه يندرج تحت المرتبة الوسطي من المراتب التى حددها ابن رشيق فاللغة سهلة ميسرة ، والبحور قصيرة ، والاوزان خفيفة ، ولا يمكننا القطع بأن المضامين أوالغايات في شعر الطفل ومقطوعاته القصار تحمل الأغلاط ، لأنها مضامين تربوية ووجدانية مقاصدها التعليم والتهذيب والتسلية والمتعة الروحية .

---

(١) مجلة فصول ، المرجع السابق ، ٣١٤ مقالة الشعر والفكر المجرد ص ٣١٤ .

(٢) العمده في صناعة الشعر ، ونقده ، لابن رشيق ، ص ١٥

* اختلفت آراء النقاد القدامي حول تفضيل ايهما علي الاخر ،انظر مقدمة شرح ديوان الحماسة المرزوقي ، جـ ١ ص ص ٧ - ١٣ لجنة التاليف والنشر ١٩٦٧ م

كما لا توجد غالبا فى الأشعار القصار الألفاظ الوحشية أوالرموز المستغلقة وإنما ينساب البيان فى عقل الطفل ومخيلته في سهولة ويسر ، وقديما قال ابوالحسن الرماني في معني البيان : (البيان هو الكشف عن المعني حتي تدركه النفس من غير عقله وإنما قيل ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل ولا يستحق أسم بيان) (١) .

أما عبارةابن جني التى أوردها كتابه الخصائص (قوة اللفظ لقوة المعني) فتعني أن المعاني في الشعر يمكن أن تكون بمثابة وعاء يحمل أفكار الشاعر ومقدرته علي التحليق وإعمال الخيال والايحاء والرمز ، إذا فالمقطوعات الشعرية القصيرة المناسبة للأطفال لا تحتمل الأحكام التى نطلقها علي القصائد المحكمة (شعر الكبار) في طبقته العالية وفي مستواه اللغوى الخاص به .

ويعلق الدكتور شوقي ضيف أهمية كبرى على فن الرجز بأنه أصبح يتناول (كل) ما تتناوله القصيدة من موضوعات ، والتعميم الذي ذكره الدكتور شوقي ضيف (بكل ما تتناوله القصيدة من موضوعات) لايمكن القطع به ، لان الفروق البنائية والمضمونية بين الأشعار والاراجيز تثبت عكس ذلك . إذ المادة اللغوية البنائية للأرجوزة بسيطة وقصيرة فلا تحملّ بالتالي كل الأفكار والمضامين التي يقصدها الشعراء . يقول د. شوقي ضيف " وتعهد الرجاز فن الرجز ، حتي اصبح لا يقل عن فن القصيد أهمية ، فالارجوزة لم تعد ابياتا معدودة تنشد فى الحروب أو في الحداء أو فى الغناء أثناء العمل بل أصبحت تتناول كل ما تتناوله القصيدة من مضوعات وطالت طولا مسرفا) (٢) .

فالاراجيز لا تحمل في بنيتها مقدمات الشعراء فى مطالع قصائدهم كالتشبيب والنسيب والطلل كما لا تحتمل الاراجيزمثلا تنوع الأفكار عند الشاعر في الانتقال من المقدمة الطللية الي الغزل ، وما يصاحب ذلك من ذوق مميز للقصائد .

. أما الأشعارالقصار فأهم ما يميزهاالتجزئة . وقد عاد د. شوقي ضيف ليوكد الفكرة الأخيرة في ذات المؤلف فيذكر "..وليس من شك في أنه(الرجز) شعر، وغاية ما في الامر أنه كان يقترن بضروب كثيرة من الغناء في الحماسة والحروب والسقي من الابار ، كما يقتـــــرن

---

(١) العمدة ص ١٦٧ .

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي د شوقيضيف ص ٣٥

بالحداء فكثر الحذف فيه وكثرت التجزئة والأضطراب) [1] .

بقي الاشارة الى ارتباط الشعر العربي (رجزه وقصيدة) بالغنائية Lyricsm قال حسان بن ثابت :

تغن بالشعر اما انت قائلـــة   إن الغناء لهذا الشعر مضمـــار

فهو في جملته شعر غنائي مهما تعددت أشكاله وتنوعت أوزانه ، وكثرت أغراضه ، وقد المح ابن خلدون إلي اقتران الشعر بفن الغناء فيذكر : (وكان الغناء في الصدر الاول من اجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر اذ الغناء انما هو تلحينه [2] وشعرنا من هذا الجانب شعر غنـــــائي Lyricsm الى جانب الموسيقي الداخليه والخارجيه به . فالموسيقي تضفي على الشعر الايقاع والانتباه وتزيد من قدرة الألفاظ على التعبير والتأثير . والتقط الذوق العربي عنصر الموسيقي في الشعر وراح يتعهدها بالابداع والدرس والتأليف ، ومن الثابت أن استمتاع الطفل بالكلام الموزون في شكل منظومات غنائية بمثابة نتاج ادبي مألوف في التراث العربي ، وقد توفر على تلك المقطوعات الشعرية بالتهذيب والتدوين والانشاء طبقة من المعلمين والمؤدبين والرجاز ، وفي جانبآخر كانت المربيات والجوارى والأمهات والجدات يلقن الصبية تلك المنظومات الخفيفة بحيث كانت تلائم تلك الاشعار القصار القديمة عقل الطفل وإدراكه مما حقق المنفعة والمتعة ، فاقتران المنظومات الشعريه بالغناء يفسر لنا اتكاء الشعر على الغناء ، والعكس صحيح ، سواء في الاراجيز أو القصائد يقول د. طه حسين (.. ولم نشهد في لغتنا العربية الي الان فيما يظهرغناء اعتمد على النثرونن الشعر وإنما الغناء العربي كله يعتمد على الشعر مهما يكن نوع النظم الذي يلجأ اليه . . ووزن الشعر العربي ، إنما هو أثر من أثار الموسيقي والغناء ، فالشعر في أول أمره غناء ، ومن ذكر الغناء فد ذكر اللحن والنغم والتقطيع) [3] فالايقاع الصوتي والنغم الموزون من القسمات الجوهرية في أصول شعرنا العربي ، وهذا لا يقلل من قيمة الشعر العربي فهو في جملته شعر غنائي ، يتغني به الرجاز والشعراء في مقطعاتهم الشعرية أوقصائدهم الطوال ، لأن الأهم فـي غنائية الشعر العربي جودتـــه فـي التعبيـــر والتأثـــير

---

(١) السابق ، ص ٥٢ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، لابن خلدون ، ص ٥٢٣ ، دار الشعب د ت

(٣) في الادب الجاهلي ، د. طه حسين ، ص ٣٢٤ دار المعارف ١٩٨٤

ى حياة الجماعة أو الأمة وتقاس جودة الشعر فى أدب أى أمة بأنه أجاد أولم يجد ن سياق استقراء خصائص النوع الذى اشتمل عليه

إن إزدراء أشكال التعبير الشعرى للأطفال غلولا يلائم الباحثين عن العلم وشطط لا يدل علي اصابة كبد الحقيقة . فالثابت علي سبيل الاستشهاد - أن القصائد الطوال المعروفة " بالمعلقات " بمضمونها وبنيتها لا توافق ذهنية الطفل وإدراكه ، وهي من روائع فن الشعر العربي القديم ، لأسباب تتصل باشكالية النمو اللغوى والمعرفي عند الطفل وهذا يدلنا على أن الاشعار القصار القديمة ذات البحور الخفيفة بمضمونها وبنيتها اللغوية السهلة ، وايقاعها الموسيقي المنغم أقرب الي ذوق الطفل وفهمه من القصائد الطوال الجاهليات التى أشرنا إليها .

إن الفروق بين عقلية الكبار والصغار ودرجة الإدراك عندهما ، هما الرائد أمامنا الأحكام التي نطلقها عليها عندما نريد التمييز بين فن الشعر : (شعر للكبار أم في شعر للأطفال) . وبعد : فإن اهازيج الطفل وترقيصه بالأبيات الشعريه المجزوءة في مقطوعات شعريه قصيره، سهلة لها أهميتها وتأثيرها في استثارة الميول الوجدانية عنده ، بسحر الإيقاع والغناء بالكلام الموزون *

الترنيمات الغنائية :

أغاني الترقيص أو الترانيم الغنائية للطفل لها جذورها فى الأدب العربي الرسمي : كما وجدت الأشكال الشعبية من أغاني الاطفال المصاحبة لالعابهم في الادب الشعبي غير ان تلك الأغاني الشعريه خضعت لتغييرات بنائية علي وجه الخصوص فى أدبنا الشعبي الموروث لأن سمة التغيير بالحذف والتعديل أو الاضافة في أسلوب ومادة الأدب الشعبي من ابرز خصائصه الدالة عليه .

وهذه الترنيمات الغنائية تجدها فى أمهات كتب اللغة والأدب عند العرب (فترقيص الصبيان بالغناء والكلام الموزون من طبائع الانسان أني وجد ، وكان من الخصال الحميدة التـــــى

---

* يميل المؤلف الى الرأي القائل . (... نحن نسلم بالتقسيم الذي اتخذه بعض الفلاسفة بين الاغاني ، ونميزكما فعلوا بين الغناء الادبي ، والغناء الحماسى ، والغناء الشهوي ...).

انظر السياسة لأرسطو ترجمة احمد لطفي السيد ، ص ٣٠٥ ، ط القاهرة ١٩٤٧ م

يتوخونها(العرب) لتربية الطفل وتهذيبه ، ترقيص الطفل بالمقاطع الشعرية) [1] وأغاني ترقيص الطفل تعد في ضوء ذلك من الاشعار القصار أو الاشعار المقطعية ، ولأن الغناء للطفل يجيء دائما بالكلام الموزون المقفي ، فان طبيعة التلقي عند الصغير تحتاج الي وزن عروض من نوع مميز له ، وقافية سهلة أهم ما يميزها موسيقية الايقاع النغمي والصوتي . ولذلك تلائم البحور المجزوءة هذا اللون من الشعر الغنائي المقطعي ، فهو إذا علي قصر بحوره وقصر مقطعاته الشعرية من الوحدات الموزونه المقفاه وهذه الوحدات أهم ما يميزها أستخدامها بحر الرجز في قافية مزدوجة .

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول بأن كتب اللغة والأدب والأخبار والسيرة غاصة بالاشعار القصار ، أوالترنيمات الشعريه القصيرة ، المقرونه بالغناء والايقاع والكلام الموزون .

والصفحات التالية من هذا المبحث تعرض لما انتخبناه من تلك المقطعات الشعريه ذات العلاقة بالطفل من فترة المهد الى ان يبلغ الحلم فالنشيء الصغير بحاجة الى التطريب والتهذيب وإستثارة وجدانه وفي ذلك يقول الشاعر . [2] .

ياسائلي عن أدب الخبـرة	أحسن فيه أدب العشــرة
كم من فتي تكثر آدابــــه	أخلاقه منعلمه صغـــــره

وقال أهل الطب أن الصوت الحسن يجرى في الجسم مجرى الدم في العروق فيصفوا له الدم وتنموا له لنفس ويرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتي يرقص ويطرب [3] والطفل ميال بطبيعته الى الاستجابة للتغني علي أصوات الكلام المنغوم ، ويميل كذلك ويطرب لسحر الإيقاع الموزون ، خاصة مما يصدر عن أمه في فترة مهدة من كلمات الهدهدة (تهنين الطفل بالكلام الموزون في ايقاع منغوم) .

ونحن نعرف الأسلوب الذي تستخدمه الأم مع صغيرها وهي تربت على صدره بيد حانية وكلمات رقيقة فهي تستخدم اذا الحركة الموقعة المرتبة المرة تلو المرة ، مع الكلمة المصاحبة للحركة في اسلوب شعري بسيط ومنغوم وهي فيما اعتقد أول علاقة للطفل مع الشعر الــــذي

(١) الغناء للاطفال عند العرب ، د احمد عيسي بك ، المقدمة ، ط بولاق ١٩٢٦ م.

(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، للبطليوسي ، تحقيق مصطفي السقا د حامد عبد المجيد جـ ١ ط الهيئة المصرية العامة لكتاب ، ١٩٨١ م

ينمو ويتطور مع الطفل بتطور مراحل نموه ، ثم تتولد من بعد أغاني الترقيص القصيرة والتي يعقبها النشيد والمقطوعة الشعرية ، فالأم بفطرتها هي المنبع الأول لأغاني الطفل في فترة المهد فهي حاضنته ومربيته والمؤدبة له .

مختارات من أغاني ترقيص الطفل في التراث :

كانت الشيماء أخت رسول الله (ص) من الرضاعة ترقصه فيمهده وتقول [1]

هذا أخ لي لم تلده أمـــي

وليس من نسل ابي وعمــي

فانمه الله فيما تنمـــــــي

وقال الحسن البصري يرقص ابنه : [2]

يا حبذا أرواحه ونفســـه

وحبذا نسمــه وملمســـه

والله يبقيه لنا ويحرســـه

حتي يجر ثوبه ويلبســـه

وضم العباس بن عبد المطلب ابنه الى صدره يوم فتح وانشده :[3]

ياقثم ياقثـــــم يا شبه ذي الكـــــــرم

دخل رســـــــول الله (ص) على عمه الزبير بن عبد المطلب وهو صبي فأقعده في حجرة وقال : [4]

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ، للابشيهي ، جـ١ ، ص ١٤ .

(٢) الغناء للأطفال عند العرب ، د. احمد عيسي بك ، ص ١.

(٣) السابق ، ص ٨٩ .

(٤) طبقات ابن سعد ، جـ ٤ ص ١٠

محمد بن عبـــــــدم عشت بعيش أنعـــــم وبولة ومغنـــــــم

في فرع عز أسنـــــم مكرم معظـــــــم ردام سجيس الازلم

ومنه ترقيص العباس وهـــــو يومئذ صبي ، أنشد الزبير بن عبد المطلب يقول لأخيه العباس : (1)

إن أخي عباس عف ذو كـرم فيه عن العوراء ان قيلت صمـــــم

يراتاح للمجد ويوفي بالذمـــم وينحر الكوماء في اليوم الشيـــم

أكرم بأعراقك من خال وعـــــــــم

وعندما دخل ضرار بن عبد المطلب علي أخيه الزبير وكان أصغر من العباس بن عبد المطلب قال يرقصه شعرا : (2)

ظني بمياس ضرار خير ظـــن أن يشترى الحمد ويغلي بالثمـــن

ينحر للأضياف ربات السمـــــن ويضرب الكبش الباس ارحجـن

ومما يروي عن الزبير بن عبد المطلب ترقيصه (المغيث) أحـد ابناء جاريته ، فانشده مؤدباً .(3)

وإن ظني بمغيث أن كبـــــــر إن يسرق الحج إذا الحج كثـــر

ويوقر الاعيارمن قرف الشجـر ويأمر العبد بليل يعتــــــــذر

ميراث شيخ عاش دهراغير حر

واشتهر الزبير بترقيص أولاده وأخوته وأبناء أخوته على نحو ما ذكرنا وقد دخلت عليه أبنته أم الحكم وهي يومئذ صغيرة فقال : (4)

(1) الغناء للاطفال عند العرب ، د. احمد عيسي بك ، ص ٢-٣

(2) السابق ، ص ٢٢ - ٣٢

(3) السابق ، ص ٢٥

(4) الامالي ، لأبي علي القالي ، جـ٢ ، ص ١١

يا حبذا أم الحكــم كأنها رميم أجـــــم

يابعلها ماذا يشــم ساهم فيها فسهــم

وكان عبد المطلب بن هاشم يرقص ابنه الزبير فيقول :

يابأبي يابأبي يابأبـــي * كأنه في العز قيس بنـــعدي

في دار قيس ينتدى أهل الندي

ومنه أن أم عمر بن شبه كانت ترقص ولدها وتقول : (١)

بابا وشب وعاش حتـــي دب شيخا كبيرا أحنـــي

وقريب منه مدح الحسن البصري لابنه والدعاء له بأغاني الترقيص قـــول اعرابي يرقص ابنه : (٢)

ياحبذا روحه وملمســـه أملح شيء ظلا وأكيســـه

الله يرعاه لي ويحرسه

وقال رجل يرقص ابنه :

والله ما أشبهني عصـــام لا خلق منه ولا قـــوام

ومنه قول اعرابي يرقص ابنته في مغزى حب أسرى صاف : (٣)

بنيتي ريحانة اشمهـــا فديت بنتي وفدتني أمهـــا

وفي محاضرات الأدباء للراغب هذه الترنيمة التى تروى على لسان اعرابية ترقص ابنة لها فتقول : (٤)

(*) الفهرست ، لابن النديم ، ص ١١٢ ، (البابا ، ممدود ترقيص المرأة ولدها تناغيه بهذا الكلام ، بابا الصبي ابوه اذا قال له بابا)

(١) الفهرست ، لابن النديم ، ص١١٢.

(٢) محاضرات الادباء ، للراغب الاصفهاني ، جـ١ و، ص ١٥٦

(٣) السابق ، ص ١٥٧ .

(٤) السابق نفسه

وما علي أن تكون جاريــــة	تكنس بيتي وترد العاريــــة
تمشط رأسي وتكون الغاليـة	وترفع الساقط من خماريــة
حتى اذا ما بلغت ثمانيــــة	رديتها ببردة يمانيـــــــــه
زوجتها مروان أو معاويــــة	أمهار صدق ومهور غاليــــة

ووردت اغنية الترقيص السابقة برواية مختلفة وناقصة في كتاب المستطرف للأبشيهي : " تزوج أعرابي بامرأتين فولدت أحدهما جارية والاخرى غلاما فرقصته امه يوما وقالت معايرة لضرتها :

الحمد لله الحميد العالــــي	أنقذني في العام من الجوالــــي
من كل شرها كشن بالــــي	لا تدفع الضيم عن العيــــال

فسمعتها ضرتها فاقبلت ترقص ابنتها وتقول :

وما علي أن تكون جاريــــة	تغسل رأسي وتكون الغاليه
وترفع الساقط من خماريــــه	حتي اذا ما بلغت ثمانيــــة
أزرتها بنقبة يمانيه انكحتهـا	مروان أو معاويــــــــــة

أصهار صدق ومهور غالية (١)

وشهدت البيئة العربية في العصر الجاهلي في ظل الحضارة الأسلامية رواجا كبيرا لأغاني ترقيص الطفل أو أغاني المهد ، وكانت هذه الامهودات الشعرية صورة دقيقة للحياة الاجتماعية والنفسية ، ومما يروي في ذلك أن أمرأة كانت ترقص أبنتها وتناغيها وهى تومىء بالحديث إلي زوجها ، وكان يدعي أبا حمزة الضبي وقد هجرها لانها لا تلد الذكور ، وتصادف أن مر بخباء امرأته يوما فوجدها ترقص ابنته بكلمات منغومة ، فيها عتاب رقيق لزوجها وهددة لطيفة لابنتها وعندما سمعها تقول :

---

(١) المستطرف من كل فن مستطرف ، للابشيهي ، جـ ٢ ، ص ١٠ - ١١.

ونحن كالارض لزارعينـــا تنبت ما قد زرعوه فينـــا

دخل البيت الذي كان قد هجرة واعتذر لزوجه وقبل ابنته وهويستعيد من زوجته قولها :

ما لابي حمزة لا يأتينـــا يظل البيت الذي لينـــا

غضبان ألا نلد البنينـــا تالله ..ماذلك في أيدينـــا

وأنما نأخذ ما أعطينـــا ونحن كالارض لزارعينـــا

تنبت ما قد زرعوه فينا *

فهذا الشعر يدل علي أن هذه الاعرابية قد رزقت بنتا فغضب عليها زوجها وهجرها الي بيت قريب منها ، ويدل علي ضرب من المعاملات ، وعلي أحوال الاجتماع وعلي ما للمرأة من رقة الاخلاق ولين الجانب قالوا ولما سمع زوجها هذا النشيد هم بتقبيلها هي وابنتها ، فكان ذلك سبباً لرجوعه الي زوجته) [1] ومنه ما يرويه أبو الفرج في الاغاني : (تزوج أبو نخيلة امرأة من عشيرته ، فولدت له بنتا ، فغمه ذلك فطلقها تطليقة ثم ندم ، وعاتبه قومه فراجعها ، فبينما هو في بيته يوما اذا سمع صوت ابنته وأمها تلاعبها ، فحركة ذلك ورق لها ، فقام اليها فاخذها وجعل ينزيها ، ثم انشد يرقصها بالغناء :

يابنت من لم يك يهوي بنتـــــا

ما كنت الا خمسة أو ستـــــا

حتي حللت في الحشي وحتـــــي

فتت قلبي من نجوى فانفتـــــا

لانت خير من غلام انتـــــأ

يصبح مخمورا ويمسي سبتـــــا [2]

---

* تتفق أمهودة الترقيص التى تغنت بها المرأة العربية مع النتائج الطبية المعملية المعاصرة التى تؤكد مسئولية الرجل فى تحديد النوع الانسانى

(١) البيان والتبين ، للجاحظ ، جـ ١ ص ١٠٤

(٢) مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، د. احمد ضيف ، ص، ٦٥ – ٦٦

والملاحظ في هذه المقطوعة فطنةالراجز لأهمية عنصر الالحاح في الحنو بتكرار الالفاظ في ايقاع جميل مما يلذ له الطفل ، وهي امهودة طريقة اشترك فيها الاب والام في تناوب منهما لترقيص اينهما ، قال قيس بن عاصم الصحابي يرقص ولده (حكما) :

أشبه أبا أمك أو أشبه عمـــــل   ولا تكونن كهلوف وكـــــــل

يصبح في مضجعه قد انجـدل   وأرق الي الخيرات زنا في الجبل

فردت ام الصبي علي ابيه ترقص ولدها :

أشبه أخي أو أشبهن أباكـــــــا

أما ابي فلن تنال ذاكـــــــــا

تقصر أن تناله يداكـــــــــا [1]

يقول قيس ابن عاصم لابنه حكيم في الامهودة السابقة : " أشبه أبا أمك أو أشبه خالك " عمل " فترد عليه زوجا منفوسه بنت زيد الفوارس وهي ترقصه وتقول له : أشبه أخي أو أبه أباك أما أبي فلن تشبه بحال .

وكان الزبير بن العوام يرقص ولده ويقول: [2]

أزهر من آل أبي عتيـــــــق

مبارك من ولد الصديـــــــق

الذه كما الذ ريقـــــــــي

ومما يروي أن أعرابية كانت ترقص ولدها وتقول : [3]

---

(١) الاغاني ، للاصفهاني ، جـ١٠ ، ص ٤٠٨ ، طـ الهيئةامصرية للكتاب .

(٢) الغناء للاطفال عند العرب ، د. أحمد عيسي بك ، ص ٥٥ – ٧٧ ٤.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ٧٨ ، والمستطرف في كل فن مستطرف ، بنفس الرواية بينما ورد هذا الترقيص في كتابه الغناء للاطفال عند العرب للدكتور احمد عيسي بتغيير طفيف (ابيض من آل بدلا من أزهر من آل).

يا حبذا ريخ الولـــد ريح الخذامي في البلـــد

أهكذا قل ولـــد أم لم مثلي أحـــد

والولد هو الثروة في جانبها البشري ، يقول أحد الإعراب في فخر بولده وهو يرقصه بالغناء :

أحبه حب الشحيح مالـــه

قد ذاق طعم الفقر ثم نالـــه

إذا أراد بذله بدا لـــبـــه (١)

مات أحد قطاع الطريق ، وترك بنيا رضيعا فجعلت أمه ترقصه وتقول :

ياليته ما قطع الطريقـــا ولم يرد في أمره رفيقـــا

وقد أخاف الفج والمضيقـا فقل أن كان به شفيقـــا

وقال اعرابي يرقص ولده . (٢)

أعرف منه قلة النعـــاس وخفة من رأسه لرأســـي

وكانت السيدة فاطمة بنت رسول الله (ص) ترقص ابنها الحسين بن علي وتقول

ان بني شبه النبـــي ليس شبيها بعلـــي (*)

ومن أقصر أغاني الطفل وأبلغها ترقيص رسول الله (ص) للحسن والحسين وفي الحديث أن النبي صلي الله عليه وسلم كان يرقص الحسن والحسين ويقول :

حزقة حزقـــة ترق عين بقـــة **

---

(١) الغناء للاطفال عند العرب د احمد عيسي بك

(*) السابق ، نفسه ويلاحظ أن " بني " و " بعلي" بالتخفيف لضرورة وزن الشعر انظر كتاب الغناء للاطفال عند العرب

** ومادتا بقق وحزق من لسان العرب لابن منظور

رجل حذق وحزقة قصير يقارب الخطو وحذقة مرفوع علي انه خبر مبتدأ محذوف تقديره أنت حزقة وحزقة الثاني كذلك أو خبر مكرر ومن لا ينون حزقة الأول أراد حذف بالنداء ، ترق بمعني أصعد أو أعل . عين بقة · ياعين البقة كناية عن الصغر لأن عين البقة صغيرة جدا ، فكان الحسين يرقي حتي يضع قدميه علي صدر النبي (صلعم) . قال ابن الأثير : ذكرها علي سبيل المداعبة والتأنيس له [1] .

ومنه هذه الأغنية الطريفة المقرونة باللعب وهي تدلنا علي مدي معرفة الأوائل باللعب ، وأهمية اللعب في حياة الطفل تقول الامهودة علي لسان أم مسعود بن عمرو وهي ترقص ولدها بهذه الابيات المجزوءة :

لامنحن بيـــه جارية في قبـــه تمشط رأس لعبـــه [2] .

فالمرأة العربية تعد وليدها الغض السمين (ببه) الممتليء نعمة بفتاة (عروس تنتظره) في خباء صغير ، وتلهو معه بتمشيط اللعبة والتمثال ومنه ما ورد في اللسان لابن منظور .

قالت هند بنت ابي سليمان ترقص ابنها عبد الله بن الحارث :

لأمنحن ببه جارية خديه مكرمة محسبـــة تحب أهل الكعبـــة

وقالت امرأه من قريش ترقص ولدها ·

أحبك والرحمـــــــــن حب قريش عثمـــــان إذا دعا بالميـــزان

ومما يروي نقلاً عن كتاب أنباء نجباء الابناء

مر عبد المطلب بن هاشم ذات يوم علي ولده العباس وهو يومئذ صغير يلعب مع اتراب له ، فسمع احدهم يتحدث بكلام قبيح ، وابنه العباس يقول له " ويت ربي لا لعبت معنا ، انك بذاء الشعر قؤول بالخناء . فاكب عليه عبد المطلب فاحتمله وجعل يرتجز ويقول

لم ينمي عمرو ولا قصـــــــــــي

ان لم يسود فتي لــــــــــؤي

(١ ، ٢) الغناء للاطفال عند د العرب د احمد عيسي بك ، ص ٨٢

واغنية الترقيص السابقة تعكس الرؤية الاخلاقية في التربية الاسلامية من جانب ، وتقدم لنا صورة اجتماعية لاجتماع الصغار حول اللعب من جانب آخر . وعندما ينموالطفل تنمو معه أغاني الترقيص ، في مادتها (لغة واسلوبا) وفي تغذية عقل الطفل ووجدانه بأفكار جديدة ، محورها تهيئة الصبي لمستقبل ينتظره فيصير رجلا قويا يدافع عن عشيرته وقبيلته ، فمادة الترقيص بالكلام الموزون تميل الي حمل مضامين الفخر في أغلب نماذجها ، علي عكس مضمون أغاني المهد التي عرضناها والممثلة لأغاني فترة المهد حيث تجنح الي تسلية الصغير وتطريبه واظهار عاطفة الحب الابوي نحوه أو وصف محاسنه الخلقية ومنه أن أم الأحنف بن قيس كانت ترقص ولدها الضحاك وتقول : (١)

والله لو حنف في رجلـــه ودقة في ساقه من هزلـــــه

وقلة اخفاها من نسلـــه ما كان في الحي غلام مثــــله

ومنه ايضا ما قاله اعرابي يرقص وحيدته .

كريمة يحبها أبوهـــــا مليحة العينين عذبا فوهـــا

لاتحسن السب وان سبوهـــــا (٢)

عرضنا في المبحث السابق صورة تراثية مجملة للشعر العربي حول الطفولة واستتبع ذلك تقديم عدة شواهد شعريه متنوعة لادبيات شعر الطفل ، أنشدها الرجاز والشعراء والاعراب ، والاباء ، والامهات حول الاطفال في أغراض مختلفة ، أو ما صدر عن الشعراء (في طفولتهم) من شعر يترجم لمرحلة الصبا التى انشأوا خلالها أبياتهم ومقطعاتهم الشعرية ، ثم عرضنا لجانب هام من جوانب شعر الطفولة المتمثل في أغاني ترقيص الطفل بالغناء الادبي في منظومات قصيرة طوع لها بحر الرجز ومجزوء البحور الشعريةالاخري وقد حرص منشئو هذه الاغاني الادبية للاطفال علي أهمية أشباع تلك الاغاني لعنصرى الانسجام والايقاع ، لما يحققانه من متعة وفائدة في تطريب الطفل وهدهدته بالغناء بكلام موزون له سحره وتاثيره عند الطفل كميل طبيعي وغريزي عنده ، وكان من الضروري ونحن نستقرى صورة الطفل في التراث

---

(١) محاضرات الادباء للراغب الاصفهاني جـ ١ ص ١٥٦

(٢) المعارف لابن قتيبة ، ص ٦٣

الشعري أن نسير أغوار نشأة الشعر بعامة والاشعار القصار بخاصة نظرا لعلاقة البحور القصيرة والمقطعات الشعرية بالطفل واغانيه واناشيده ولعل ما يثبت صحة ما رصدناه ما انشده ابو جعفر احمد اللماني الكاتب .. في الغناء والايقاع قوله :

غني وللايقاع فـــوق   بيان منطقة بيـــان

وكانما يده فم وقضيبه فيها لسان (1)

وقد أشرنا في عجالة الى وجود الاغاني الشعبية وبابات خيال الظل في تراثنا الشعي وهي علي اهميتها البالغة بالنسبة للطفل تحتاج الي بحوث مستقلة لدارسي الادب الشعبي ، وليس مجالها هذا البحث ، لذلك جاء رصدنا لمختاراتالشعر العربي ومناسبتهام وكذلك ازجال لاياتخيال لاظل بمثابة مادة خصبة للجمع والدرس الجامعي للباحثين في الادب الشعبي ، والنص الادبي المدون في الادب الرسمي لا يخضع للتغيير كما يحدث في الادب الشعبي ، ومنه ذلكم النص الذي يردده الاطفال بروايتين مختلفتين ·

أولاهما :

" حادي بادي .. سيدي محمد البغدادي .. ليلة الجمعة اوقد لك شمعة " .

والثانية :

" حادي بادي .. اعطيني مرادي .. ليلة الجمعة اشعلك شمعة " (2) .

فالنص علي ما به من جذور تراثية " الحادي من اغاني الحداء " و " البادي " من البدء والاستهلال . فان النصوص الشعرية في الأدب الشعبي تخضع في معظمها للتعديل تبعا للاستعمال جيلا بعد جيل . لذلك عرضنا الشعر الغنائي حول الطفل في الادب الرسمي ، علي نحو ما قدمنا من ترانيم ، تجمع بين التطريب والتهذيب ، وأشرنا الي صورة الطفل في الادب الوصفي من خلال القصائد المقطعية أو المقطعات الشعرية .

---

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام ، مج ٢ جـ ١ ، ص ٣٢ .

(2) مجلة التراث الشعبي ، ص ٨١ ، العدد ١٥ ، بغداد ١٩٨٧ .

ولكن الشيء الهام فيما يتصل برؤية العقل العربي الاسلامي تجاه تأديب النشيء وتعليمه ، ومدي انعكاس تلك الرؤية على ادب الطفل ، هو أن نطرح بشكل مؤقت عدم وقوف القدامي عند ادب الطفل بمعناه المستحدث كنوع ومصطلح " ادبيين " برغم وجود النتاج النثرى والشعري الخاص بأدبيات الطفل في بطون كتب اللغه والادب والاخبار علي نحو ما عرضنا من فنونه النثرية والشعرية نقلاً عن أمهات كتب واذا دلت هذه الفنون ذات العلاقة بالطفل علي شيء فانما تدلنا علي اصالة هذا اللون الأدبي ، وبالتالي فإن الاراء أو الأحكام التي تصدر حول هذا اللون الأدبي ، يجب أن يضعها أصحابهافي مكانها الصحيح ، فلا غرو إذا قلنا أن علماء اللغة والبلاغة والنقد في الحضارة الاسلامية لم يفطنوا الي تحديد مصطلح ما نسم به أدبيات الطفل أو أدب الطفل ، برغم وجود مادته في أدبنا الرسمي ، لذلك يعجب المؤلف من الرأي القائل بأن هذه الموروثات ليست في عداد أدب الأطفال ، يقول د. هادي نعمان الهيتي :

" ونجد في التراث الشعري العربي فيضا من المقاطع التي كانت تغني للأطفال عند تلعيبهم أو تنويمهم ومن بين هذا التراث ما هو أغاني مهد ترنمها الأمهات لأطفالهن عند تنويمهم ، وأغاني ملاعبة يرنمها الكبار للأطفال أثناء اللعب وقد أطلق مصطلح أغاني وترقيص الاطفال" علي هذا الموروث الشعري .. وهذه الموروثات ليست في عداد أدب الاطفال) [1] بالرغم من أن صاحب الرأي له اهتماماته بأدب الطفل واصدركتابا عنوانه : " أدب الأطفال ، فلسفته ، فنونه وسائطه " وأتبعه برصيفه " ثقافة الأطفال " فانه كمتخصص أكاديمي في الاعلام والاتصال الجماهيرى وقع في تناقض واضح في مقولته الآنفة . أليست الأغنيه الأدبية أو الترنيمة الغنائية بالكلام الموزون المقفي من المنظوم من الشعر ؟! (..بلي ولكنه لا يعدها من أدب الطفل) أو شعر الطفل ، ثم الأغاني أو الترنيمات في مرحلتي المهد أو الصبا ليست حكرا علي الأمهات فحسب ، وإنما رددها الرجاز والشعراء والأباء والأجداد وغيرهم للأطفال ، علي نحو ما قدمنا من مختارات في هذا الفصل ، ولصاحب الرأي أن يعود الي الجملة الاستهلالية التي بدأ بها مقولته : " ونجد في التراث الشعري فيضا من المقاطع .. " ليضع رأيه في مكانه ، وحسبه أن أطار جهوده المشاركة في التنظير لأدب الطفل أن له فضل يذكر في الألتفات لقضايا الطفل وثقافته في الأدب

(١) ثقافة الاطفال ، د. هادي نعمان الهيتي ، ص ٢٠٦ ، عالم المعرفة ، الكويت ، مارس ١٩٨٨ انظر كتابه " أدب الاطفال ، فلسفته ، فنونه ، وسائطه " طبع هيئة الكتاب (طبعة مشتركة مع دار الشئون الثقافية بغداد ، ١٩٨٦

الحديث ، وليست معني ذلك كله أن نهدم مفهوم القول الشعري في أدبنا العربي الذي يدور في أساسه حول المنظوم : وليس من شك أننا قد نختلف في القيمة الأدبية والفنية لهذا المنظوم من الشعر ، ولكن أشتجار الرأي لايمكن أن يهدم الأساس الفني للمنظوم من الشعر ، لأنه لو كانت أغاني أو ترنيمات الطفل في التراث الأدبي لا تحمل في بنيتها أوزان الشعر أو قوافيه لاصبحت مقولة د. هادي نعمان الهيتي مقولة سديدة ، ولكننا عندما نستقريء ما وصل الينا من أغاني المهد أو أغاني الترقيص بالترنيمات الشعرية الغنائية ستجدها قد نظمت بالكلام الموزون المقفي ، والمرجح في ضوء مناقشة رأي الباحث العراقي أنه يدلل بالرأى علي مصداقية رؤيته في أن أدب الطفل جنس أدبي من الأجناس الأدبية المستحدثة .

فلسفة أدبيات الطفل :

هناك أتـــجاهان جديـــران بالوقـــوف عندهما ، سبـــر بهما العقل العربي المسلم أدبيات الطفل :

أولاهما : (الاتجاه الديني):

وأهتدي رجاله بأقوال الرسول (صلعم) وأصحابه ،والخلفاء والأمراء وعلماء الحديث واللغه والأدب . وتتلخص رؤية اصحاب هذا الاتجاه ببدء بإكساب الطفل منهج ديني (**تحفيظ القرآن وبخاصة السور القصار منه ، ثم يحصل الطفل علي المنهج الأدبي واللغوي (اللغه والأشعار)** . وقد كشف هذا الباب في مباحث الفرعية غير مرة عن أهمية بدء تعليم الطفل وتأديبه بحفظ القرآن ومباديء علومه ثم ما حسن من الشعر ، نظرا لما في القرآن الكريم من أثر حاسم في تقويم اللسان وتنمية ملكة البيان وأستثارة الوجدان وحفز خيال النشيء لاكتساب المحصول اللغوي .

يقول ابن سينا (... فإن اشتدت مفاصل الصبي واستوي لسانه وتهيأ للتلقين ووعي سمعه : أخذ يتعلم القرآن ، وصورت له حروف الهجاء ، ولقن معالم الدين .. كما ينبغي أن يروي للصبي **الرجز ثم القصيد ، فإن روايته أسهل وحفظه أمكن ، لأن بيوته أقصر ووزنه أخف)** .

ومنه قول أبن بسام :

"...وأول ما ينبغي للمؤدب أن يعلم الصبي السور القصار من القرآن بعد حذقه بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل . ويدرجه بعد ذلك لمعرفة عقائد السنن ، ثم أصول الحساب ، وما

يستحسن في المراسلات والاشعار ، دون سخيفها ومسترذلها .[1] .

وأمتدت أثار هذا الاتجاه الديني الي العصور الحاضرة في الاقطار العربية والاسلامية . مع اختلاف في " الكم " أو أسلوب عرض " المنهج " المعمول به في كل قطر من تلك الأقطار .

والثاني الاتجاه (الادبي) :

وهو أتجاه متجدد في الحضارة الاسلامية ولا يتعارض مع الاتجاه الأول في غاياته جميعا - وإن إختلف في أساليب تحقيق تلك الغايات . ويأخذ أصحاب هذا الاتجاه بالمنهج التعليمي للطفل (المنهج التربوي) حتي يتعلم ويدرك بعد ذلك فهم ما يقرأ من القرآن ، ويبدأ أنصار الاتجاه الأدبي الديني منهجهم بتعليم الطفل مبادىء اللغه وقواعدها والتدريب علي الترسل ، وتلقين الطفل الشعر وروايته وإنشاده ثم ينتقل الطفل الى القرآن وعلومه فإنه يتيسر عليه بعد جرعة التعليم أو التلقين اللغويه والأدبية أن يفهم أو يحفظ أيات أو بعض السور القصار من القرآن الكريم ، ومن ثم يستطيع أن يدرك عقائد السنن والأخبار ، وقد شاع هذا الاتجـــــــاه (الأدبي الديني) الي العصور الحاضرة ، ولكن بدرجة اقل من تأثير الاتجاه (الديني الأدبي) نظراً لتقلص دور الطبقة الهامة من المؤدبين والمعلمين والمحفظين للقرآن من ناحية ، وأختلاف المنهج الترىوى المتكامل عند سائر الأمصار العربية والاسلامية .

بقيت مسلمة هامة نختتم بها الباب الأول من الكتاب مؤداها أن الشعر التعليمي يتوجه فيما يتوجه من مقاصد الي تحقيق الأهداف الوظيفية للأدب فالشعر التعليمي في منظوماته لا ينشد الجمال الفني في الشعر في قيمته الأدبية الفنية الراقية أو طبقته العالية ، وإنما يهدف الي أن يكتشف الطفل القيم التربوية والأخلاقية والوجدانية ، لذلك يحرص منشئو هذا الفن التعليمي علي ضرورة الابعاد عن الخيال التركيبي والأبهام أوالغموض المستغلق على ادراك الطفل ، ولا يضير الشعرالتعليمي انه يقوم علي النظم المحمل بالقيم والوصايا والمعارف أوالتسلية علي السنة الحيوان والطير وغيرها من المخلوقات . اننا نزعم بعد ذلك أن الشعـــــــر

---

(١) نهاية الرتبة لابن بسام . تحقيق وتعليق حسام الدين السامرائي ص ١١٧ ، نشر مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٨٧ م.

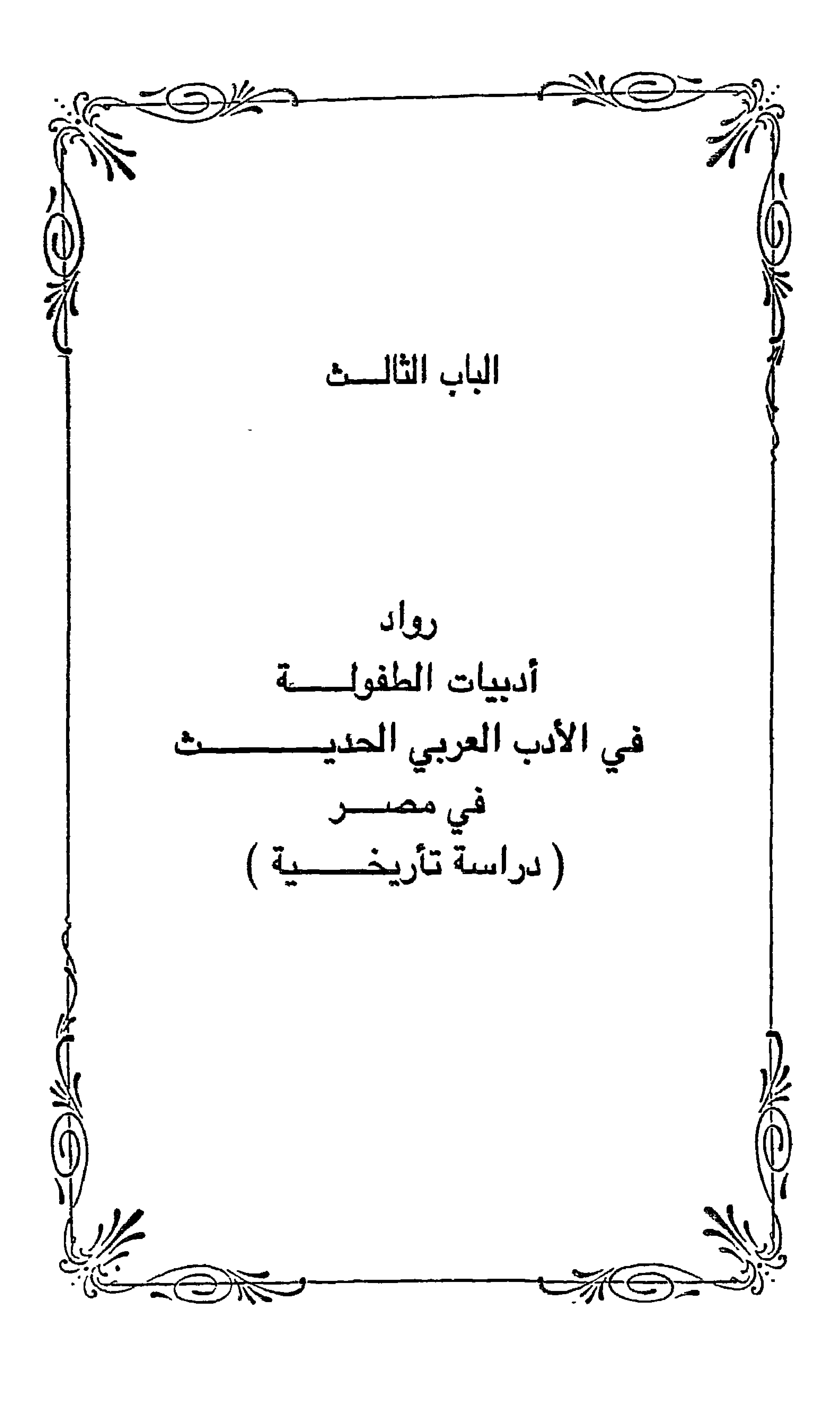
التعليمي له قيمتـــه في سياق مرحلة الطفولة Childhood التي يتوجه اليها ، فهو نظم لا ينشد الكمال الشعري أو الجمال الفني في قيمته الأدبية بقدرتحقيق المنفعة اللغوية والتعليمية ، وانما لكونه حقيقة واقعة تدرس وتقرأ كما قال د. طه حسين وهو يعرف هذا الشعر فيقول : (.. هو حقيقة واقعة تدرس وتستقرأ ، لامن حيث هو مثل أعلي يسمو اليه الشاعر والناقد ، وذلك لأن تاريخ الآداب مضطر الي أن يتناول بحثه الشعراء مهما يختلف حظهم من الاجادة ، ومهما تفاوتت طبقاتهم فهو يعرض للشعراء النابغين ، كما يقف عند الشعراء الخاملين ، وكمـــــا يعني بأواسط الشعراء .) [1] .

ان المدخل الى **أصول أدبيات الطفل في التراث العربي الأسلامي** ، تطلب الرصد اللغوي ، والأدبي للمفاهيم التي عرضنا لها بين ثنايا ما قدمناه آنفا ، فقد عبر الي أهمية مناقشة الفروق بين المفاهـــــــيم " التربويـــــة " والادبـــية لذلك الأدب بهدف الوصول الـــــى مفهوم أدب الطفولـة " Childrens'literature " وفي تعرض نماذج من الأنواع الادبية للصغار في مجال النثر بعامة والشعر بخاصة ، ومن ثم نستطيع أن نزعم آمنين بأن أدب الطفولة له جذوره التراثية في أدبنا ، برغم عدم التفات علماءنا ونقادنا الى هذا الجنس الأدبي ، وبخاصة عند محور المفهوم الاصطلاحي * له .

---

(١) في الادب الجاهلي ، د. طه حسين ، ص ٣١٢ - ٣١٣ ، ط ١٥ ، دار المعارف ١٩٨٤م.

* يبحث علم المصطلح في طبيعة المفاهيم ، وتكوينها وخصائصها والعلاقات فيما بينها ، وتعريفات المفهوم وكيفية تخصيص المصطلح للمفهوم والمصطلحية علم يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها انظر مقدمة في علم المصطلح ، د. علي القاسمي ، ص ١٧ ، ٢٠ بغداد ، ١٩٨٥م.



الباب الثالث

رواد
أدبيات الطفولة
في الأدب العربي الحديث
في مصر
(دراسة تأريخية)

أدب الأطفال في مصر في العصر الحديث *

يؤرخ العديد من الدارسين الذين تناولوا التأريخ لأدب الطفل لعام ١٨٧٥ م كبداية لنشأة أدب الطفل في الأدب العربي الحديث ، دليلهم أصدار " رفاعة الطهطاوي لكتابة الموسوم " المرشد الامين في تربية البنات والبنين .

بينما الترجيح الأقرب الي الصواب لميلاد أدب الطفل العربي يعود الي عام ١٨٧٠ م وهي السنة التي شهدت إصدار مجلة " روضة المدارس المصرية ؛ ولا يعني ذلك التاريخ الأخير أنه يقترن بصحافة أدبية فحسب وانما بصحافة متخصصة كانت تتوجه – يومئذ – في أساسها الي تلاميذ مدارس الديار المصرية وتهتم باللغة، ولأدب وبكتابات التلاميذ قدر اهتمامتها الثقافية أو المعرفية الاخري " اذ حافظت روضة المدارس علي اللغه العربية الفصحى ، فاتخذتها لغة أدائها ، ووسيلة تحريرها، وأختارت من كتابها وأعضاء مجلس تحريرها ، ونوابغ التلاميذ في المدارس والمعاهد من أستقامت لغتهم ، وسلمت عبارتهم " (١) .

ومما يؤكد أهمية الدور الذي لعبته مجلة " روضة المدارس " طبيعة دورها الثقافي بعامة والأدبي بخاصة ، بين جمهور تلاميذ المدارس المصرية دون توقف عن الصدور من عام ١٩٨٧٠م الي عام ١٨٧٧م ، وربما أهم دور قامت به المجلة هو توفرها علي أصدار الملاحق والكتب مع أعدادها (النصف شهرية) ، ومن بين تلك الاصدارات كان كتاب " كنز اللال في الحكم والأمثال " لأحمد بليغ ، فقد (شهد العدد الامن عشر من السنة الثانية من روضة المدارس " مولد ملحق لكتاب جديد هو (كنز الال في الحكم والامثال) من مترجمات أحمد بليغ ..وهذا الكتاب علي السنة الحيوان والطير ، وهو شبيه بحكايات لافونتين) (٢) ومن المعروف أن كتاب محمد عثمان جلال (١٨٢٨ – ١٨٩٨) الموسوم " العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ يعده كثير من الدارسين من أوائل كتب أدب الأطفال في مصر .

---

*لمزيد من التفاصيل انظر رسالة دكتوراه للمؤلف مخطوطة تحت عنوان : (شعر الطفولة فى الأدب المصرى الحديث قضاياه وإتجاهات رواده .. آداب بنها ١٩٨٦ م) قيد الطبع.. وقد الحق بها دراسة تاريخية لأدب الطفل الحديث في الأدبين العربي والأجنبي .

(١) مجلة روضة المدارس ، دراسة تحليلية ، محمد عبد الغني حسن د. عبد العزيز دسوقي ، ص ٦٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ م.

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٨

ولكن استقراء الفترة الزمنية التي ظهرت خلالها طبعة (العيون اليواقظ) تبعا لمقولة أوردها الشاعر عامر بحيرى في صدر الطبعة المحققة لها ع(ن طبعة عام ١٩٠٨) والتي يقول فيها علي لسان محمد عثمان جلال (أخذت أترجم في الاوقات الخالية كتاب العلامة الفرنسي الكبير لافونتين .. وهو من أعظم كتب الآداب الفرنسية المنظومة علي لسان الحيوان ، علي نسق كتب الصادح والباغم وفاكهة الخلفا .. وسميتها " العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ " ... فلما تم طبعها عرضتها على العزيز عباس باشا الاول .. فرمي كتابي في وجه حامله) [١] ومن الثابت تاريخيا ولاية عباس باشا الاول عرش مصر بين أعوام ١٨٤٩ – ١٨٥٤ م وفي ضوء تلك المقولة التاريخية يكون من المؤكد أن مؤلف " العيون اليواقظ " قد قدمه بعد أن أتم طباعته الي عباس باشا الأول وفي فترة ولايته ومع ذلك فهذه الرواية يدحضها العثور علي الطبعة الاولي من " العيون اليواقظ " وهي نسخة اصلية في حوزة المؤلف * يرجع تاريخها الي عام (١٣١٣هـ ١٨٩٤م) . ان اصدار " روضة المدارس المصرية " في عام ١٨٧٠ م ونشرها المواد الأدبية لطلاب والكتاب ، يمثل في ضوء ذلك مرحلة الريادة أو التأليف غير المسبوق في الكتابه الادبية للناشئين ، لأن أغلي حكايات محمد عثمان جلال المترجمة علي السنة الحيوان لانعدها من التأليف المصري الأصيل لأعتماد مؤلفها علي تعريب لرافات لافونتين ، بينما (أحدث روضة المدارس في الوسط المدرسي والتعليمي حركة جديدة ، وحركت همم الطلاب الي اقتنائها ، فقد كانت موضوعاتها ومقالاتها والفصول التي تنشر فيها موضوعا للمناقشة فيها بين الطلاب بعضهم بعضا من ناحية ، وبين الطلاب ومدرسيهم من ناحية أخري ، وحرص الطلاب علي قراءة المجلة . كما حرصوا علي الكتابة فيها [٢] كانت الروضة معرضا لأقلام كبار الكتاب أمثال رفاعة الطهطاري ، وعلي رفاعة الطهطاري ، وعبد الله فكري ، وعلي مبارك ، وصالح مجدي ، وحسين المرصفي ، وحمزة فتح الله وعبد الله أبو السعود ، ومحمد عثمان جلال وغيرهم ، ومن نوابغ التلاميذ – يومئذ – محمود وهبي ، ومحمد حشمت ، ومحمود حمدي ، وأحمد نجيب وإسماعيل صبري وغيرهم من تلاميذ الديار المصرية .

---

(١) العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ ، محمد عثمان جلال ، تحقيق عامر البحيرى ، المقدمة ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ م

أنظر* الدراسة التحليلية حول " العيون اليواقظ " تحقيق ونقد ، (الباب الثالث – دكتوراه مخ ، أداب بنها ، للمؤلف ، مصدر سابق)

(٢) مجلة روضة المدارس ، دراسة تحليلية محمد عبد الغني حسن د. محمد عبد العزيز الدسوقي ، ص ٨٩ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ م

ونستطيع القول في اطمئنان ، أن أول رائد ثقافي غذى مسار أدب الاطفال في إطار انبثاقته الأولي في مصر – أنذاك – قد تمخض عنه سائر النتاج الأدبي الذي نشرته " روضة المدارس المصرية " للطفولة والناشئة بين أعوام ١٨٧٠ – ١٨٧٧ م ، بما نشرته لتلاميذ المدارس مع أساتذتهم وكوكبة الأدباء فوق صفحات تلك المجلة الرائدة من كتابات تربوية ونصوص ادبية للناشئين ، حقا ، لم يكن قد تأصل بعد المفهوم الاصطلاحي لأدب الطفل ، ولكنه من الأنصاف القول بأن ميلاد أدب الطفل الحديث في مصر سار في خط موازٍ مع ميلاد مجلة روضة المدارس ، كأول وأهم مدرسة واسعة الانتشار ، حظي الادب بنصيب موفور فوق صفحاتها ، من التلاميذ أنفسهم وإليهم .

لقد توفر تلاميذ الطهطاوي " علي اصدار كتابه الموسوم " المرشد الامين " في عام ١٨٧٥ بعد أن نشره فصولا فوق صفحات روضة المدارس ، وفي سلسلة ملاحقها الدورية ، وهذا الكتاب الذي يعده نفر من الدارسين البذرة الأولي وقد ألمحنا إلى نشأة أدب الطفل في مصر عن طريق ترجمة أصول حكايات (لافونتين) في " العيون البواقظ " لمحمد عثمان جلال ، ثم تلتها حركة ترجمةأخري لمحمد بليغ في عام ١٨٧٥ م عندما نشرت" روضة المدارس " بالأدب الوعظي والنصائح الأخلاقية علي يد رفاعة الطهطاوي بأصدار كتاب " المرشد الأمين " والذي نشرته "روض المدارس " فصولا اعتبارا من العدد السادس عشر من سنتها الخامسةالى أن ظهر مستقلا في كتاب سنة ١٢٩٠ هـ – ١٨٧٦ م ويحيل المؤلف الي رأي الأستاذ المجمعي المرحوم محمد عبد الغني حسن القائل بعد تفصيل محكم لأبواب " المرشد الامين " :أنه كتاب تربوي أخلاقي في أساسه ، مع نتف أدبية تجيء عرضا في ثناياه وتتعلق بالأدب والطفل فيذكر :

(...رتب رفاعه الطهطاوي كتابه هذا علي مقدمة وابواب مشتملة علي فصول وخاتمة ، فتحدث في الباب الأول عن الانسان ونسبته الي غيره من المخلوقات وفي الباب الثاني تحدث عن الصفات التي يشترك فيها الذكور والاناث ، والصفات التي ينفرد بها كل جنس وفي الباب الثالث تحدث عن التعليم وأنواعه وهنا في هذا الباب يحدثنا الشيخ عن الوطن حديثا مؤثرا فيه بعض الاسجاع ، وفي باب اخر يحدثنا الشيخ عن الزواج والتسري ،.وفي باب سادس يحدثنا

عن أسباب عمار البيوت والمنازل ، وفي باب سابع يحدثنا عن الاقرباء وحقوق بعضهم علي بعض وخص بر الولادين بفصل من فصول هذا الباب ..) [1] لو أعدنا قراءة فقرة مقدمة المرشد الأمين " سنكتشف المقاصد التربوية التى من أجلها تم تصنيف هذا الكتاب يقول الطهطاوي التى من المقدمة : (صدر لي الأمر الشافهي ، من ديوان المدارس ، بعمل كتاب في الاداب يصلح لتعليم البنين والبنات علي السوية) [2] ان تكليف الطهطاوي بعمل كتاب في الاداب ، لا يعني التصنيف الأدبي بمعناه الفني ، والمرجح أن المقصود بـ (الآداب) في عبارته هوتاكيده علي الاداب في إطارها الأجتماعي الأخلاقي ، في السلوك والعادات ، علي نحوما قاله به – أنفا – الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، هذا من ناحية ، ومن الرؤية التعليمية الجديدة بعد ، دخول البنات – كالصبيان – ميدان التعليم من ناحية أخري .

فالكتاب في ضوء ما عرضنا ليس من أوائل الكتب التي يورخ بها الدارسون لميلاد أدب الطفل ، وإنما نرعم أن روضة المدارس – بما نشرته من مواد أدبية تخاطب أفهام التلاميذ ومشاعرهم ، وما نشرته لبعض التلاميذ – هي أول شمعة في ميدان أدب الطفولة قبل سواها من الدوريات العامة أو المتخصصة ، وبخاصة بداية ولوج ميدان التاليف في أدب الطفولة أما الادب المترجم فقد وقفت ريادته عند محمد عثمان جلال في منتصف القرن التاسع عشر .

لقد احتلت " روضةالمدارس " مكانة خاصةفي الصحافة الرسمية . كانت هذه الجريدة التى أنشأها علي مبارك ١٨٧٠ بغرض ، دعم الجهاز التربوي الذي أقامه تستهدف تشكيل عقول وأحاسيس التلاميذ والمثقفين، وقد عهد بادارتها الي الطهطاوي التى أصبح أنه رئيس لتحريرها ،وكانت هيئة التحرير أشهرالاسماء في ذلك العصر [3] .

إن إهتمام "روضة المدارس" بنشر الأنواع الأدبية ، بشكل منتظم في المقامة والقصة بانواعها ، والشعر، وشعر الألغاز، والمقالات الأدبية الي جانب الموضوعات العامة الاخري ساهم في تشكيل قاعدة عريضة من التلاميذ القراء وفي تشجيع النوابغ وهواة الأدب منهـــــم لذلك

---

(١) مجلة روضة المدارس ، دارسة تحليلة محمد عبد الغني حسن (بالاشتراك) ص. ٨٠ .

(٢) المرشد الامين ، رفاعة الطهطاوي ، طبعة مطبعة المدارس الملكية ١٨٧٥ م (الشافهي ، هكذا في الاصل).

(٣) نهضة مصر د. انور عبد الملك ، ص ١٨٩ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ م

ألغينا " روضة المدارس روضة ذاخرة بالأنواع الأدبية متنوعة الأساليب والاتجاهات ، تستهدف في بنيتها ومضمونها – في كل عدد – تلاميذ المدارس المصرية ، ومن الطبيعي أن " روضة المدارس "بحاجة الي بحوث علمية مستقلة في التاريخ الأدبي والتربوي ، والأعلامي ولكننا لا نستطيع أن نهمل إيراد نموذج أو نماذج مما نشر بها في ميدان الشعر علي سبيل الأستشهاد، يقول الشاعر إسماعيل عاصم (ملغزا) (١) .

ما أسم شيء للناس بالنفع قد عـم	نصفه مهمل وباقيه معجـــم
ورباعي الحروف في العد لكـــن	حاز كل العلوم والله أعــلم
نصفه الأول رشف لذيـــــذ	تارة والهلاك يحصل من ثـم
واذا ما قلبت ذا النصف تلقـــي	أنه الزهر عرفه فاح للشـم
وتري نصفه الزهر به الخسـران	جاد او كان لفظا لـــم نم
ولدي قلبه بدا القطع فيـــه	تارة او يري كساء منمنـم
واذا ما حذفت طرفيه تلقـــا	مكسوبا للمال والمكسب مغنم
وعلي كل حالة لاغني للناس عنـه	ان كان عقلها ثـــم
فتفضل وجد يكشف رموز اللغـز	هذا لازلت فينا مكـــرم

ولم تخل الاعداد التي صدرت من " روضة المدارس " الذي كان أشبه بمباراة أدبية وفكرية بين الشعراء والقراء وجمهور التلاميذ ، وحظيت عدة اسماء بشهرة في هذا المجال أمثال اسماعيل عاصم بأسهاماته المتكررة ومصطفي صبحي ، وأسعد طراد ، وأحمد قطلمي ، وحسين الشباسي ومصطفي جلال وغيرهم .

ومن الشعر الأخلاقي الذي نشرته روضة المدارس هذه المنظومة للشباسى (١) :

---

(١) روضة المدارس ، السنة السادسة ، العدد ١٤ ، ص ٨ .

(٢) المرجع الاسبق السنة الثانية ، العد ١٢ ، ص ١٦ .

البر بالآباء فـــــــــرض لازم

من برهم فهوالنجي الحـــــــازم

فأطع أباك وكن لأمك تحـــــت رق

مسترضيا لهم لئلا تحتـــــــرق

واحذر عقوقهما الذي قد حـــــرما

ويحل صاحب المسرة جهنمـــــــا

وقد استهل محمد عثمان جلال منظومته " قواعد في فن الشعر بقوله : (1)

لاتحسب المرء يكون ناظما ولايعد في القوافي عـــــالما

ولا يكون في القريض عده يعرف جذربحره ومـــــــده

الا اذا أوحي في القوافي اليه بالمعني الرقيق الشافـــــي

إن أول ما نلاحظه من أفتتاحية العدد الأول من " روضة المدارس المصرية " هو العناية بالأدب كأسلوب تربوي ، يحقق الفائدة التعليمية للناشئين والكمال التهذيبي المستهدف لشخصياتهم ، يقول علي رفاعة الطهطاوي في ذلك الشأن " إن مواد روضة المدارس ، ستجيء بقلم سهل العبارة ، واضح الاشارة ، وألفاظ فصيحة غير حوشية ولا متجشمة لصعب التراكيب ، ومعان رجيحة تنخرط في سلك مستحسن الأساليب وافية بكمال التهذيب (2) .

ان احتفال مجلة روضة المدارس باللغه العربيه وأدابها ، أسلوبا ومعني سار في خط مواز لغايات المجلة الادبية ، ومقاصدها التربوية ، ولعل الخطوات التي قطعتها روضة المدارس في مسارأدب الاطفال المكتوب كان تتمة لجهود رفاعة الطهطاوي التي سبقت اصدار الروضة عندما (ادخل قراءة القصص والحكايات في منهج الدراسة لتلاميذ " مدارس المبتديان " * علي عهد محمد علي بمصر) (3) وليس غريبا أن يضع ابنه " عليا " شعار روضة المدارس :

(1) روضة المدارس المصرية السنة الاولي شعر اسماعيل عاصم ، ع ١٠ ، ص ١٩

(2) مجلة روضة المدارس ، الافتتاحية ، علي رفاعة الطهطاوي ، ع١ ، ابريل ١٨٧ مطبعة وادي النيل

(3) تاريخ التعليم في عهد محمد علي د احمد عزت عبد الكريم ، ص ١٧٤ط القاهرة ١٩٣٨ م

تعلم العلم واقـــرأ   تحز فخار النبـــــوة

فالله قال ليحــــي   (خـذ الكتاب بقـــوة) [1]

ويزعم المؤلف – في ضوء ما تقدم – أن أدب الأطفال العربي ، نشأ وتكون في مصر حول مجلة " روضة المدارس المصرية " تأليفا موجزا وانتشارا ، غير اننا واجدون قبل ذلك بنحو عقدين من الزمان ارهاصات تكون ادب الطفل ولكن في اطار الترجمة ومناهج التعليم ، من مثل " العيون اليواقظ " لمحمد عثمان جلال الي آخر قائمة كتب الترجمات للطفولة والتي شملت القصص والحكايات والأمثال لقد أسهمت روضة المدارس في تعبيد الطريق أمام نشأة أدب الأطفال ، بما نشرته للتلاميذ من مواد أدبية ، وبما خلقته من وعي قرائي بينهم .

ولو تركنا مجلة" روضة المدارس " للوقوف عند روافد أخري شكلت ارهاصات نشأة أدب الطفل في الأدب العربي الحديث ، لألفينا ترجمة لـ" عقلة الصباع " و "حكايات الاطفال "لتلاميذ المدارس الأولية في إطار ترجمة الكتب الأجنبية الحديثة لتلاميذ المدارس ، إذ كانت " حكايات الاطفال " و " عقلة الصباع " من أوائل الكتب التي قررتها نظارة المعارف – يومئذ – علي تلاميذ الصفين الأول والثاني بمدارس المبتديان في مصر * .

وفي عـام ١٨٨٣ ترجم الأدب " يونا وفتورا " كتابا (لطائـف الأقوال في القصص والأمثال) [2] عن الآداب الأجنبية ، في جزأين يضمان اثنتين وستين قصة ومثلا ، والكتاب في مجمله ترجمة للاقوال البليغة ،الأمثال الحكيمة والقصص الشعبية في الآداب الأجنبية مما يحقق لأطفال المتعة والفائدة "

وعندما صدرت الطبعة الأولي من ديوان " الشوقيات " عام ١٨٩٨ ، تضمنت – ربما لأول مرة في تاريخ أدبنا العربي الحديث – منظومات شعرية للأطفال وبتلك المقطوعات الشعريه للأطفال أعلن " أحمد شوقي " عن ميلاد أدب الأطفال العربي الحديث ، ومن ثم راح يدعو الى إقامة هذا الجنس الأدبي المستحدث ، وكان يأمل – يومئذ – خيرا فيذكر (. . أتمني لو وفقني الله لأجعل للاطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للاطفال في البلاد المستحدثة منظومـــات

---

(١) مجلة روضة المارس ، العدد الاول (شعار) وضع تحت عنوان المجلة

* المدارس الابتدائية .

* انظر تاريخ التعليم د احمد عزت عبد الكريم ص ص ١٧٣ – ١٨

قريبة المتناول ويأخذون الحكمة والادب من خلالها علي قدر عقولهم ..) [1]

وفي عام ١٩٠٣ أصدر علي فكري (١٨٧٩ - ١٩٥٣) كتابه الموسوم" مسامرات البنات " [2] وبرغم أن هذا الكتاب يقع في جزأين الا أنه كتاب إجتماع وتربية بل تضم أغلب مادته شئون العقيدة ، ولا يحتوي إلا علي قدر ضئيل من أخبار النساء والفتيات من ملح وطرائف أدبية في إطار التهذيب الأخلاقي لكن " صاحب مسامرات البنات " أسهم في تأصيل أدب الطفل بمؤلف أدبي أخر سنشير له من بعد . وفي عام ١٩٠٨ أعيد طبع " العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ " لمحمد عثمان جلال أي بعد وفاته بعشر سنوات .

ويشهد عام ١٩١١ ظهور كتاب جديد يسترفد خرافات لافونتين والتراث القصصي العربي وهو كتاب " أداب العرب " للشاعر إبراهيم العرب - ١٩٢٧) وتقع منظومات الكتاب في تسع وتسعين قصة شعرية ، من الأدب الوعظي الحكيم علي ألسنة الحيوان والطير و ويقول في مفتتح كتابه : [3] .

وبعد فهذي حكمة ومواعـــــــــــظ	لتهذيب أخلاق وأصلاح أحـــوال
بهن معان كالعيون سواحـــــــــــر	وألفاظ در كل بحر بها حـــــــال
علي الطير في جو السمـــــاء اخذتها	وفي القفر عن طبي وذئب ورنبال

وفي عام ١٩١٢ أصدرت دار المعارف أول كتاب أدبي مصور للأطفال وهو " القطيطات الغزاز " لمحمد حمدي بك بالاشتراك مع جورج روب ، وفي اطار الترجمة أيضا درت المجموعة القصصية " كنوز سليمان " وترجمها أمين خيرت ،عن الكاتب الانجليزي رايدارهاجرد ، وتجمع القصص بين التشويق وحفز الخيال ، وتوفر علي اصدارها مطبعة جورجي غز زوزي في عام ١٩١٤ م.

-وفي عام ١٩١٦ يسهم علي فكري (١٨٧٩ - ١٩٥٣) بكتاب أدبي جديد للناشئين عندما اصدر كتابه الموسوم " النصح المبين في محفوظات البنين [4] الذي جمع بين المنظوم والمنـــثور

(١) " الشرقيات ، احمد شوقي ، المقدمة ، الطبعة الاولي ١٨٩٨ م

(٢) مسامرات البنات علي فكري ، ط١ ١ ، ١٩٠٣ م.

(٣) اداب العرب ، ابرهيم العرب ، خطبة المقدمة

(٤) النصح المبين في محفوظات البنين ، علي فكرى ، طبع مطبعة الشباب ١٩١٦

الأمثال البليغة والأقوال الحكيمة ، والاشعار التي تحث الاطفال علي الفضيله ومكارم الأخلاق . ومما نلحظه في تصنيف هذا الكتاب أن صاحبه أستعار كتابات الرافعي ، وشوقي ، ونصيف اليازجي وغيرهم ، وضم اختياراته من أشعارهم إلي "النصح المبين" وفي الواقع أن علي فكري بكتابه " النصح المبين" قد أضاف الي المؤلفات الأدبية الحديثة زاد جديد لانه أحس أن مصنفاته الاخري وان اقترنت مسمياتها بالطفولة الا انها اقرب للعقيدة والتربية والاجتماع منها الي الفنون الادبية . *

وفي عام ١٩٢٢ قام الشاعر محمد الهراوي (١٨٨٥ - ١٩٣٩) باصدارأول ديوان شعري عربي حديث للأطفال ، أسماء " سمير الأطفال " وهي محاولة أدبية رائدة فحكايات أحمد شوقي عبارة عن منظومات الشعرية التى اودعها الجزء الرابع من ديوان الشوقيات ، تختلف عن محاولة الهرواي الرائدة وقفت عند علي التأليف الشعري المستقل ، إذا اشتملت علي أول ديوان مستقل للطفل العربي

وفي عام ١٩٢٣ قامت لجنة التأليف والترجمة والنشر بنشر ديوان جديد للهرواي هو : سمير الاطفال للبنين " جـ ١" سمير الاطفال للبنات " جـ ٢ . وفي عام ١٩٢٣ ايضا اعيدت طباعة" سمير الأطفال " للبنين و " سمير الأطفال " للبنات في طبعة ثانية مزيدة ومنقحة كتب عليها الهرواي " الجزء الثاني ... وفي نفس العام ايضا أصدر الهرواي الجزءالثالث من " سمير الأطفال " للبنين ، والبنات في طبعة ثالثة مزيدة ومنقحة أيضا ، وفي ذلك دلالة لا تقبل التقليل من ريادة الهرواي لشعر الاطفال فنفاذ ثلاث طبعات من ديوان الطفل فى عام واحد يحمل مصداقية الشاعر ويعكس أستقبال جمهور الاطفال ورجال الأدب والتربية لمضمون ، وفى الديوان فوي عام ١٩٢٦ أصدر محمد الهراوي كتابه الموسوم " السمير الصغير " ثم توالت بعد ذلك أبداعاته الشعريه والتمثيلية للناشئين - فـ غزارة وأصالة وتنوع - لمرحلتي رياض الاطفال وتلاميذ المدارس الأولية ولجمهور الطفولة وللاباء والامهات خارج المدرسة** .

وفي عام ١٩٢٧ راد الاديب كامل الكيلاني (١٨٩٧ - ١٩٥٩) التأليف القصصي للأطفال فـأصدر قصته " السندباد البحري " كأول محاولة قصصية حديثة يقوم بها أديب عربي بالتأليف للطفل خارج المقررات المدرسيه ، وأتبعها بمكتبة قصصية كاملة للطفولة طبعت فـــي

(*) مثل (اداب الفتي) ، (اداب الفتاة) ، (تربية البنين) (تربية البنات) (التربية الاسلامية) وغيرها
** (انظر الباب الأخير من دكتوراه مخطوطه للمؤلف ، مصدر سابق)

حياته غير مرة وبعد وفاته عام ١٩٥٩ . ثم قام الشاعر محمد الهراوي باصدار مجموعة من الأغاني التوقيعية للأطفال بين عامي ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ والطريف أنه أثبت مع أغانيه الشعرية للأطفال " النوتة "الموسيقية مثل " بائع الفطير وأغنية جحا والأطفال ، شمس الضحى ، وليلة القمر وغيرها .

وبدأ محمد الهراوي يسهم براوياته التمثيليةالقصيرة للاطفال مثل " عواطف البنين " و " حلم الطفل ليلة العيد " ، " والحق والباطل " وكان قد أصدر في عام ١٩٢٦ مسرحية شعرية ذات فصل واحد للاطفال أسماها الذئب والغنم (١) .

في ضوء ذلك نستطيع القول أن شعر الطفولة بلغ ذروته بمؤلفات الشاعر محمد الهراوي أحد رواد شعر الطفولة في الأدب العربي الحديث في مصر .

وفي عام ١٩٢٩ أصدر " حامد القصبي " كتابه الموسوم" التربية بالقصص لطالعات المدرسة والمنزل ويبدو من عنوان هذا الكتاب أن صاحبه بدأ ينبه اقرانه من رجال التربية والتعليم الي أهمية فن القصة للأطفال خارج المدرسة كوسيط تربوي ينمي الميول القرائية والأدبية . ولا يعيب محاولة حامد القصبي سوي الاعتماد علي الاقتباس عن أصول بعض القصص الأنجليزية التي وجدها ملائمة للتلاميذبينما توجد افكارتلك القصص التى أقتبسها في الأدب العربي .

وطوال عقد الثلاثينات من القرن الحالي كان النتاج الأدبي لمرحلة الطفولة في أطوارها المختلفة ، ينمو ويتنوع ، بفعل جهود التأليف للأطفال التي رادها رائد المؤلفين كامل الكيلاني الذي اتسم انتاجه للأطفال بالاصالة والغزارة فقدم عشرات القصص لكل طور من أطوار مرحلة الطفولة ، ولا نبالغ إذا قلناأن مكتبة كامل كيلاني للاطفال تعدل في قيمتها الفنية ودرجة الأقبال عليها من جمهور الاطفال والاباء والامهات ، ما حققته كتابات هـ . اندرسن في الادب الغربي ، ويشير الي ذلك الاستاذ محمد مصطفي الماحي في مقالة مطولة عنوانها " أدب الطفل " فيذكر : (... وكلنا نعرف فضله وسبقه (كامل الكيلاني) في هذا الميدان ، ونعلم كيفي أستقبل العالم العربي ، بل كيف أستقبلنا – نحن الأباء – تلك المنتجات الفكرية كفتح في أدب الأطفال ..) (٢) .

---

(١) انظر : الباب الاخير من دكتوراه ، مع للمؤلف ، مصدر سابق

(٢) صحيفة الحال ، مقال عنوانه " ادب الاطفال لمحمد مصطفي الماحي ع٨/٨/ ١٩٣٤ م

كما يؤكد شاعر القطرين " خليل مطران " علي ريادة الكيلاني في إنشاء مكتبة الاطفال القصصية فيذكر (.. لو لم يكن للأستاذ " الكيلاني من فضل إلا أنه المبتكر في وضع (مكتبة الأطفال) ، بلسان الناطقين بالضاد ، فكفاه فخرا بها ، ما قدمه لرفع ذكره، وما أحسن به إلي قومه وعصره .) [1] .

وقد شهد عقد الاربعينيات من القرن الحالي اهتماما بأدب الطفل بين رجال التربية الحديثة في مصر ، وهو اتجاه مستحدث وضع بذوره ، ومهد التربة له وتعهده بالري والتأصيل كوكبة الأدباء الرواد من زمن " الشوقيات" (أحمد شوقي ، ودواوين" سمير الطفل " للهراوي " الي مكتبة كامل الكيلاني " للأطفال . في عام ١٩٤٤ عمق محمد محمود رضوان أحد الميادين الجديدة في أدب الطفل وهو مسرح الطفل . الذي وضع نواته الأولي في العشرينيات محمد الهراوي ، فكتب محمد محمود رضوان مسرحياته المستوحاة من التاريخ الأسلامي وعنونها بـ " قصص اسلامية " ولقيت مسرحياته رواجا كبيرا في المسرح المدرسي ، وتوالت بعد ذلك الكتابات القصصية والمنظومات الشعرية والمسرحيات النثرية للاطفال من جانب رجال التربية والتعليم أمثال : محمد سعيد العريان وأمين دويدار ومحمود زهران ، وتوفر أحمد برانق علي كتابة القصص الديني وسيرة أمهات المؤمنين ، بينما توفر سعيد العريان وأمين دويدار ومحمود زهران علي أصدار القصص المدرسية من مثل : الصياد التائه "و "الطيور البيضاء " و " النهر الذهبي وأصحاب الكهف " و " شجرة الشعر " و " ساقية العفاريت" و " الحظ الجميل " وغيرها وقدم" محمد عطيه الابراشي" مجموعة قصص وحكايات للاطفال مستوحاه من أصول شرقية وغربية مثل "زهرة السنط " و " النمـــر الاسود " و " الموسيقيون الثلاثة" و " راعية الاوز " وغيرها .

وفي عام ١٩٤٧ نشر لمحمد فريد أبو حديد قصـــــــــة خيالية مثيرة للاطفال تحت عنوان (عمرون شاه) ويطلقها عقلة الاصبع الذي استطاع ان يغلب علي الساحر الماكر الذي سحر المدينة الكبيرة ، ومسخها ارانب وقرانا ، واشكالا حجرية ، وفي النهاية استطاع عقلة الاصبع أن يعيد الحياة الي المدينة ، واتبع ذلك – وفي نفس العام – اصدر قصة جديدة مشوقة بعنوان "كريم الدين البغدادي " وهي كسابقتها مليئة بالمفاجآت والحوادث الخيالية .

---

(١) كامل الكيلاني في مرآة التاريخ ، لمجموعة من الكتاب، مقال عنوانه استجاب لحاجات عصره ، خليل مطران ، ص ٣٩٣ .

ولم يهمل رجال التربية والتعليم الذين أهتموا بأدبيات الطفل في المنهج الدراسي وخارج المدرسة – لم يهملوا ـ الادب الشعبي – فصاغوا مجموعة من القصص الشعبي بعد تبسيطه في أسلوب جميل ولغة مهذبة مثل : الف ليلة وليلة ، وعنترة بن شداد ، وسيف بن ذي يزن ، وأبو زيد الهلالي ، والاميرة ذات الهمة ، حيث أشترك في تاليف مجموعة القصص الشعبي للناشئين من رجال التعليم والتربية : محمد أحمد برانق وحسن جوهر ، وأمين أحمد العطار .

وشهد عقد الاربعينيات من القرن الحالي أيضا ، أزدهار رافدجديد هو " اعادة ظهور صحافة الأطفال " مرة أخري بعد أن احتجبت مجلة " روضة المدارس المصرية عن الصدور في عام ١٨٧٧ ، وكانت أرهاصات عودة الصحافة المتخصصة للاطفال وليدة الأحساس الوطني في مواجهة غزو الدوريات والمترجمات الأجنبية ، ومع ذلك فقد كانت البداية متواضعة عندماصدرت مجلة (بابا صادق) في عام ١٩٤٣ ومجلة (البلبل المصورة) التى اتبعتها في الصدور عام ١٩٤٦ ، ثم مجلة (علي بابا) عام ١٩٥١ م ثم توالت بعد ذلك أصدارات مجلات الأطفال مثل مجلة (سندباد) في عام١٩٥٢ م ومجلة (سمير) في عام ١٩٥٦ من " والت ديزني " و "ميكي " ابتداء من عام ١٩٥٩ مجلة (كروان) كما صدرت طبعات عربية من الدوريات والكتب الاجنبية للاطفال مثال : المعرفة والهدف ٢٠٠٠ ، ووالت ديزني ، وتان تان وغيرها . وما زالت صحافة الاطفال الي وقتنا الحاضر في أغلب مضامينها تسرد القيم الوافدة وتنمي الغزو الثقافي الاجنبي في الوسائط الاعلاميةل للطفولة ، لأنها تعتمد علي الالغاز المادية ، والمغامرات المرسومة " Comic stripo " وحكايات العنف المصورة . والخوارق غير المألوفة ، وتكاد لا تجد أسطورة عربية منظمة أو منظومة شعريه هادفة ، أو قصة شرقية خيالية ، كما أن الموسسات التي تشرف علي أصدار دوريات الأطفال تهتم في وقتنا الحاضر بميكي ماوس ودونالد دال ، وتوم جيري ، وسوبرمان ، والرجل الاخضر ، وتان تان ولاكي لوك ، واستريكس ، ودان كوبر وغيرها من الشخصيات الغريبة التي تغزو خيال عقل الطفل المصري ، أما نتاج الرواد من رجال البيداجوجيا ورواد الشعر أو القصص المحدثين واسهامات المعاصرين للناشئين ، فلم يلق معظم ذلك النتاج أو يجد طريقه لعقول الأطفال ووجدانهم ، أننا لا نغفل دور الترجمة الهادفة للطفل عن الثقافات الاجنبية ، ولكننا بصدد ضرورة التصدى لغزو غزو مضامين لا تتفق والقيم العربية الاسلامية .

صورة أدب الطفل في الأدب العربي الحديث :

يبدأ الاهتمام بأدب الطفولة في العالم العربي في أوائل عام ١٨٧٥م ، حيث كانت أدبيات الطفل - يومئذ - ماتزال مقرونة بالتربية في إطارها التعليمي ، فقد قام رفاعة رافع الطهطاوي بغرس البذور الأولي في تربة أدب الطفل العربي الحديث ، عندما أصدر كتابه * : المرشد الامين للبنات والبنين" ويدلنا عنوانه بداية علي التوجه التربوي المباشر من ناحية ، وعلي غاياته الوعظية من نصح وإرشاد من ناحية أخري ، وهو في ضوء ذلك قد آمن بإحتياجات الطفولة العاطفية والخيالية والترويحية ، فأدخل قراءة القصص والحكايات في منهج الدراسة الابتدائية لتلاميذ مدارس المبتديان في عهد محمد علي بمصر ، وقد اعتمد الطهطاوي علي الترجمة فيما قدم (١) .

وفي الواقع أن الطهطاوي عقد مزاوجه بين الأدب والتربية في هذا الكتاب ، لذلك لا يعد كتابه من كتب التربية فحسب وإنما حمل إرهاصات أدب الطفل بين مضامينه ، فهو اذا لايندرج تحت مفهوم أدب الطفل بمعناه الفني الحديث ، يقول رفاعة في خطبة كتاب المرشد الامين : (.صدر لي الأمر الشفاهي من ديوان المدارس .. بعمل كتاب في الآداب والتربية يصلح لتعليم البنين والبنات علي السوية ..) (٢)

وأعقب محاولة الطهطاوي التى اشرنا اليه أنفا ، الأديب المصري محمد عثمان يوسف جلال (- ١٨٩٨ م) حيث توفر علي ترجمة زهاء مائتي حكاية شعرية من حكايات : لافونتين" ، ولأن محمد عثمان جلال من المجيدين للفرنسية ، فقد تأثر في نظم كتابه العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ " بلافونتين فيذكر: (اخذت أترجم في الاوقات الخالية كتاب العلامة الفرنسي الكبير لافونتين - وهو من أعظم كتب الآداب الفرنسية المنظومة علي لسان الحيوان علي نسق : الصادح والباغم -فاكهة الخلفاء .. وسميتها العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ) (٣) .

(*) طبع الكتاب المرشد الامين للبنات والبنين " لرفاعه الطهطاوي عام١٨٧٥ م ، وكانت مجلة روضة المدارس قبل ظهورطبعته الأولي عام ١٨٧٥م تنشره فصولا في ان كتاب مستقل في نفس العام .

(١) تاريخ العلم في مصر ، د. أحمد زكي عبد الكريم ، ص. ١٧٢ ، ط النهضة المصرية . ١٩٤٨ م.

(٢) المرشد الامين للبنات والبنين ، رفاعة رافع الطهطاوي ، خطبة الكتاب (المقدمة) ، مطبعة المدارس الملكية ، ١٢٨٩ هـ .

(٣) العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ ، تحقيق عامر بحيري ، المقدمة طبع الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٨

وقد قررته نظارة المعرف العمومية بمدارسهاالابتدائية عام ١٨٩٤ في طبعته الأولي (**) ثم أعيد طبعته عام ١٩٠٨ في طبعته الثاينة أي بعد وفاته وفاة عثمان جلال بعشر سنين ، فديوان محمد عثمان جلال " العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ . أول محاولة عربية تقوم علي الترجمة ومحاكاة أدب الغرب في نظم أدبيات الأطفال ، فهو رائد مرحلة الترجمة في مجال أدب الطفل ونظمه في شعر مزدوج القافية ولم تتقيد ترجمته بالأصل بل عدل فيه ، وغير وفق ما رآه مناسبا [1] . وقد نجح محمد عثمان جلال الي حد كبير في أن ينقل حكايات الحيوان الخرافية عن لافونتين وفي قدرته الفنية في المحاكاة والتعريب إلي اللغة العربيــــــة إذ (البسها ثوب الروح المصرية واللغة العربية القريبة من الاستعمال اليومي - وهذه قدرة لاتتوفرللكثيرين - وقد أجمع النقاد - ومنهم العقاد وغنيمي وهلال - أن ترجمة الكتاب كانت حرة بحيث اختفت فيهـــــــا معالم الروح الفرنسية ، وظهرت فيها الروح المصرية بوضوح شديد .) [2] وعندما اصد أحمد شوقي ديوان " الشوقيات " في طبعته الأولي عام ١٨٩٨ م ألفينا بين دفتي "الشوقيات " وجد باب للحكايات والقصص الشعرية للأطفال فكان ذلك بمثابة بداية حركة التزليف الأدبي للاطفال وقد أثبت أحمد شوقي في مقدمة ديوانه أنه تأثربأسلوب نظمل افنوتين لحكاياته دون إشارة منه لمحاولة محمد عثمان جلال الرائدة في " العيون اليواقظ " ، يقول احمد شوقي في مقدمة الطبعة الاولي من الشوقيات .

(.وجريت خاطري في نظم الحكايات علي اسلوب (لافونتين) الشهير . وأنا استبشر لذلك وأتمني لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين، مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المتمدنة، منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها علي قدر عقولهم) [3] .

ويحث صديقة الشاعر خليل مطران للتعاون في إرساء قواعد جديدة لأدب الطفل فيذكر (.ولايسعني إلا الثناء علي صديقي - خليل مطران - صاحب المنن علي الأدب والمؤلف بين أسلوب الأفرنج في نظم الشعر وبين نهج العرب .والمأمول أننا نتعاون علي إيجاد شعرللاطفـال

(**) اتم محمد عثمان جلال تعريب حكايات لافونتين لعهدالخديوي عباس باشا الأول (٤٩ - ١٨٥٤) وطبع الديوان في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني (ط مدرسية) وقد عثر المؤلف على الطبعة الأولى المجهولة - غير الموجودة بدار الكتب - قيد التحقيق بحوزته .

(١) في أدب الاطفال ، د. علي الحديدي ، ص . ٢٤٥ .

(٢) أطفالنا في عيون الشعراء ، أحمد سويلم، ص ١٥٢ .

(٣) ديوان الشوقيات ، المقدمة ، ط ١ مطبعة الاداب ١٨٩٨ م

والنساء وأن يساعدنا سائر الأدباء والشعراء علي إدراك هذه الأمنية [1] . ولم تحظ دعوة أحمد شوقي بتأييد من الشعراء – أنذاك – بمن فيهم خليل مطران نفسه والاستقراء التاريخي في ضوء ما عرضنا يعطينا حقية هامة وهي ريادة محمد عثمان جلال لهذا اللون الأدبي ،أما أحمد شوقي فقد اقتفي أثره ، أما عن القيمة الفنية لنتاج الشاعرين فلسنا بصدده الآن ، ربما يكفينا الإشارة إلي تأثرهما معاً بلا فونتين ، مع سهولة منظومات محمد عثمان جلال ، وميل شوقي الواضح لتطبيق مفهوم الأدب الرمزي في نظم الحكايات الأطفال الشعرية . فقبل ان تطبع الشوقيات طبعتها الثانية كتب احمد شوقي قصيدة عنوانها" دولة السنر نشرها عام ١٩٠٠ م المجلة المصرية يقول د. غنيمي هلال :(.وبدالشوقي أن الشعر الغنائي لا يكفي لبث آرائه ، فلجأ الي القالب الموضوعي قالب القصة علي لسان الحيوان ، نشرها عام ١٩٠٠ في (المجلة المصرية) وحرص بعد ذلك على ألا ينشرها في واوينه ، خوفا علي نفسه ، وعنوانها " دولة السنر ؛ وهي ذات مغزي إجتماعي هجائي (٢) وإذا كانت اشوقيات في طعتها الأولي قد تضمنت عددا من الحكايات الشعرية علي السنة الحيوان ، فانها استبعدت من الطبعات اللاحقة ، ولكن الجزء الرابع من الشوقيات المطبوع عام١٩٤٣ ضم خمسا وخمسين منظومة ، بينما ضم الجزء نفسه المطبوع عام ١٩٥١ ستا وخمسين .. وقد جمعت هذه المنظومات في كراس بعنوان " منتخبات من شعر شوقي في الحيوان "

وقبل ان تصدر الطبعة الاولي من " الشوقيات " بخمس سنين أصدر الشاعر عبدالله فريج كتابه الموسم " نظم الجمان في أمثال لمان " في عام ١٨٩٣ ، وهذا الكتاب يفتقدالي روح الشعر فمنظومات الكتاب تقوم على محاكاة أمثال لقمان الحكيم المألوفة في نظم شعري ولكنه نظم يقترب من النثرية أو التقريرية ، برغم أن مولفه كتب كلمة أدبية ضافية في مقدمته ، أما محتوي الكتاب فيتضمن خمسين مثلا صبها المولف صبا في قالب الرجز في موضوعات شتي * حول الحيوانات والطيور والحشرات والإنسان ، وكان ينهي كل أرجوزة بايراد مثل مأثور من أمثال لقمان الحكيم ، يقول عبد الله فرج في مقدمة " نظم الجمال في أمثال لقمان " عمدت الي أمثال سيدنا لقمان الذي شهد له تعالي بالحكمة في منزل القرآن والي ما جري ذلك من الامثال الرائعة ذات الأبيات راسخة القافية .. ثم جعلتها خدمة أدبية لتلاميذ المدارس الإبتدائية .

---

(١) ديوان الشوقيات ، المقدمة ، ط ـ ١ مطبعة الاداب ١٨٩٨ م.

(٢) في النقد المسرحي ، د. محمد غنيمي هلال ، ص ٩٤ ، ط بيروت ١٩٧٥م.

* انظر منتخبات من شعر شوقي في الحيوان ، ط ـ المكتبةالتجارية القاهرة ١٩٤٩ م.

ثم قام علي فكري (١٨٧٩ - ١٩٥٣ م) في عام ١٩٠٣ بإصدار "مسامرات البنات" وهو عبارة أشتات مجتمعات في أدب التسلية ، وعظات دينية وأخلاقية وذكر خصال النساء ، ولا نعده من كتب أدب الأطفال لتنوع مادته الدينية والتاريخية مع نتف أدبية ولكن كتابه " النصح المبين في محفوظات البنين ورصيفه في "تربية البنين" ونظيره " في تربية البنات " والتي أصدرها عام ١٩١٦ من الكتب الاولي التي ساهمت في ميدان أدب الطفل الحديث فتوفر علي المنظومات والأناشيد الشعرية في إطارها التعليمي والأخلاقي .

وفي عام ١٩١١م ظهر كتاب " آداب العرب " وهو منظوات عرية متنوعة للاطفال سار فيهامؤلفها إباهيم العرب (- ١٩٢٧) علي طريقة " لافونتين" وقد قررته نظارة المعارف بمصر - آنذاك - علي تلاميذ المدارس الأولية [١] وتضمن كتاب آداب العرب بمنظومةالختام (مائة) منظومة شعرية " دارت جميعها علي ألسنة الحيوان والطير ، غايتها إيراد العظة في أسلوب شعري قصصي ، يقول ابراهيم العرب في منظومةختام الكتاب حول حكاياته :

أمثال صدق تجلت لا مثيل لهـــــا   معني صحيح ولفظ فيه تجويـــد

ضمنتها النصح والأغراض ذ اه .ة   وني لسان الفتي للحق تأييـــــد

وهذه جمل مملوءة حكمـــــــــــا   من دون نشر شذاها الند والعـــود

والملاحظ أن شاعرية إبراهيم اىعرب تىحاوز ساىيات منظومات " نظم الجمان " لعبد الله فريج لإقترابهامن روح الشعر وغاية الأدب التعليمي

---

* تنوعت موضوعات النظم الجمان من مثل . صبي كذوب ، حطاب الموت ، زنجي وغيرهافضلا عن حكايات الحيوان : الثور ، الثعلب ، الذئب ، الحداد وكلبه ، امرأة ودجاجة ، ولم تخل حكاياته المنظومات جميعا عن ايزاد مثل ماثور ينهي به الشاعر منظومته .

(١) مسامرات البنات ، علي فكري ، مطبعة اللواء ، ١٩٠٣ م.

(٢) النصح المبين في محفوظات البنين ، علي فكري مطبعة مجلة الشباب ، ١٩١٦ م.

(٣) آداب العرب ، ابراهيم بك العرب ، ص ١١١ ، ط ١ المطبعة الاميرية بمصر ١٩١١ م.

(*) عنون المؤلف كل منظوماته بلفظه ' العظة الأولي ، العظة الثانية ، وهكذا الي العظة التاسعة والتسعين ثم يشير الي الحكاية اسمهاكالطاووس والنحلة ، والكلب والهر ، تهذيب الأسد وغيرها .

(٤) سمير الاطفال ، محمد الهرواي ، ط دار الكتب المصرية ، ١٣٤ هـ ١٩٢٢ م.

(*) انظر حياة الشاعر وادبه في كتابنا " رواد ادب الطفولة دراسة تحليلية " - قيد الطبع

وفي عام ١٩١١ أعاد أحمد شوقي نشر حكايات الأطفال فى الطبعة الثانية من الشوقيات وإلي تلك الفترة الزمنية نستطيع أن نصف البدايات الأولي لنشأة أدب الأطفال في الأدب العربي الحديث أنها نشأة اعتمدت في أساسها الفني علي الترجمة والاقتباس والتأثر بالأدب الغربي الحديث بعامة وحكايات لافونتين الخرافية بخاصة ، وفي الواقع أن مصطلحية : أدب الطفل * الذي دعا اليها أحمد شوقي في صدد حديثه عن التعاون بين معشر الأدباء لقيام جنس أدبي للطفل ، ظلت الي منتصف العقد الثالث من القرن العشرين تقريبا، تدور في فلك الاتجاه التعليمي ،: تلقين القيم والمعارف والآداب الحميدة ، والعظات المباشرة اذا استثنيا حكايات أحمد شوقي للأطفال المحملة بالأدب الرمزي في إطاره الحكيم . وفي عام ١٩٢٢ أوقد الشاعر محمد الهراوي أول شمعة عربية في ميدان أدب الاطفال ليمهد الطريق للمبدعين للتوفر علي التأليف للطفل ، حيث أصدرديوانه الأول " سمير الأطفال " في طبعته الأولي وفي العام التالي أصدر الطبعة الثانية منه وتوالي إنتاج هذا الشاعر الرائد في مجال التأليف الشعري المتنوع للطفل إن القراءة المتأنية لنتاج الشاعر محمد الهراوي تؤكد المعني الفني لأدبيات الطفل ، والمؤرخ المتصف سيجد أمامه ريادة الشاعروفضله في بدء حركة تأليف أدبية جادة خاصة بالطفل ، والهرواي في ضوء ذلك نقل أدب الطفل العربي إلى مرحلة التأليف الأدبي الخاص للأطفال على اختلاف اعمارهم . ونلاحظ كذلك أن البدايات الأولي لادب الطفل فى فنون النثر الحديثة ، ففي عام ١٩٢٩ ، يصدر حامد القصبي " التربية بالقصص لمطالعات المدرسة والمنزل " ويبدو من عنوان المؤلف انه قد امن بدور القصه كنوع أدبي من ناحية وكوسيط تربوي في القراءة ، والتعليم من ناحية ثانية ، فالمطالعة لم تعد في قاعات الدرس فحسب بل متعة ومنفعة خارج المنهج المدرسي ، ولا يعيب محاولة حامد القصبي سوي اعتمادها علي الإقتباس من بعض القصص الإنجليزية الملائمة للطفل في حين توجد أفكارها ومضامينها علي نحو ادق واشمل في الأدب العربي ، وأمام هذا التطور في الأدب التعليمي كان رائد المولفين في

(*) ادب الاطفال بين الهرواي وكامل الكيلاني ، مقالة الدكتور زكي مبارك ، صحيفة البلاغ ، عدد ٨/٩/ ١٩٣١ ، وأدبيات الطفل ، مقالة لساطع الحصري ، مجلة التربية ، عددناير، بغداد ، ١٩٣٠ ، كامل كيلاني والتأليف للطفل ، مقالة للدكتوراسعد حكيم ، مجلة المجمع العلمي العربي . ٤ اكتوبر ١٩٣٢ دمشق وتتابعت المقالات حول الطفل وأدبه في الدوريات العربية بعامة ، والمصرية بخاصة ، لمزيد من التفاصيل حول استخدام مفهوم أدب الطفل بمعناه ودلالته انظر : الهلال : اول مايو ١٩٣٣ ، البلاغ : ١٣ ، ٢٥ /٧٨ /١٩٢٣ الحال : ٨/٨/، ٦/٩/ ١٩٣٤ م. الاهرام ١٩٣٤/٩/١٦ م وغيرها

ادب الأطفال العربي – كان قد كتب عام١٩٢٧ – أول قصة أدبية للأطفال أسماها " السندباد البحري " ، ونعني برائد المؤلفين كامل الكيلاني (١٨٩٧ – ١٩٥٩ م) الذي اصدر مكتبة كاملة للطفل ، واتسم نتاجه بالغزارة والتنوع والقيمة الفنية العالية .

وفي عام ١٩٣٠ ظهر مصطلح أدبيات الطفل في الدوريات العربية ، في عناوين المقالات وفي ثناياها ظهرت الي وجود ملامح تأصيل وجود جنس أدبي للطفل ، وقبل هذا التاريخ كانت كتب الأطفال تقتصر اقتصارا يكاد يكون تاما علي الأغراض التعليمية مادة للقراءة المدرسية تهتم بالمحصول اللغوي وتدعو الي القيم والآداب الحميدة .

ومن أشهر ما كتبه حول نهضة التأليف للأطفال د. زكي مبارك : (.. أشهر المؤلفين في هذا الباب رجلان : محمد الهراوي كامل كيلاني وهما بعيدان عن التدريس) * . مشيرا في مقالته الى رائدين في أدب الطفل . حيث بدأ الاهتمام بالتأليف للأطفال يبرز في نواح بعيدة عن بيئة التدريس ، وبدأ يستحوذ علي اهتمام التربويين الشروط الواجب توافرها في الكتب الموجهة لصغار سواء إن من حيث الشكل أم من حيث المضمون محاولة منهم في أن يدفعوا كتاب الطفل الي تقديم الأفضل (١)

وفي العراق قامت نهضة ادب الطفل في أواخر ثلاثينيات القرن الحالي عند نظم الشاعر معروف الرصافي منظومات شعرية * خفيفة في المجلات المدرسية ، ومجلة الفتوة البغدادية قصيدة الشمس التي نشرت علم ١٩٢٩ وقصيدةالرطب " ، وقصيدة " الرفق بالحيوان" في عام ١٩٣٢ ،وكان لمحاولة معروف الرصافي في نشرمنظوعاته الشعريه علي ألسنةالحيوان عام ١٩٢٢ م. غير أن ذيوع إسم الرصافي (١٨٧٥ – ١٩٤٥) في الأوساط الأدبية والإعلامية ، لم يشكف عن اسبقيةمنظومات د. مصطفي جواد للأطفال والتي كتبها في مطلع شبابه من مثل : الهر والفيران اللقلق والعصفور وغيرها .

-* نشر الرصافي أول منظومةللطفل بعنوان " تنويمه الام لطفلها" في مجلة المرأة الجديدة عام ١٩٢٣ ، وتوالت منظوماته في المجلات المدرسية ، ومجلة التربية والتعليم ، والفتوة وغيرها من المجلات الاطفال ، جميعها في كتاب نشره في الاربعينيات (د.ت) في طبعته الاولي ، وبعد وفاته بثلاثة اعوام صدرت الطبعة الثانية عام ١٩٤٨ من هذا الكتاب بنفس عنوان الطبعه الاولي (تمائم التربية والتعليم) بمقدمة ليوسف يعقوب سكوفي ، ومن بين هذه المنظومات الشعرية : انشودة العرب ، الله ، الوطن الام وابنها الصغير ، الثعلب والغراب ، اغرودة العنليب ، البلبل والورد الدب والذئب الهرم وغيرها .

(١) انظر كامل كيلاني في مرآة التاريخ لمجموعة من المؤلفين ، ط. المكتبة الكيلانية ، القاهرة ١٩٦٢ م

وفي عام ١٩٣٤ أصدر الأب نقولا المخلصي كتابه " أمثال لافونتين" والذي تضمن زهاء مائة وثماني عشرة خرافة من خرافات لافونتين ، في نظم شعري يقوم علي محاكاة شبه كاملة لحكايات لافونتين الخرافية ، وتعد محاولة الأب نقولا المخلص أبرز البدايات في أدب الطفل في لبنان ، وفي عام ١٩٣٤ شهدت مصر ايضا ، إهتماما ادبيا بالطفل حينما أصدر محمد سعيد العريان مجموعة من القصص المدرسية بالاشتراك مع زميليه دويدار ومحمد زهران، وكان هذا الانتاج القصصي يتناغم مع جهود محمد الهراوي وكامل كيلاني في الشعر والقصة الشعرية .

استمرت المجلات المدرسية في بغداد تهتم بأدب الطفل ، مع مجلات الأطفال العامة وبخاصة مجلة " الفتوة، التي نشرت منظومات شعرية للاطفال فنشرت للشاعرد. أحمد حقي الحلي (-١٩١٧م) وللشاعر عبد الستار القرة غولي بين أعوام ١٩٣٠ - ١٩٣٤ . وقد جاءت منظومات د. أحمد الحلي في أغلبها علي ألسنة الحيوان والطير كما تضمن بعضها عظات أخلاقية والوطنية ، وقد جمعها بين دفتي كتابة المرسوم " المحفوظات الطفلية " ونشره في جزءين عام ١٩٥٢ ، ولم تجمع منظومات الشاعر عبد الستار القرة غولي التي اشرنا اليهاآنفا، فيكتاب مستقل ، والتي سبق أن تنشر منظومات متفرقة خلال عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٥ وكانت مجلة " ابولو" الادبية في مصر منبرا للفنون الأدبية ، فكانت تنشر للشعراء والكتاب ، المقطوعات الشعرية تحت باب " شعر الاطفال " وأشهر من كتبوا في هذا المنبر كامل الكيلاني . الصاوي شعلان ، وبركة محمد . وعلي عبد العظيم . وإستمرت مجلة ابولو تنشر المنظومات الشعرية للاطفال الي ان احتجبت عام ١٩٣٤ ثم يضع الشاعر اللبناني جبران النحاس ديوانه الموسوم" تطريب العندليب " الذي اصدره عام ١٩٤٠ وهي مقطوعات شعرية للاطفال تأثر نظمها لحكايات لافونتين الخرافية ، والتراث الشرقي الأدبي ، فجاءت منظوماته تحت دائرة" اللون القصصي الشعري " الذي راده امحمد عثمان جلال في كتابه : العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ بهدف تعليمي وأخلاقي . وفي عام ١٩٤٤ أصدر محمد محمود رضوان مجموعة مسرحيات دينية لتلاميذ المدارس في قالب فني * ، مما شجع حركة التأليف للمسرح المدرسي والتمثيليات المدرسية ، وبعد تلك المحاولة توالت المؤلفات الخاصة بأدب الطفل ، في القصة ، وفي الشعروالمسرحية وغيرها من فنون أدب الطفل . ونستطيع الوقوف عند تلك الفترة الزمنية التي حاولنا خلالها رصد البعد التاريخي لنشأة أدب الطفل العربي الحديث فترة زمنية امتدت من

---

* ظهر فى تلك الفترة لمحمود أبى الوفا منظومات واناشيد جمعت فى ديوان للأطفال وفى أعماله الشعرية الكاملة

منتصف القرن الماضي الى ثورة يوليو ١٩٥٢ م ويمكن القول أن نتاج أدب الطفل تمحور عند ظاهرتين :

أولاهما : (الترجمة) والإقتباس والمحاكاة عن الآداب الأجنبية في الشعر والنثر .

والثانية : (التاليف) الشعري والقصص التمثيلي (المسرحي) فالظاهرة الأولي كان رجالها يحاكون ويقتبسون ويترجمون عن الآداب الأجنبية في مجال أدب الأطفال والفتيان وبخاصة حكايات لافونتين وأيسوب وغيرهما ، أما الظاهرة الثانية فقد بدأ رجالها ينشئون في بيئتهم العربية منظومات شعرية وحكايات قصصية ومسرحيات دينية خاصة بالأطفال في أصالة ووعي كبيرين .

لقد بدأت الظاهرة الأولي في الزوال التدريجي بتأثير النمو المطرد لحركة التأليف الواسعة الممثلة للظاهرة الثانية وبخاصة في العقود الأربعة الأخيرة من القرن الحالي ، بقيت الاشارة الي ان رصدنا للبعد التاريخي في مجال أدب الطفل توفر علي استقراء التطور الزمني عند كتابة خارج امنهج المدرسي المتضمن بين ثناياه الأناشيد والمقطوعات والقصائد والقصص لأن مؤشرات الكتابة الابداعية للطفل خارج العملية التعليمية تخلق لنا بداية المناخ الملائم لأدب الطفل .

عرفنا ونحن نستقريء نشأة أدب الطفل وتطوره في الأدب العربي حديث ، الإرهاصات المبكرة التي شهدت ميلاد هذا اللون الأدبي المستحدث ، وقد خرجت اصوله الأولي كجنس أدبي من بين ثنايا التربية في إطارها المدرسي ، كما ظهرت في الدوريات العامة والمتخصصة لأول مرة في تاريخ الأدب العربي الحديث ، المفاهيم والعناوين والمقالات التى تتآزرمع النتاج الأدبي للطفل الدالة علي دوران – أدب وأدبيات الطفل – في مناخنا الثقافي العام ، واستتبع ذلك قيام حركة تأليفية نشطة حول هذا اللون الأدبي المستحدث ، قامت في البداية علي الترجمة والإقتباس والمحاكاة للاداب الأجنبية ثم انتقلت منذ عشرينات القرن الحالي الي طور التأليف المستقل في مجال أدب الطفل .

وفي أخريات الأربعينيات من هذا القرن ، كانت البيئة العربية تلتفت الي جانب حيوي يتصل بالدراسات العامة لمعرفة الخصائص الدالة علي ادب الطفل كجنس أدبي له علاقات ترابطية بعلوم شتي كعلم نفس النمو ونظريات التربية الحديثة وسيكولوجية القراءة ومباحث

الانقرائية ومع هذه العلوم برزت نتائج جديدة خاصة باللغة وتحليل محتوي (مضمون) ادبيات الطفل وبالتالي ظهرت المؤلفات في المكتبة العربية التي تتناول القضايا الرئيسية لأدب الطفل في البداية أصدر الباحث محمد لطفي أول دراسة عربية خاصة بالقراءة والانقرائية عند الطفل متضمنة نتائج بحوث ميدانية أجراها علي الطفل المصري ، وأوضحت تلك الدراسة الرائدة العوامل التي تؤدي الي سهولة أو صعوبة المادة المقرؤة مثل بعد المادة المقدمة للطفل عن مجال خبراته ، وتقديم مفردات لغوية مزلوفة لديه ، وتعقيد تركيب الجمل والفقرات ، ثم صعوبه أفكار المادة المقروءة علي ادراك الطفل ، وأفادت الدراسة كتاب الطفولة في إمكانية توخي السهولة وتبسيط المعجم اللغوي ، وليس من غير شك أننا واجدون عشرات المقالات الخاصة بالقراءة والإنقرائية قبل ان ينشرمحمد لطفي دراسته [1] في كتاب مستقل وتوزعت هذه المقالات المتفرقة علي المجلات المدرسية والتربوية ، والمجلات الادبية* ومع ذلك فالمكتبة العربية المعاصرة تنتظر دراسات متعمقة حول ذلك الرافد الهام بحيث تتناول الميول والأتجاهات الأدبية والفنية عند الناشئة من خلال تذوق وقراءة النصوص المقدمة للطفل ومن طريق بحوث الذكاء والموهبة ، والجنس والوراثة والصوتيات ، والفروق الفردية عند الاطفال وعلاقتها جميعا بالطفل وثقافته ، لان معظم المؤلفات العربيه ** في هذا المجال توفرت علي جانب الدراسات البيلوجرافية والخدمات التربوية المكتبية ، وتقنيات طباعة وإخراج مادة ، أدب الطفل ، وأما الإستقراء العلمي لميول الأطفال فيما يش وقـ م أ يـ سعـ ـ . ليم م ـ ن نصوص أدبية فهو ما نرجوه من رجال هذا المجال وبالتالي المساهمة فـــــي تقديم ما يلائم الأطفال من أدب خاص بهم ، والمحاولة الثانية فــي مجال المؤلفات العامة ذات العلاقة بأدب الطفل ظهرت فـــــي مصر عـــــام

---

1) See :Lutfi, Mohamed Changes needed in Egyptian School Raders to increas their value medie of instruction chicago,1948.

* انظر : عدد من مجلة التربية الحديثة (مصر) يناير ١٩٢٨م ، ع ٩ مجلة الثقافة يوليو ١٩٣٩ م ، يونيه ١٩٤٩ م المعلم العربي (سوريا) ع ٣٢١ : ١٩٥٧ م توال تبعد ذلك المقالات في الاديب البيروتية ، الهلال القاهرية ، العربية الكويتية ، الدوحة ، الفيصل السعودية وغيرها من الدوريات العامة والمتخصصة

** انظر التربية المكتبية : احمد نجيب ومدحت كاظم ، دار غريب ١٩٧٤ (الاطفال يقرأون) هدي برادة (بالاشتراك) هيئة الكتاب ١٩٧٤ ، والخدمة المكتبية العامة للاطفال ، سهير محفوظ ، آداب القاهـــــرة ١٩٧٥ م ،

١٩٥٦من خلال كتاب حمل عنوانا طويلا وهو كتب القصة في التربية (١) . وهو من الكتب التي أسهمت بفاعلية في تحريك الادب الي عامل الحسم في التربية الوجدانيةللطفل قد وضع مولفه أسس العلاقة بين الأدب والتربية من خلال الادب كوسيلة وجدانية موثرة، وقد ناقش الكتـــــاب أهمية النص الادبي في بناء شخصية الطفل مع تعرض الكتاب للقواعد الفنية للنص وأساليب وعناصر الحكاية في مجال أدب الطفل ، وأعقب ذلك ظهور كتاب " فن الكتابة للأطفال" (٢) الذي اصدره أحمدنجيب عام ١٩٦٨ ، والكتاب عبارة عن أشتات مجتمعات من الأفكار الممتازة حول كيفية الكتابة للطفل وأساليب طباعة وإخراج كتب الأطفال ، وقد فجر المؤلف في هذا الكتاب العديد من القضايا الفنية والطباعية الهامة ومع ذلك فقد وعرض بعضها في عجالة في حين أنها تتطلب العمق والتأصيل ، وبخاصة ما يلائم كل كل طور من أطوار مرحلة الطفولة من أنواع أدبية ، ويحسب لهذا الكتاب أنه نبه الي بعض الأسس والمعايير التي تصلح للحكم علي النصوص أو الانواع الادبية ، والاشارة الي ما يلائم تذوق الطفل واستيعابه لتقنيات الطباعة المستخدمة في إعداد كتب الاطفال . ولعل أهم كتاب اقترب من مفهوم أدب الأطفال هو الذي نشرته الجامعة الليبية عام ١٩٧٣ بعنايةكلية التربية بطرابلس وعنونه مؤلفه د. علي الحديدي بـ(الأدب وبناء الإنسان) وهو تتمة لجهود مؤلفه في الحقل التدريسي بكلية البنات بجامعة عين شمس والتي يتوفرأحد أقسامهاالعلمية لدراسة الطفولة من ناحية وتكملة لمقالة مطولة نشرها بمجلة كلية التربية بالجامعة الليبية عام١٩٧٢ ، والكتاب في مجمله دراسة حول الأدب والطفل بشكل عام ، والادب القصصي والطفولة بصورةأدق ، ومهما يكن من شيء فإن جهد المولف في تتبع نتاج أدب الطفل ومفاهيمه في الأدبين العربي والاجنبي ، ومناقشته لتاريخ أدبيات الطفل وبخاصة الأدب القصصي – تعد من – فهو أول ما قدم من دراسات أدبية تربوية للمكتبة العربية في مجال أدب الطفولة ، وبرغم ذلك فان الكتاب لم يعمـــق بعض القضايا التـــي طرحهـــا (كموضوع الشعر والاطفال)* الذي قدمه المؤلف في صفحات قليلة متسرعة من كتابه ، ويبدو أن الفكرة الكتاب الاصلية كانت قائمة في أساسها علي أجناس أدبية محددة مثل القصص والحكايات في الاطارالفني والتربوي ، كما أن المؤلف توسع في عدد

(١) القصة في التربية ، أصولها النفسية ، تطورها ، مادتها ، طريقة سردها ، د. عبد العزيز عبد المجيد . طـ ١ دار المعارف ١٩٥٦ م.

(٢) فن الكتابة للاطفال ، أحمد نجيب ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٨ م.

* عمق المؤلف بالتأصيل والتحليل هذا الموضوع في أطروحته للدكتوراه .

الموضوعات والقضـــــايا التي طرحها في كتابه وبرغم هذا فقد ألفينا في فصول هذا الكتاب الرؤي المتجددة حول الأدب التعليمي والتاريخ الأدبي لهذا الجنس الأدبي المستحدث (أدب الطفولة) ونتفا من الآراء والمفاهيم النقدية ألفيناها بين ثنايا موضوعات الكتاب . ومن ناحية أخري ألفينا د. علي الحديدي يطرح في كتابه فكرة الأدب وطفل السنتين ، الأدب وطفل الثالثة . الأدب وطفل الرابعة .

ومع ذلك رأيناه يعبر - سريعا - فوق قنطرة هذه الموضوعات الهامة المتعلقة برياض الاطفال الي رؤس موضوعات أخري جديدة . وفي العراق صدر في عام ١٩٧٧ أحد الكتبالهامة للدكتور هادي نعمان الهيتي جعل عنوانه " أدب الطفولة؛ ، فسفلته، فنونه ، وسائطه " [١] والكتاب في مجمله إضافة جديدة في ميدان أدب الطفولة ، فالكتاب يتسم بغزارة مادته وتنوع مقاصدها ، فقد استعرض المؤلف في كتابه (الوسائط) الأدبية ، فالكتب يتسم بغزارة مادته وتنوع مقاصدها ، فقد اسعرض المؤلف في كتابه (الوسائط) الأدبية كالكتب والموسوعات والمعاجم ، والوسائل الاعلامية كالصحافة العامة والصحافة المتخصصة للطفل والبرامج المسموعة والمرئية ، وكنا نود لو احتفل المؤلف بدراسة الاجناس الأدبية وكذلك مسرح الطفـــل (دراسة ادبية متعمقة) علي نحو ما تناول في عمق وتحليل مفاهيم جمهور الطفولة والميول القرائية والوسائط الإعلامية والثقافية وغيرها من الموضوعات ذات العلاقة بالطفل . ومهما يكن منشيء فان صوت شعر الطفولة* . في هذا الكتاب الذي يحمل عنوانا أدبيا براقا (ادب الاطفال) لم يسود غير سوي بضع صفحات من الباب الثالث ويبدو أن مؤلفه قد تدارك ذلك في كتاب جديد اسمـــه " ثقافة الأطفال " [٢] الذي صدر عام ١٩٨٨ وأرعم أنه إضافة قيمة للدراسات الأكاديمية حول أدب الطفل العربي .

---

(١) أدب الأطفال ، فلسفته ، فنونه ، وسائطه ، هادي نعمان الهيتي ، بغداد ١٩٧٧ م.

* تناول د. هادي نعمان الهيتي في كتابه المشار اليه شعر الطفولة فوق صفحات من ٢٠٧ الي ٢١٦ من جملة صفحات الكتاب التي بلغت زهاء ، ٤٤٣ وهو قدر ضئيل جدا بالقياس الي اجمالي صفحات الكتاب من ناحية والي عنوانه الأدبي من ناحية أخري .، وقد أسهمت د. هدى قناوى بكتابين هما (أدب الأطفال ، ووسائط الأطفال) وهما اضافة لحقل ادبيات الطفل ووسائطه مستعينه بخبرة ميدان علم النفس النمو والتذوق الأدبى الجمالي .

(٢) انظر : ثقافة الاطفال ، د هادي نعمان الهيتي ، ع ١٣٣ سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٩٨٨ م.

وفي عام ١٩٨٥ أصدر الشاعر أحمد سويلم (١٩٤٢-) دراسة عامة حول شعر الطفولة جعل عنوانها " أطفالنا في عيون الشعراء " وهي من المؤلفات الادبية المعاصرة التي تناولت أدب الطفل بعامة وشعر الطفولة بخاصة ، وقد فتحت هذه الدراسة العامة الأبواب الموصدة أمام المبدعين والدارسين حول الطفل وأدبه ومن خلال رؤية إبداعية تتناول القضايا الخاصة بهذا اللون الادبي ، ولا يعيب تلك الدراسة- فيما أري - سوى تناولها المتعجل لموضوعي : مفهوم الأدب ، وشعر الأطفال في التراث العربي ، والمرجح أن المؤلف لم يف هذين الموضعين حقهما من التأريخ والتحليل وليس معنى ذلك ان الدراسة قد أخفقت في طرح باقي قضاياها الخاصة بشعر الطفولة ، بل نعدها - في ضوء تناولها لباقي موضوعات الدراسة - أنها أقرب الدراسات العامة المعاصرة الى أدب الطفل العربي بمعناه الفني فقد نجح الشاعر/ المؤلف - ربما عن قصد - في الابتعاد عن الحشو التربوي والإملائي المتكررين في معظم الدراسات السابقة ، وتوجه الي فن الشعر - شعر الاطفال - يعرض لبعض نماذجه . من خلال تناوله لنتف مختارة في الأدبين القديم والجديد .

* * *

أدب الطفل العربي بين الواقع والطموح :

ربما استطعنا الوقوف علي ملامح صورة أدب الطفل العربي من خلال عرضنا لنشأته وملامح تطوره ، وهي ملامح متجددة ، وليس معني ذلك أن أدب الطفل العربي قد بلغ الكمال الفني الذي نرجوه له ، وأنما خطا خطوات واسعة وسديدة علي طريق تأصيله كجنس ادبي ، علي نحو ما الححنا في الصفحات للسابقة . إن ثمة قضايا مطروحة علي ساحة أدب الطفل العربي ، ابرزها تثبيت وجوده وتأصيل مفاهيمه ، وضرورة تغيير النظرة الأقل – للطفل ، ولأدب الطفل وكذلك ، ثم يلي اجراء البحوث العلمية حول " اشكالية الكتابة الادبية للطفل في بنيتها ومضمونها الأمر الذي يصل بنا في سلامة ويقظة الي عقل الطفل ووجدانه لنبث المحتوي الذي تهدفه عبر المنهج المدرسي من ناحية ومن خلال التذوق الحر للأنواع الادبية من ناحية أخري ، وفي حقيقة الأمر أن جهود الهيئات العالمية والقومية والوطنية ، تضع في برامجها المعاصرة العناية بالطفل العربي ، من مثل جهود منظمة (اليونسكو) و (اليونسيف) ، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة والمجلس العربي للطفولة والتنمية ، ومكتب التربية العربي لدول الخليج ، والدوائر الثقافية الوطنية لثقافة الطفل بمعظم الدول العربية * – وهي تستهدف جميعا – اعادة بناء الانسان العربي ، لذلك بدأت بقاعدة ذلك البناء ألا وهو الطفل ،، وما يثير الدهشة ، أنه وبعد مضي نحو قرن من الزمان ، علي الدعوة التي اطلقها أحمد شوقي لإرساء دعائم جنس أدبي الطفل فإن اساسات الثقافية العربية لم تخطط لحاضر أو مستقبل هذا الجنس الأدبي المستحدث ، **إن تكريس الخدمات الثقافية العامة للكبار أفقدالطفل العربي القدرة علي الإحساس الجمالي والإستثارةالوجدانية** وهذا لا تقلل من الاهمية الفائقة للمجالات التربوية ، والصحية والنفسية ، والرياضية ، والوسائل الإعلامية بالنسبة للتشكيل الوجداني والمعرفي للطفل **لكنه يجب الاحتفال بأهم وأخطر تلك الجوانب ألا وهو الأدب** . لا جدال علي أن الأدوار التي يمكن أن تلعبها مجلات الأطفال العربية بمثابة مشاعل هداية تنير عقل الطفل وتستثير وجدانه ، كذلك البرامج الهادفة " والمتعة " في الاذاعة والتلفزة ، إن الكبار معظم الكبار من الراشدين – لايفهمون " الثقافة " في معانيها الشائكة المتعددة وما زلنا نقدم للأطفال نتاج هذا المفهوم المركب من النتاج المعرفي والتاريخي والعلمي والاعلامي علي أنه ثقافة اطفال تارة ، وأدب أطفال تارة أخري ، فالبيئة العربية

* بالهيئة المصرية للكتاب مركز بحوث ادب الاطفال والمركز القومي لثقافة الطفل بمصر ، ودائرة ثقافةالاطفال بغداد ، المؤتمرات البحثيةدورها الفعاله حولتلك الجوانب .

مازالت تري في أدب الطفل ضربا من اللهو ، تعامله علي أنه أدني سوية من الأدب المكتوب للكبار (١) .

إن ما أشار إليه الناقد آنفا يشكل صعوبة تعترض ازدهار أدب الطفل العربي ، شأنها شأن عدم وعي كتاب الطفولة بخصائص النمو الانفعالي اللغوي والنفسي للطفل ، وربما جاءت قضية تأصيل مفهوم أدب الطفل * أو معناه الاصطلاحي أول القضايا التي عكف علي حسمها كثير من الدارسين ، وبخاصة في السنوات العشرة الإخيرة، يقول د. توفيق عزوز : " علي الرغم من شيوع اصطلاح أدب الطفل ، وقبول هذا الإصطلاح في مجالات البحث العلمي وفي دور المعارف والمراجع الأساسية إل أنه لا يمكن أن نفصل هذا الأدب والأدب المتخصص والموجه للأطفال عما يسمى بالأدب العام أو أدب الكبار ، وإن هذا الأدب العام يبقى مصدرا غنيا لمواد وكتابات تم اختيارها للأطفال وأية دراسة لتاريخ الادب تؤيد هذه الحقيقة ، فكثير من الكتابات التي لم توضع أصلا للصغار ، قد اقبل عليها الاطفال لأنها وجدت هوي في نفوسهم ، ولأن هذه الكتابات استطاعت أن ترضي حاجاتهم ورغباتهم وعلي مختلف مناحي نموهم المختلفة . (٢)

ويضيف الباحث الاردني روكس بن زايد العزيزي رؤية عصرية لهذا اللون الأدبي يذكر (ولا ترانا مبالغين إذا اسمينا القرن العشرين عصر المرأة والطفل كما هو عصر الذرة وريادة الفضاء ، لأن الإهتمام بالطفل غير مفاهيم التربية .. بل غير مفاهيم الحياة كلها وقد احتفي أدبنا بالطفل يوم اعتبر عالم الطفل عالما مقدسا ، فاتخذ الأدباء من الطفل منطلقا لبث آرائهم السياسية والاجتماعية ، وجعلوا الطفل رمزا للشعوب المستبعدة والطامحة الي الاستقلال ، ثم

---

(١) مجلة الشئون العربية ، ملف . ادب الطفل ، سمر روحي الفيصل ، ص ٢١٩ ، ط جامعة الدول العربية تونس ١٩٨٥ م.

* من أهداف البحث الرئيسية تعميق وتأصيل هذا المفهوم فى الأدبين القديم والجديد

(٢) جريدة الرأي الأردنية ، مقال في أدب لطفل لدكتور توفيق عزوز ، ع ١٩٧٩/٤/٢ م

اتخذوه رمزا للحرية ، ينشأ كما تنشأ ، وينمو كما تنمو) . (١)

إن مصطلح أدب الأطفال ذو دلالة مستحدثة ، فلم يتبلور في أدبنا العربي الحديث سواء من حيث " الكم " أم من حيث " الكيف " إلا في العقدين الاخيرين ، علي الرغم من أن الأرهاصات الأولي لهذا اللون الأدبي تعود الي بدايات القرن الحالي ، إذ أن أدب الأطفال كفن متميز لم يجد طريقه الى الأدب العربي قبل أحمد شوقي في الشعر وكامل كيلاني في القصة (٢) ثم بداية ظهور مجلات الطفل المتخصصة وتوفر بعض الأدباء العرب للكتابة للطفل .

وقد اجتهد الأديب السوري عادل ابو شنب في تحديد مفهوم أدب الأطفال فيذكر : (...يتحدد مفهوم أدب الأطفال ضمن معايير نظرية الأجناس الأدبية ، القصة والقصيدة والمسرحية وغيرها نمن الأنواع الأدبية ، بمعني اخر ضمن سمات وخصائص النص الأدبي ووفق هذا التصور يتم الفصل بين ما يكتب للأطفال من معارف ، وما يكتب لهم من أدب ، فبين أن نكتب للأطفال وبين أن تنشيء أدبا للأطفال فارق شاسع ....) (٣)

وإذا كانت اللغة بوضعها النسيج الذي يشكل قوام أي عمل أدبي ، فان كتاب الطفولة في العالم بحاجة ضرورية الي الوقوف عند نتائج البحوث اللغوية المعاصرة فيما يتعلق بالنمو اللغوي والقاموس (المعجم) اللغوي للطفل ، وعلم النفس اللغوي بحقائقه التي تدور حول ، الفهم والإدراك والذكاء ، والإكتساب ، والميل ، والتفكيروغيرها من الحقائق المتصلة بعالم الطفولة في أطوارها المختلفة إن اللغة في أحد مفاهيمهامهارة مكتسبة ، وفي ضوء ذلك فهذه المهارة بحاجة الي تنمية مضطردة وإذا كان كتاب الطفولة مطالبون بمراعاة قدرة حصيلة الطفـــــل اللغوية ،

---

(١) الطفل في الأدب العربي ، روكس العزيزي ، ص ٧٧٧ - ٨،٢. بحث لمؤتمر الأدباء ، العرب العاشر ، طـ وزارة الثقافة والاعلام ، الجزائر ١٩٧٥ م.

(٢) مجلة شئون عربية ، مقال ، اشكالية الكتابة للأطفال ، احمد المصلح ، ص ٣٢ - ٢٣١ .

(٣) أدب الأطفال في سوريا ، بحث مقدم لمؤتمر الأدباء العاشر ، عادب ابو شنب ، ج١ ص ٥٩٤ ،

فأنهم مطالبون كذلك بالإرتفاع بالطفل – وبالتدريج – الي مستويات لغوية أكثر رقيا لأن المستويات اللغوية التي تخاطب عقل الطفل وادراكه يجب ان تراعي نمو الطفل العقلي والجسمـــــــي والنفسي .إن الأناشيد القصيرة المنغمة التي يرددها الأطفال في (رياض الأطفال) تتسم بالبساطة اللغوية والايجاز الدال ، مع ثراء واضح في الإيقاع الموسيقي ، وتنأي أناشيد الأطفال وأغنياتهم في تلك المرحلة عن الخيال والجمل الطويلة وبعضاالمفردات الاكثر رقيا .وهي من السمات اللغوية والاسلوبية التى تتلاءم وأطفال مرحلتي الطفولة الوسطي والمتأخرة ، فلكل عمل أدبي مفرداته وتراكيبه اللغوية الخاصه به ، كما أن لكل طور من أطوار مرحلة الطفولة القاموس اللغوي الخاص به والتراكيب اللغويه الخاصه بها كذلك .ولا نستطيع وصف اللغه التي استعملها كتاب الطفولة ، بأنها لغة ملاءمة للأطفال كي يفهمونها ويقدرونها بسبب الخطأ المركب الذي يقع فيه معظم الكتاب وهي السهولة المبالغة في (التقريرية أو الخطابية المباشرة المقتربة من النثر) ، أو الصعوبة اللغوية بما تحمله اللغة من الفاظ غير مستعملة أو غريبة أو بناء الجمل الطويلة المركبة ، ونعد ذلك من تعقيد الاستعمال اللغوي من ناحية وتضمين الرمز المبالغ من ناحية ثانية ، لقد نجح بعض الكتاب – وهم قلة من المبدعين – في عدم الوقع كأسري تحت مظلة السهولة أو الصعوبة التي أشرنا اليها نذكر منهم علي سبيل المثال الشعراء العرب : فاروق سلوم (العراق) علي الشرقاوي * (البحرين) أحمد زرزور ، أحمد سويلم (مصر) ، سليمان العيسي وخليل خوري (سوريا) يوسف العظم (الأردن) محمد منذر (الكويت) وغيرهم .

كما نجح رواد الأدب القصصي للطفل في الأفلات من مشكلة التيسير اللغوي أو تعقيده ، نذكر من المعاصرين عبد التواب يوسف الأديب القصصي المصري – رائد ادب الاطفـــــال

---

* شاعر بحريني معاصر ، متعدد المواهب أصدر للاطفال ديوانه الموسوم · أغاني العصافير ، واتبعه ج ١ أغاني العصافير ، واتبعه برصيفة شجرة الاطفال ، طبع بعناية وزارة الاعلام البحرينية وأهم ما يميز شعره للأطفال احتفاله بالايقاع الصوتي المنغم ..

المعاصر – بمؤلفاته المتنوعة وبحوثه الجادة ، ايضا روضة الهدهد ومحمود شقير (الأردن) زكريا تامر (سوريا) محمد عدنان غنام (الكويت) وفي الشعر والمسرح الشعري الغنائي للطفل يتصدر هذا اللون الأدبي المستحدث سليمان العيسي وأحمد سويلم وحسيب كيالي وأحمد زرزور ومحمد السنهوتي وحسين علي محمد وعبد العليم القباني ويس الفيل وغيرهم ومازالت الآمال معقودة علي كوكبة أخري من المبدعين والدارسين لإرساء الخصائص اللغويه والنقدية لأدب الطفل العربي ، بمزيد من النتاج الإبداعي والبحثي حول الطفولة ، والافادة من المؤتمرات العلمية * العربية المنعقدة حول الطفولة وبخاصة المؤتمرات التي تتناول بالدرس والتحليل ادب الطفل العربي – لثقافته أو صحته العامة – وليس من غيرشك آن نتائج مثل هذه الحلقات البحثيه تضيف الى أدب الطفل من المكاسب مما يعدل ازدهار حركة التأليف الأدبي للطفل .إن أول خطوة جادة قطعها أدب الطفل – ونحن نتبع اصوله – هو إمكانية التمييز بين التربية والأدب من خلال الفصل بينهما فيما يتعلق بادب الطفل وهذا لا يعني فصل التعارض بينهما وأنما تكتسب التربية الإبداع الأدبي للطفل كمثير وجداني في العملية التعليمية ، فلم تعد السيادة للمحفوظات المدرسية الجامدة أو الاناشيد الخطابية الفجة وبل ألفينا أو أنفاس من روح شعر الطفولة تسري في أوصال الكتب المدرسية الأدبية جنبا الي جنب مع حكايات الأطفال وأقاصيصهم . أى أن أدب الطفل اكتسب مفهومه النظرى والتطبيقى .

لكن المثير للدهشة – بعد الخطوات الواعية التى قطعناها – أن تقوم الباحثة الأردنية هيفاء شرايحة بتعميم مفهوم أدب الأطفال قائلة . (أدب الطفولة لا يعني مجرد القصـــــــة أو

---

* انظر لمزيد من التافصيل : لبحوث مؤتمر ثقافة الطفل ، مركز التوثيق التربوي ، القاهرة . ١٩٧٠ ، بحوث مؤتمر الادباء العرب العاشر "الجزائر" طـ وزارة الثقافة ١٩٧٥ م ،. الحلقة الدراسية حول مسرح الطفل ، طـ هيئة الكتاب القاهرة ١٩٧٩ ، لغة الكتّاب للطفل ، طـ هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٨١ . كتب الاطفال في الدول العربية والنامية ، طـ هيئة الكتاب ١٩٨٣ م . الثقافة العلمية في كتب الاطفال ، ط هيئة الكتاب ١٩٨٤ ،.. أدب الاطفال في مواجهة الصهيونية ، طـ الجامعة الاردنية عامن ١٩٨٥ م أدب الاطفال في مواجهة الصهيونية (المؤتمر الثاني) طـ الجامعة الأردنية ، عمان ١٩٨٦ ، أدب الاطفال فــــــي دول الخليج العربية (البحرين بالتعاون مع اليونسكو) ١٩٨٥ طـ الرياض ١٩٨٧ ، أدب الاطفال ، لمن نكتب وكيف ؟ ندوة عربية موسعة نظمتها مجلة شئون عربية ، طـ جامعة الدرل العربية ، ونس ١٩٨٥ م الندوةالدولية لكتاب الطفل ، طـ هيئة الكتاب ، ١٩٨٧ م أطفالنا والتراث ، ندوة عربية ، طـ المجلي الاعلي للثقافة مصر ، ١٩٨٨ ، المؤتمر السنوي لأول للطفل المصري ، طـ مركز الدراسات الطفولة ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٨ م وغيرها

القصيدة ، وإنما يشمل جملة المعارف الانسانية ، إن كل ما كتب للأطفال سواء أكان قصصا أم مادة علمية ، أم تمثيليات في كتب أو مجلات تعني بها ادب الأطفال) (١) .

ويطرح د. عبد العزيز المقالح رؤيته حول صورة أدب الطفل في الأدب العربي القديم فيذكر (... فيما عدا المواقف التي كان فيها الطفل " موضوعا " لاطرفاً للأخذ والعطاء ، فإن أدبنا العربي القديم قد خلا من أدب الطفولة باستثناء تلك الأغاني الموسومة بأغاني المهد : أغاني ترقيص الأطفال ، وهي أدب تنغيمي ، قد يهم الموسيقيين ودارسي الحان الفلكلورية أكثر - ربما - مما يهم الدارسين من الأدباء) (٢) ومع ذلك ففي ادبنا العربي القديم المقطوعات الشعرية والحكايات القصصية التي تتوجه للطفل ، بل كان فيها الطفل طرفا ، ألفيناه شاعرا تارة ، ويرقص ويطرب على ايقاع الأغاني الشعرية القصيرة تارة أخرى ، مثلما كان الطفل " موضوعا " في صلب الحكاية أو الأرجوزة وهذا ما حاول الكتاب تأصيله بين يدى القراء .

ربما كانت قضية (المضمون) في أدب الطفل العربي هي المحور الذي تنطلق منه توجهتنا لتمهيد الطريق الصحيحة أمام الأجيال الناشئة ، ونحن نؤمن بأن الأطفال العرب لايخضعون في معظم الأحوال لتربية متكاملة ومتوازية ، فهم يعانون من الجمود والحشو وكثرة التعديل في المنهج المدرسي ، وإهمال جسيم في التربية الوجدانية ، مع قصور وتباين في أساليب التثقيف الذاتي والخارجي ، واستمرار عزوف كبار الأدباء عن الكتابة الأدبية للطفل ، كما أن صورة القيم المتباينة ، وصورة القدوة متغيرة غامضة وبالتالي فان القاعدة التي ينطلق منها أدب الطفل يجب ارتكازها على أسس راسخة واضحة ، فمن المعروف أن مضمون الأدب هو العمود الفقرى الذي يبعث فيه الحركة والحياة ، ويجب ان يسير في خط مواز مع (الشكل) المعبر عنه باللغة والقواعد والأساليب ، ليس هناك شك في أن هدف كاتب ادبيات الأطفال تقديم منظومة متكاملة من " القيم " غير أن هناك اختلافا قيميا في العالم كله ، فبعض القيم الأجنبية صالح للأطفال العرب ، وبعضها الأخر غير صالح ، إضافة الي أن القيم نابعة من توجيهات المجتمع والسياسة العامة فيه ، ولهذا السبب نري بعض الاختلاف بين الدول العربية في القيم المطروحة على أطفال كل قطر على حده ، وإن لم يكن هذا الاختلاف كبيرا ، وعلى اية حال فقد استنـــد

(١) أدب الاطفال ومكتباتهم ، هيفاء شرايحه، ص ٩ ، ط عمان ١٩٧٨.

(٢) الطفل في الادب العربي ، بحث مقدم لمؤتمر الادباء العرب العاشر ، د عبد العزيز المقالح ، ج ١ ص ٦٩١ - ٦٩٢ . ط وزارة الثقافة والاعالم ، الجزائر ، ١٩٧٥.

العرب الي تصنيف "وايت" Waitt للقيم ، وأدخلوا عليه بعض التعديلات ليتلاءم والوضع العربي . (١) إن ترسيخ القيم * الإيجابية المنشودة في وجدان الطفل العربي من أهم سمات المضمون الجيد ، ويجب علي كتاب الطفولة أن يعمقوا تلك القيم في عقول الاطفال وقلوبهم ، باسلوب فني يتلاءم وادراكهم ، ان الغزوة الإعلامية الأجنبية ومخاطرها الوافدة بمثابة خطرداهم يتهدد أجيالنا ، كما أن الثقافة الغازية تلاحق أبنائنافي أعقار بيوتهم بواسطة سلبيات الدوريات المترجمة التي لاتساعد الا علي تكوين شخصية مزورة في الطفل العربي . (٢)

أما قضية الرمز في أدب الأطفال ، فستظل ملازمة لهذا اللون الأدبي شريطة أن يكون الرمز في الحكاية أو المنظومة الشعرية من ا لسهولة بحيث يمكن التقاطه بسرعة ، لأن أتباع الرمز في النص الأدبي الموجه للطفل يحفز خياله بشكل صحيح ، فلا يمكننا أن نمحو الرمز في الأدب باعتبار ما يومىء اليه من ناحية وقدرته علي تنمية خيال الناشئة من ناحية اخري ، الصعوبة الوحيدة في قضية الرمز في أدب الاطفال ، هو مبالغة الكتاب في استعماله بحيث يستغلق علي الأفهام ، والطفولة حين تكون امتدادا للذات لا تقترن بالحاضر فقط ،ولكنها تمثل الماضي بنفس القوة التي تمثل فيها المستقبل ، فالكبار كانوا صغارا والصغار سيغدون كبارا وما يلحق بهذا أن يتحول الماضي والمستقبل الي ملجأ أو مخبأ يهرب اليه المرء فتكون الطفولة - الرمز - زجاجة شفافة لا لذاتها بانما توجد باعتبارها تومىء إليه . (٣)

وفي النهاية يمكننا القول بأن أدب الطفل العربي مازال ينمو - عقب ولادته الصحيحـــــة

---

(١) مجلة شئون عربية ، ملف أدب الطفل سمر روحي الفيصل ، ص ٢٢٣ طـ جامعة الدول العربية وتونس ١٩٨٥ م.

* مازالت دراسة تحليل المضمون في أدب الطفل العربي قليلة للغاية بالقياس مع الدراسات التاريخية والعامة والبيلوجرانية فابرز دراسات تحليل المضمون هي التي قدمها سمر روحى الفيصل " مشكلة القيم في قصص الاطفال السورية) وخلف الهيتي (القيم السائدة في صحافة الاطفال العراقية) وكافية رمضـــــان (تقويم قصص الاطفال في الكويت) د. سعد ظلام (الحكاية علي لسان الحيوان في شعر شوقي) وأهم ماتطرحه نتائج دراسات تحليل المضمون هو الوقوف علي القيم ، كالقيم : الاخلاقية ،الوطنية ، والترويحية ، والاجتماعية والمعرفية ، الثقافية ،وقيم تكامل الشخصية وغيرها .

(٢) جريدة الرأي الاردنية ، ثقافة الاطفال ، د. صالح الخرفي ، ع ٧ ديسمبر ١٩٧٩ م.

(٣) الطفولة في الشعر العراقي الحديث ، بحث مقدم لمؤتمر الادباء العرب العاشر ، عبد الجبار البصري ،ج١ ، ص ٦٢٩ ، طـ وزارة الثقافة والاعلام ، الجزائر ، ١٩٧٥ م .

اليافعة كجنس أدبي يندرج تحت مظلة الأدب العام ، ومن ثم بقي علي المبدعين والباحثين تكريس مؤلفاتهم ودراساتهم في إطار هذا اللون الأدبي المستحدث ، كما يجب أن يحرص رجال االتربية علي التوسع في استثارة ميول الطفل الوجدانية فوق خارطة المنهج المدرسي ، ولو تطلب الامر الحذف والتعديل اللازمين ، ان الاختيار والتعقيد النظرى الممزوج بالنتاج التطبيقى السديد للنصوص الأدبية للطفل هو حجر الزاوية في هذا المجال .

إن الطفولة تعني المستقبل ، وواجبنا بناء طفولة سليمة الجسد والروح ، صحيحة الأخلاق ، قد لقنت شيم الرجولة وخصال الفتوة وبهة الحياة ، ومعرفة الحاضر ، والاستعداد لمواجهة المستقبل وأدبنا العربي ، أحد وسائلنا الي تلك الغايات ، وإن يتم الازدهار المأمول لأدب الطفل العربي الا بمزيد من الدراسات المتعمقة حول تحليل المضمون في هذا اللون الأدبي ، والدراسات الأسلوبية والدلالية في حقل نقد ادبيات الطفولة فضلا عن الدراسات الأدبية المقارنة مع الآداب العالمية في هذا المجال .

ملاحق الكتاب

(١) تقرير مقدم للسيد رئيس الجمهورية حول الشعر للأطفال .

(٢) مخطوطات حول أدبيات الطفولة في القرنين الماضي والحالي .

(٣) أغلفة (كتب ودواوين) لاسهامات المحدثين والمعاصرين .

الحلقة الدراسية حول "مسرح الطفل"
(١٧ - ٢٠ ديسمبر ١٩٧٧)



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٦

دراسات فى أدب الطفولة

شعر الأطفال

إعداد وتقديم

عبد التواب يوسف

بأقلام

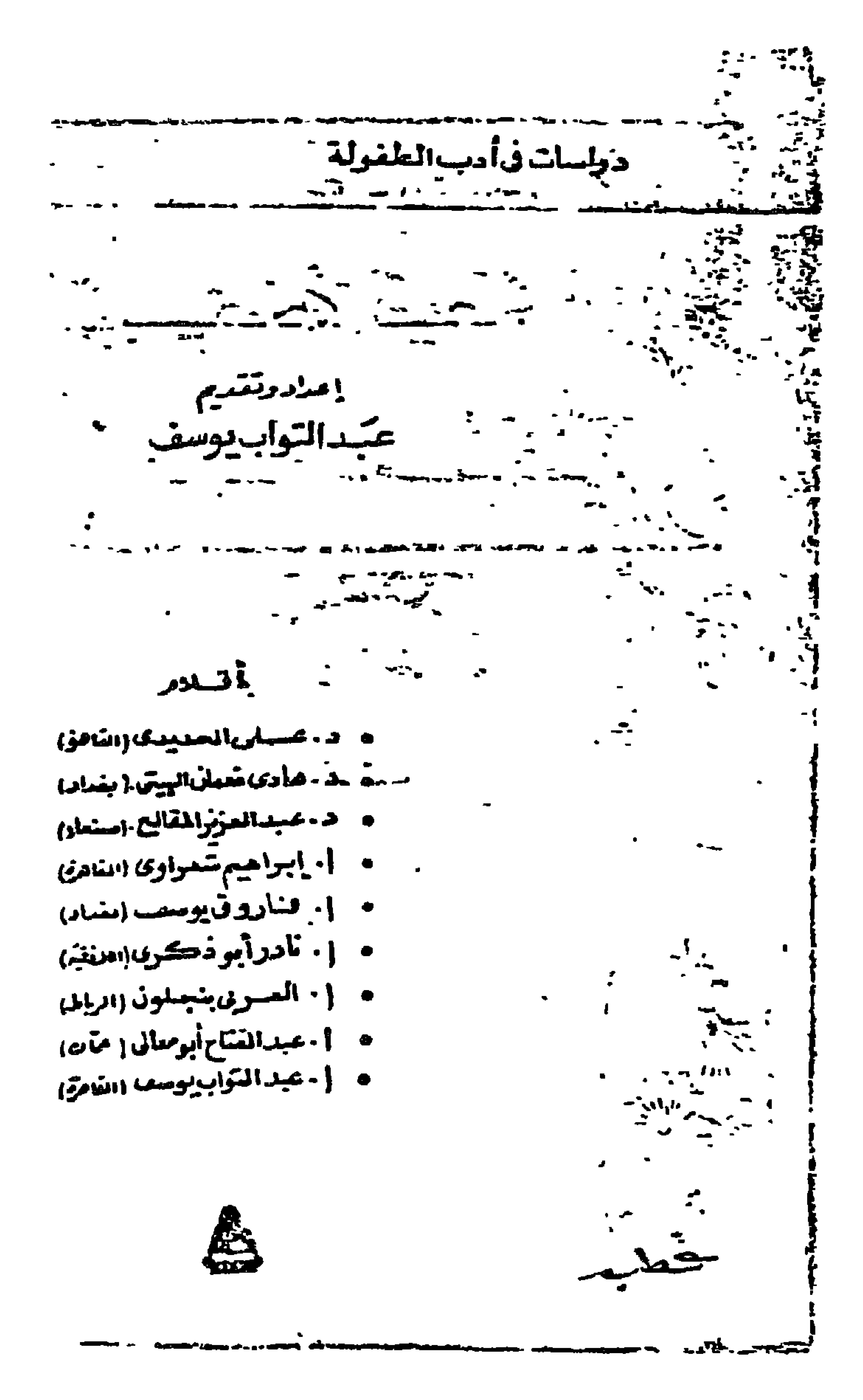
- د. على الحديدى (القاهرة)
- د. هادى نعمان الهيتى (بغداد)
- د. عبد العزيز المقالح (صنعاء)
- أ. إبراهيم شعراوى (القاهرة)
- أ. فاروق يوسف (بغداد)
- أ. نادر أبو ذكرى (اللاذقية)
- أ. العربى بنجلون (الرباط)
- أ. عبد الفتاح أبو معالى (عمان)
- أ. عبد التواب يوسف (القاهرة)



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٨


الطفل والشعر
ديوان كامل كيلاني للأطفال
إعداد ودراسة: عبد التواب يوسف
بريشة: محمد قطب



دراسات في أدب الطفولة
إعداد وتقديم
عبد التواب يوسف
أقلام
د. علي الحديدي (القاهرة)
د. هادي نعمان الهيتي (بغداد)
د. عبد العزيز المقالح (صنعاء)
أ. إبراهيم شعراوي (القاهرة)
أ. فاروق يوسف (بغداد)
أ. نادر أبو ذكري (الدوحة)
أ. العربي بنجلون (الرباط)
أ. عبد الفتاح أبو معالي (عمان)
أ. عبد التواب يوسف (القاهرة)

وزارة المعارف العمومية

كتاب الغناء للأطفال عند العرب

تأليف

الدكتور أحمد عيسى بك

القاهرة

طبع المطبعة الأميرية ببولاق

١٣٥٤ هـ

١٩٣٦ م

صفحة غلاف "الطبعة الأولى (١٣١٣هـ) من "العيون اليواقظ"

العيون اليواقظ

في الأمثال والمواعظ

لمؤلفه ... محمد عثمان جلال

(تقريظ المؤلف)

بدت لرشاد من كتابي أسطرا　وفيه النسيم على محيّاه سرى
عرى دوالروض النضير وعوده　بديع ضروب الأمثال أصبح أخضرا
لديه النكات مع المواعظ أبدعت　وقوام بل الجهل منه أقصرا
فقوم الى أسد أحدثكم به　والنصح أغلى ما يباع ويشترى
فإذا لكم منه أية أحدثه　أصغت لديكم ما تقدم وكذا
وجات لكم في الخائنين عرائسا　من بث مجد الأصاغر لا ترى
وفي الدرا في صيد كل غنيمة　والصيد كل الصيد في جوف الفرا

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

(الطبعة الأولى)

بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣١٣

هجرية

وصفحة الختام الأخيرة للطباعة بطابع الحفر

الخاتمة

من الكتاب حين تم الطبع　تكلم الذئب له والسبع
وخجل الغراب فيه الثعلب　وغلب الليث العظيم الأرنب
فكل ما يقال عن البهائم　مقصده التعليم لابن آدم
حوادث الأزمان فيه جمعت　في حكم برونقها قد لمعت
وجمعه زحزح ليل الجهل　بكل تركيب لطيف سهل
وازداد بهجة بوجه الصور　كالعين تزداد جمالا بالحور
في ظل من تفخر به الناس　وهو خديو مصرنا عباس
أيده الله بأيد النصر　في مصر بهذا وكل عصر
يقرؤه في سائر المدارس　لأنه من أحسن المغارس
وينثني الحمد به والشكرا　من كل من ينظره ويقرا

يقول خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة البهية ببولاق مصر المعزية الفقير إلى الله تعالى محمد الحسيني أعانه الله على أداء واجبه الكفائي والعيني

بحمد الله تم طبع هذه الحكايات الشهية واللطائف الأدبية والنكات الحكمية المسماة (بالعيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ) صنعة شاعر النثر اللطيف المتقن الظريف رضيع لبان الأدب الجامع بين نوابغ الحكم ورقائق العرب حسان هذا الزمان حضرة محمد بك عثمان على ذمته حفظه الله ومن كل سوء وقاه بالمطبعة الزاهية الزاهرة ببولاق مصر القاهرة وكان حفر صوره على يد عطية أفندي حبشي بمدرسة العمليات في ظل الحضرة الفخيمة الخديوية وعهد الطلعة البهية العباسية من بلغت به رعيته غاية الأماني أفندينا المعظم عباس باشا حلمي الثاني

محاولات كامل كيلاني للكتابة الشعرية للأطفال

(لاحظ التكرار بين المقطعين مع اختلاف العبارات)

أنتِ جوادي

أنتِ جوادي   وأنا الحادي

ليس لشكلي   من أنداد

غيرُ شقيقي   عبرِ الوادي

..

ما أنجبنا   في الأولاد

ما أمجدنا   في الأمجاد

كم أطعمنا   من حصاد

وتزرعنا   حقل النادي

نشيد الأرجوحة

أنتِ جوادي   وأنا الحادي

ليس لشكلي   من أنداد

غيرُ شقيقي   عبرِ الوادي

ما أنجبنا   في الأولاد

ما أمجدنا   في الأمجاد

..

كم أطعمنا   من حصاد

وتزرعنا   حقل النادي

أنتِ جوادي   وأنا الحادي

هادٍ بادٍ   في بغداد

آخر اصدارات محمد الهراوى من (شعر الطفولة الدينى) ، ط لعهد فاروق.

محفوظات الأطفال

الشعر السهل والشعر الملون

أنباء الرسل

تأليف

محمد الهراوى

غلاف مخطوط لديوان كامل كيلانى للأطفال – لم يطبع إلا بعد وفاته بنحو ثلاثين سنة ، تحقيق عبد التواب يوسف .

ديوان الأطفال

نظم

كامل كيلانى

الجزء الأول و الجزء الثانى

غلاف الطبعة الأولى من (الذئب والغنم) و (حلم الطفل ليلة العيد) للهراوى

مسرح الأطفال

رواية

الذئب والغنم

تمثيلية غنائية بالشعر

ذات فصل واحد

تأليف

محمد الهراوى

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م

مسرح الأطفال

المقطوعة الثانية

رواية

حلم الطفل ليلة العيد

"ذات فصلين"

للمطالعة والتمثيل

تأليف

محمد الهراوى

(الطبعة الأولى)

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م

الثمن ٢٠ مليما

صفحة إهداء ديوان (آداب العرب) لإبراهيم بك العرب ، وصفحة الختام ، ط ١٩١١م.

اهداء الكتاب

للجناب العالي عباس باشا حلمي الثاني خديو مصر

أدب في كتاب ونظم جليل ... ليس في بابه له من مثيل

حكمة كله ونصح وأمثا ... ل هدى يهتدي بها كل جيل

علم الناس كيف تكتسب الأخـ ... ـلاق حسنا وكيف حفظ الجميل

يدخل الأذن غير مستعذر لاذ ... ي دخول النسيم جنح الأصيل

قل لأدنيه قد وجدت جديدا ... من قديم مشهر وخامل

يا عزيز البلاد إن كتابي ... منك يحظى بالحب الجليل

إن تنله بالقبول يتفاءل ... بدء هذا القبول بالتقبيل

لا تعبه إن لم تجد كنت الجز ... ل ولا نائلك الكثير الجليل

واغتفر قلة الهدية عنه ... إن جهد المقل غير قليل

الخاتمة

وهذه جمل مملوءة حكما ... من دون تفسيرها الند والعود

تحرجت فيها عن التعقيد معتقدا ... أن السهولة فيها الخير معقود

يسابق الذهن معناها مبادرة ... كأنه قبل وقع اللفظ موجود

فيها فنون كألوان الربا حملت ... بحسن زهر عليها الدر منضود

تسبي الليالي كما تغني البلابل كم ... تروح النفس لا دف ولا عود

على لسان وحوش القفر أسردها ... والصدق في الوحش دون الإنس معهود

هي الحرية أن تحدو الحداة بها ... وأن تميد بها المهرية القود

تخالها وثمار الروض في نظم ... أو كالرقاب إذا جادت به الجيد

أمثال صدق تجلت لا مثيل لها ... معنى صحيح ولفظ فيه تجويد

فيها النصح والأغراض شاهدة ... وفي لسان المعنى لحق تأييد



المركز القومي لثقافة الطفل
محمد الهراوي
شاعر الأطفال
تحقيق ودراسة
أحمد سويلم
تصميم الغلاف عادل البطراوي

فقرات من تقرير مقدم الى السيد رئيس الجمهورية
حول (الشعرفى المدارس)تقدم من المجلس القومى للثقافة والفنون والآداب والإعلام . ط المجالس القومية المتخصصة ، الدورة السابعة ، يوليو ١٩٨٦ م.*

(* انظر التقرير ص ص ٥٩ - ٦١)

كان من الواجب العناية بتدريس الشعر فى مختلف مراحل الدراسة عناية تكفل اقبال التلاميذ عليه . واستيعابهم له ، وحرصهم على حفظه ، ومن ثم التأثر به ، والاستجابة الى ما يوجه لهم من احساس بالجمال وسمو العاطفة ، وما يدفع اليه من رقة الشعـــور واستواء فى السلوك ، واحترام للعلاقات الانسانية .

وقد لوحظ أن مناهج تدريس الشعر فى المدارس سواء من ناحية اختيار النماذج أو من ناحية أسلوب التدريس لا تحقق الغاية المنشودة . بل يغلب على التلاميذ الميل الى الانصراف عن الشعر والضيق به والتبرم من حفظ ما يفرض منه .

مراجعة كتب المناهج :

وبمراجعة الكتب المقررة فى مناهج تدريس الشعر فى مادة القراءة والنصوص فى المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية ، اتضح انها وضعت على الأسس التالية : ، يتم اختيار النماذج المقررة على أساس مراعاة تدريس سمات العصر الأدبي ، وتلقين قواعد النحو والبلاغة . ومن ثم يصبح تدريس الشعر وسيلة لا غاية فى ذاته ، وهذا يفقد الشعر الكثير من حيويته وتأثيره وتقصى بواعث الجمال فيه لذاته .

طريقة تدريس الشعر :

ولا يقل أهمية عن أعداد المدرس القادر ، وتوفير الكتاب الملائم ، أسلوب تدريس الشعر ، اذ يجب أن يكون تدريس الشعر واختيار نماذجه لذات الشعر خالصا ، ولا تختار النصوص اساسا بوصفها مجرد أمثلة ونماذج تدريس تاريخ الأدب وفنون البلاغة ودروس النحو ، كما هو حادث الآن فى أغلب الكتب المقررة . وقد تتداخل المناهج وتتعدد البرامج ويخدم بعضها الآخر ، وهذا لا تترتب عليه ، اذا استعمل بذكاء ومهارة ، ولكن يجب مراعاة أن يكون الشعر أولا ، وأن يكون الهدف هو ابراز جماله وترسيخ معانيه ، واثارة وجدان التلاميذ وملء مشاعرهم به ، ثم تأتى بعد ذلك الأغراض الأخرى المطلوبه .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

- صحيح البخاري .

- السيرة النبوية لابن هشام .

كتب المعاجم والقواميس :

١ - لسان العرب .

٢ - مختار الصحاح .

٣ - المصباح المنير .

٤ - المعجم والوجيز .

٥ - معجم مصطلحات الادب (د. مجدي وهبه).

٦ - قاموس علم الاجتماع (د. عاطف غيث (بالاشتراك) .

كتب التراث :

١ - البيان والتبيين للجاحظ .

٢- الامالي لأبي علي القالي .

٣ - محاضرات الادباء للراغب الاصفهاني .

٤ - طبقات ابن سعد .

٥ - العمدة لابن رشيق .

٦- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام.

٧ – الشعر والشعراء لابن قتيبه ، بتحقيق احمد محمد شاكر ،

٨ – ثمار القلوب للثعالبي .

٩ – نهاية الأرب للنويرى .

١٠ – محاضرة الأبرار ومسامرة الاخيار لابن عربي .

١١ – نهاية الرتبة لابن بسام، بتحقيق حسام الدين السامرائي .

١٢ – المستطرف في كل مستظرف للابشيهي .

١٣ – الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني .

١٤ – خزانة الادب لابن حجة الحموي .

١٥ – المفضليات ، للمفضل الضبي .

١٦– الكامل ، للمبرد .

١٧ – معجم الادباء لياقوت الحموي .

١٨ – الاغاني ، للاصبهاني .

١٩ – مجالس ثعلب ، لأبي العباس بن يحيي.

٢٠ – حياة الحيوان الكبري للدميري .

٢١ – الاخلاق والسير لابن حزم ، بتحقيق ، د. الطاهر مكي

٢٢ – الاقتضاب في شرح ادب الكتاب ، للبطليوسي ، بتحقيق ، مصطفي السقا حامد عبد المجيد .

٢٣ – وفيات الاعيان لابن خلكان .

٢٤ – كتاب السياسة لارسطو ، بتعليق الاب يونس معروف اليسوعي .

٢٥ – الكشاف للزمخشري .

٢٦ – مقدمة ابن خلدون ، نشر طـ دار الشعب .

٢٧ – الحماسة لابي تمام ، شرح التبريزي .

٢٨ – ايام العرب في الجاهلية ، لمحمد احمد جاد المولي وآخرون .

٢٩ – مقامات الهمذاني ، بشرح الشيخ محمد عبده .

٣٠ – العقد الفريد لابن عبد ربه .

٣١ – احياء علوم الدين للغزالي .

٣٢ – ايها الولد المحب للغزالي .

٣٣– ديوان ابن الرومي ، تحقيق ، د. حسين نصار .

٣٤ – ديوان الصنوبري ، تحقيق ، د. احسان عباس .

٣٥ – كليلة ودمنه ، لابن المقفع .

٣٦ – كشف اصطلاحات الفنون ، للتهانوي .

٣٧ – تأديب الناشئين ، لابن عبد ربه الاندلسي ، بتحقيق محمد ابراهيم سليم .

٣٨ – ديوان البحتري ، بتحقيق حسن كامل الصيرفي .

٣٩ – المغرب في حلي المغرب لابن سعيد الاندلسي ، بتحقيق د. شوقي ضيف .

٤٠ – الاصمعيات للاصمعي .

٤١ – كتاب الزينه ، لابي حاتم الرازي ، طـ القاهرة .

المراجع الحديثة والمعاصرة :

١ – تنمية الابداع ، د. زين العابدين درويش ، طـ دار المعارف بمصر ، ١٩٨٣ م.

٢ – ثقافة الطفل العربي ، جمال ابوريه ، طـ دار المعارف ، ١٦٧٨ م.

٣ – اطفالنا في عيون الشعراء ، احمد سويلم طـ دار المعارف .

٤ – اصول التربية الاسلامية ، عبد الرحمن النحلاوي ط دار الفكر ، دمشق ١٩٧٩ .

٥ – ثقافة الاطفال ، د. هادي الهيتي ، علم المعرفة ،الكويت ، ١٩٨٨ م.

٦ – الانسان وعلم النفس ، د. عبد القادر سليم ، عالم المعرفه ، الكويت ، ١٩٨٧ م.

٧ – في ادب الاطفال ، د. علي الحديدي ، طـ ٢ الانجلو المصرية .

٨ – طرق تعلم الفنون ، د. محمود البسيوني ، طـ دار المعرف ١٩٦٣ م.

٩ – كامل الكيلاني في مرآة التاريخ ، لمجموعة كتاب ، طـ القاهرة ١٩٦٢ م.

١٠ – التربية والتعليم في مصر القديمة ، د. عبد العزيز صالح ، الدار القومية ١٩٦٦ م.

١١ – في الادب الجاهلي ، د. طه حسين ، دار المعارف ، د. ت .

١٢ – في تاريخ الادب الجاهلي ، علي الجندي ، دارالمعرف ، د.ت .

١٣ – مصادر الشعر الجاهلي ، د. ناصر الاسد ، دار المعرف ، د. ت.

١٤ – تاريخ الادب الجاهلي ، د. شوقي ضيف ، دار المعرف ، د.ت.

١٥ – مقدمة لدراسة بلاغة العرب في الأندلس ، د. احمد ضيف . طـ القاهرة .

١٦ – الوسيط في الادب العربي وتارخه ، احمد الاسكندري وآخرون ، طـ القاهرة ١٩١٦ م.

١٧ – ابو الطيب المتنبي ، حياته وشعره ، عباس العقاد (بالاشتراك) بيروت ١٩٨٢ م.

١٨ – الادب الشعبي ، احمد رشدي صالح ، طـ هيئة الكتاب ١٩٨١ م.

١٩ – خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال ، ابراهيم حماده ، طـ القاهرة ١٩٦٣ م.

٢٠ - خيال الظل ، احمد تيمور باشا ، ط القاهرة ، ١٩٥٧ م.

٢١ - النقد الادبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، ط القاهرة ، د، ت .

٢٢ - دراسات فلسفية ، د، محمد عزيز الحباني ، دار المعارف ، ١٩٧١ م.

٢٣ - الغناء للاطفال عند العرب ، د. احمد عيسي بك ، ط بوالق ١٩٣٦ م.

٢٤ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د. شوقي ضيف ، ط دار المعارف ، د. ت .

٢٥ - تذوق الادب طرقه ووسائله ، د. محمود ذهني ، ط الانجلو المصرية ، د.ت.

٢٦ - منهج الفن الاسلامي ، محمد قطب ، دار الشروق . د. ت .

٢٧ - الحكاية الشعبية ، د. عبد الحميد يونس ، ط هيئة الكتاب ، ١٩٨٥ م.

٢٨ - الحكاية الخرافية ، ترجمة د. نبيلة ابراهيم ، ط القاهرة ١٠٦٥ م.

٢٩ - في الرواية العربية ، فاروق خورشيد ، دار الشروق ، ١١٧٥ م.

٣٠ - الف ليلة وليله ، د. سهير القلماوي ، ط دار المعارف .

٣١ - حديث الاربعاء د. طه حسين ، ط دار المعارف .

٣٢ - التربية الجمالية المعاصرة ، ترجمة د. كاترين كالدسون ، ط مدسكو ، ١٩٧٧ م.

٣٣ - معني الفن ، ترجمة سامي خشبه ، ط بغداد ، ١٩٨٦ م.

٣٤ - مدخل إلى الادب الاسلامي ، د. نجيب الكيلاني ، ط قطر ، ١٠٩٨٧ م.

٣٥ - دراسات الطفولة في ربع قرن ، اشراف د كاميليا عبد الفتاح ، ط هيئة الكتاب

٣٦ - ادب الاطفال دراسة ببليومترية ، حامد الشافعي دياب ، دكتوراه ، اداب القاهرة

٣٧ - دراسات استطلاعية لكتب الاطفال (٢٨ - ١٩٧٨) و د. محمود الشنيطي ، د رشدي طعيمه ، زينب الفوانيسي (بالاشتراك)اليونسيف - هيئة الكتاب .

مقالات وبحوث :

- الطفل في التراث الشعبي د. كامل الشيبي ، بغداد ، مجلِة التراث الشعبي .

- اغاني البراءة ، عالم الفكر ،الكويت ، د . عبد الوهاب المسيري . ، عالم الفكر ، الكويت

- اطفالنا والتراث ، ندوة عربية ، المجلس الاعلي للثقافة ، مصر .

- نظرية الشعر عند الفلاسفة ، الفت الروبي ، مجلة العلوم الاجتماعية ، الكويت .

- الشعر والفكر المجرد ، بول فاليري ، مجلة فصول ، مصر .

- الاطفال والادب الشعبي ، د. محمود زهني ، مجلة العربي ، الكويت .

- ادب الطفولة .. قراءة جديدة ، أحمد زلط ، المجلة العربية ، السعودية .

- بحوث مؤتمر الادباء العربي العاشر ، الجزائر ، ١٩٧٥ م.

(تم بحمد الله)

فهرس

رقم الايداع

٩٥١٤ / ١٩٩٠